

## الثقافة الإسلامية



# الثقافة الإسلامية

## لجنة التحرير

أ. د. شرف القضاة رئيساً ومحرراً لغويا ومنسقاً  
أ. د. محمد عيد الصاحب أ. د. بسام العموش أ. د. محمد خازر المجالي

## بقية المؤلفين

1. أ. د. راجح الكردي	2. أ. د. أمين القضاة	3. أ. د. سلطان العكايلة
4. أ. د. أحمد شكري	5. أ. د. باسم الجوابرة	6. أ. د. جهاد نصيرات
7. أ. د. محمود رشيد	8. أ. د. إبراهيم برقان	9. د. محمد نبيل العمري
10. د. عبد الكريم وريكات	11. د. عطا الله المعاينة	12. د. علاء عدوي
13. د. زينب معاينة	14. د. شفاء الفقيه	

## قسم أصول الدين

كلية الشريعة – الجامعة الأردنية

1439هـ – 2018م





## المقدمة

يعيش العالم اليوم مرحلة جديدة من الحوار الثقافي، حيث أصبح هذا الحوار أكثر سهولة ويسرا في عصر القنوات الفضائية والإنترنت.

ولا شك أن الثقافة الإسلامية هي من أبرز الثقافات في عصرنا، ولذلك لا بد من تزويد طلاب الجامعات بقدر كاف من ثقافتهم الإسلامية، لتكون عوناً لهم على المشاركة الفعالة في الحوار الثقافي العالمي.

وتُعدُّ المرحلة الجامعية من أهم المراحل التي تسهم في بناء شخصية الإنسان، وما أحوج شبابنا اليوم في ظل هذا الانفتاح والتنوع والتواصل العالمي إلى ترشيد الوعي وتصويب المسيرة.

ولذلك كان من القرارات الأولى لاتحاد الجامعات العربية ضرورة تدريس مادة الثقافة الإسلامية في كل جامعات العالم العربي ومعاهده، وهو ما نجده أيضاً في جامعات العالم الإسلامي.

وكانت الجامعة الأردنية من أوائل الجامعات في العالم الإسلامي التي وضعت في خطتها مادة الثقافة الإسلامية متطلبا جامعيًا اختياريًا.

ونرى أنه ينبغي أن تحتوي مادة الثقافة الإسلامية بعد بعض المقدمات على جانبين:

**الأول: جانب البناء والتكوين،** حيث يتم تزويد الطلاب بقدر مناسب من المعلومات العامة عن الإسلام، من حيث مصادره وروافده وعقيدته وعباداته وأخلاقه وخصائصه.

**الثاني: جانب الوقاية والتحصين،** حيث يزود الطالب بقدر مناسب أيضاً من المعلومات عن الثقافات الأخرى، وما تتعرض له أمتنا من غزو ثقافي.

وقد حاولنا في هذا الكتاب أن نجمع بين الأمرين وباختصار حتى لا يطول الكتاب ويخرج عن مقصده.

كما أننا حرصنا على أن لا يكون هناك تكرار لما درسه الطالب في المرحلة الثانوية، مثل حقوق الإنسان والعولمة ورسالة عمان، أو لما سيدرسه في المادة التي يقدمها قسم الفقه وأصوله، وهي مادة الإسلام وقضايا العصر، مثل حقوق الإنسان، والجهاد، والفن.

ولا يفوتنا هنا أن نتقدم بالشكر لكل الزملاء الأفاضل الذين أسهموا في تأليف هذا الكتاب، ولجميع الإخوة الأفاضل الذين شاركوا في تأليف الكتب السابقة في الثقافة الإسلامية.

وختاماً فإن هيئة التحرير تأمل أن تتلقى الملاحظات من الأساتذة الأفاضل، ومن طلبتنا الأعزّاء، ومن كل من يطلع على هذا الكتاب، وستكون هذه الملحوظات موضع عنايتنا، وستسهم في إثراء الكتاب، وتقديمه بصورة أفضل في الطباعات القادمة إن شاء الله تعالى.

**هيئة التحرير**

## الوحدة الأولى

### الثقافة الإسلامية مفهومها، وخصائصها، ودورها في التقدم

#### تعريف الثقافة وأهميتها

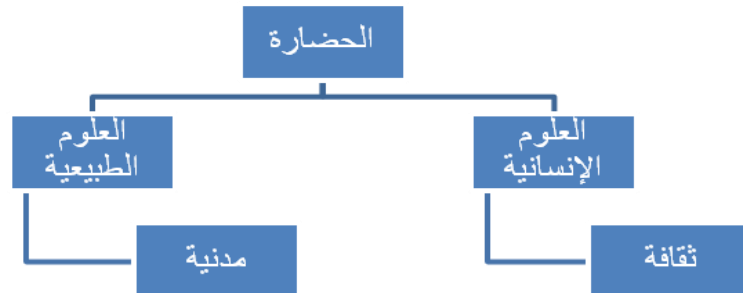
تعريف الثقافة لغة: وردت مادة (ثَقَفَ) في المعاجم بعدة معان أهمها:

1. الذكاء، يقال: طفل ثقف، أي ذكي، فالذكاء ضروري لاختيار ثقافة معينة من بين الثقافات الكثيرة المنتشرة في العالم.
2. التهذيب والتقويم، سواء كان ماديا أو معنويا، نقول: ثقفت السهم، وثقفت الطفل.

تعريف الثقافة اصطلاحا: يختلف تعريف الثقافة اصطلاحا من باحث إلى آخر، وقد وضعنا للثقافة التعريف التالي: (منظومة العقائد والقيم والمشاعر والسلوكيات).

وهكذا يكون تعريف الثقافة الإسلامية: (منظومة العقائد والقيم والمشاعر والسلوكيات الإسلامية).

#### الثقافة والمصطلحات الأخرى



1. **الحضارة والمدنية**، كل حضارة لها شقان: شق إنساني، وشق مادي، فهي تشمل العلوم الإنسانية والثقافة الناتجة عنها، وتشمل العلوم الطبيعية والمدنية الناتجة عنها، فكأن الحضارة طائر يطير ويحلق بجناحيه: الثقافة والمدنية. وهكذا فإن المدنية هي: التقدم المادي في وسائل الاتصالات والمواصلات، والتقدم في أساليب الحياة من سكن وطعام ولباس، وما شاكل ذلك.
2. **الدين**، وهو شامل للعقيدة والقيم والمشاعر والسلوك، ويكاد يتطابق مع معنى الثقافة، إلا أن في الثقافة عادات قد لا تكون من الدين.
3. **العلم**، وهو: عكس الجهل، وله شقان رئيسان: إنسانية، وطبيعية، وتختلف العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية في نقاط أهمها:
  - أ- العلوم الإنسانية خاصة، أي أن لكل أمة ثقافتها الخاصة بها، والعلوم الطبيعية عامة، فليس هناك رياضيات خاصة بكل أمة.
  - ب- العلوم الإنسانية تتضمن مقاييس للسلوك، كالخير والشر، بينما العلوم الطبيعية لا تتضمن مثل هذه المعايير والمقاييس، فهي أداة يمكن استخدامها في الخير أو الشر.
  - ج- العلوم الإنسانية فيها مشاعر كحب الأمة، والانتماء إلى التاريخ، والاعتزاز بالشخصية الوطنية، بخلاف العلوم الطبيعية.
  - د- العلوم الإنسانية (المتعلقة بالإنسان) مصدرها الوحي إن كانت ربانية، والعقل إن كانت بشرية، وأما العلوم الطبيعية فمصدرها الحس والتجربة.
  - هـ- العلوم الإنسانية معنوية، بينما العلوم الطبيعية مادية محسوسة.
4. **الفكر**، وهو: العقيدة الناتجة عن التفكير، والتفكير عملية بشرية، يحاول فيها الإنسان أن يصل من خلال ما عنده من معلومات إلى ما يجهله، والإنسان في ذلك يصيب ويخطئ.



ولذلك لا تسمى العقيدة الإسلامية المنزلة من الله تعالى فكراً، لأن التفكير عملية بشرية لا تليق بالله تعالى، فالله يعلم كل شيء منذ الأزل.

5. التراث، وهو: ما وصلنا من الأجيال السابقة، ويشمل - على الصحيح

- كل ما وصلنا من أمور مادية ومعنوية، فيشمل ما وصلنا من دين وفكر وعلم، وحضارة ومدنية، وآثار، وغير ذلك.

وينقسم التراث المعنوي إلى قسمين:

- تراث لا شك فيه، لأنه وحي من الله تعالى، وهو القرآن الكريم،

والسنة المتواترة، قال تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ

عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32]، وفي الحديث (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن

الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم)<sup>1</sup>.

- تراث فيه نظر، ويحتل الصواب والخطأ، وهو قابل للنقد، وهو ما

كان من إنتاج البشر، كالفكر والعادات.

### أهمية الثقافة

1. الثقافة هي روح الأمة، فإن فقدت الأمة ثقافتها ماتت وذابت في غيرها، وهذا

ما حدث لكثير من الثقافات القديمة.

ولذلك تحرص كل أمة على المحافظة على ثقافتها حياة قوية، وذلك من خلال

المحافظة على تاريخها والاهتمام بآثارها وإنشاء المتاحف، ومن خلال الأبحاث وعقد

المؤتمرات وتأليف الكتب، واستخدام كل وسائل التعليم والإعلام.

2. الصراع الثقافي هو أساس كل الصراعات، سواء كانت عسكرية أم

اقتصادية أم سياسية، كما كان ذلك بين ألمانيا الشرقية والغربية، وكما هو بين

الكورييتين.

---

<sup>1</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم.

3. كثرة الموضوعات المرتبطة بالثقافة، والتي يعقد لها الكثير من المؤتمرات مثل: التنمية الثقافية، والتخلف الثقافي، والغزو الثقافي، والأمن الثقافي والتطبيع الثقافي.... الخ.

### أهمية الثقافة الإسلامية

يمكن للثقافة الإسلامية أن تحقق للأمة الإسلامية ما يلي:

1. تبين لنا الحق، وتحمينا من الزلل والانحراف في الفكر أو المشاعر أو السلوك.

2. تحميها من الذوبان، وذلك من خلال التركيز على ما يميزها عن غيرها.

3. تحقق الوحدة التي لم ولن تتحقق إلا من خلال الإسلام، وذلك من خلال القواسم الثقافية المشتركة.

4. تزودها بأقوى سلاح في صراع الثقافات، والدليل على ذلك أن الناس من كل الأديان يدخلون في دين الله أفواجا، ولا نجد المسلمين ينتقلون إلى أديان أخرى.

5. تحل لها مشكلاتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. إلخ، وتحقق لها التقدم الشامل من خلال تطبيق الإسلام بكل جوانبه.

## خصائص الثقافة الإسلامية

عند دراسة أي ثقافة لا بد أن تكون الدراسة مقارنة مع الثقافات الأخرى، من الناحيتين النظرية والتطبيقية، وذلك لكي تتضح مكانة كل ثقافة بين سائر الثقافات، وإنما يكون ذلك من خلال ما يتميز به عن غيره من مزايا تبين مدى صحته وقدرته على تحقيق السعادة للإنسان.

والخصائص هي المزايا، أو هي الصفات الجيدة التي تتميز الشيء عن غيره. ولذلك سنعرض أهم الخصائص التي يتميز بها الإسلام، مقارنة مع الأديان والثقافات الرئيسية في العالم، مع ذكر بعض الأمثلة التي تبرز الجانب العملي التطبيقي.

وأما الخصائص التي سنتناولها بالبحث فهي: الربانية، والشمول، والتوازن أو الوسطية، والإنسانية، والواقعية، والإيجابية.

### أولاً: الربانية

تعد الربانية أهم الخصائص على الإطلاق، ومنها تنبثق بقية الخصائص، وتعني الربانية أن الإسلام دين سماوي منزل من الله تعالى، وأنه الدين الرباني الوحيد الموجود الآن، بينما تعد كل الأديان - كما هي الآن - والثقافات الأخرى إنتاجاً بشرياً، وضعها البعض وطورها آخرون، وتناقلها أتباعهم عنهم.

فلو نظرنا إلى أشهر ثقافتين لهما أصول سماوية، وهما اليهودية والنصرانية، لرأينا مدى ما أصابهما من تحريف جعلت الباحثين منهم يعترفون بضخامة ما أصاب الكتاب المقدس من تحريف وتغيير.

فقد أثبتت الدراسات الحديثة التي قام بها كثير من الباحثين الغربيين على نصوص العهد القديم، من حيث المفردات والأساليب، أن العهد القديم الموجود حالياً، الذي تشكل التوراة ثلاثة أرباعه، لم يكتب في عهد موسى عليه السلام، الذي عاش على الراجح في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وإنما ابتدأت كتابته بعد وفاته بخمسة

قرون، واستمرت كتابته حوالي خمسمائة عام تقريبا، فهي إذن ليست التوراة التي أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام<sup>1</sup>.

وقد جاء في أسفار التوراة من الأباطيل ما لا يمكن معه أن تكون كتابا سماويا منزلا من الله تعالى، فمن ذلك أن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - نزل إلى الأرض ليلا فلقية يعقوب عليه السلام ولم يعرفه، فتصارع معه فصرعه يعقوب، وحاول الله - كما يدعون - أن يخلص نفسه طوال الليل فلم يستطع، حتى اضطر إلى الموافقة على شروط يعقوب ليتركه، فأطلق سراحه عند الفجر<sup>2</sup>.

وأما فيما يتعلق بالعهد الجديد فلا يتسع المقام لمناقشة مضمونه، وبخاصة عقيدتي التثليث والفداء، وإنما سأذكر بعض الاعترافات - فهي كثيرة جدا - لبعض الباحثين ورجال الدين عندهم:

1. يقول الباحث الفرنسي المتخصص في تاريخ المسيحية شارل جنيير: إن أغلب فقرات الإنجيل إنما صدرت عن الذين كتبوا الإنجيل وليس عن عيسى، وأما الفقرات التي نرجح أن عيسى هو الذي قالها فلا تزيد على أربع أو خمس فقرات<sup>3</sup>.

2. ما جاء في توصيات المجمع المسكوني الثاني للفاثيكان الذي انعقد في روما ما بين عامي 1962-1965م، وذلك للبحث في مشكلة تعارض الكتاب المقدس مع الاكتشافات العلمية الحديثة، وحضره 2350 شخصا كلهم من رجال الدين النصارى، فقد ورد في مقررات المؤتمر ما يلي: إن الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)<sup>4</sup> فيه شوائب وشيء من البطلان.

---

<sup>1</sup> اليهودية واليهود، علي عبد الواحد وافي، ص 14، دار نهضة مصر، القاهرة.

<sup>2</sup> العهد القديم، سفر التكوين.

<sup>3</sup> المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيير، ص 34، دار المعارف.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس يشمل العهد القديم ويحتوي التوراة، ويشمل العهد الجديد ويحتوي الإنجيل، وكل منهما يعد مصدرا من مصادر النصرانية، فالاعتراف بتحريف الكتاب المقدس يعد اعترافا بتحريف التوراة والإنجيل.

وقد وافق على هذا النص 2344 واعترض ستة فقط<sup>1</sup>.  
وأما الدليل على أن الإسلام دين رباني فهو الإعجاز القرآني بجوانبه المتعددة،  
التي سبق بيانها، وكذلك الإعجاز في السنة النبوية.  
وأما الدليل الواقعي على أن القرآن لم يحدث فيه أي تغيير أو تبديل فهو أنه لا  
نجد فيه تناقضا مع العقل أو العلم، وأن المصاحف من عهد عثمان ؓ إلى عهدنا لا  
نجد بينها اختلافا ولو في كلمة واحدة زيادة أو نقصانا، وهذا ما لم يتحقق في أي  
كتاب سماوي أبدا.

### فوائد الربانية

للربانية فوائد كثيرة، سنبينها مقارنة بالثقافة الغربية، ومقرونة ببعض الأمثلة  
التوضيحية:

**أولاً: استحالة الخطأ:** فمن المعلوم أن الإنسان يصيب ويخطئ، وحينما يخطئ  
العلماء في تجربة في المختبر فإن الخسارة ستكون بعض المواد والوقت والجهد، أما  
حينما يخطؤون في مجال التشريعات للناس فإن الإنسان هو الذي يدفع الثمن،  
ولسنوات طويلة أو أجيال، كما حدث للنظام الشيوعي الذي انهيار وألغى على يد  
أتباعه بعد معاناة دامت سبعين سنة.

ولذلك فإن المنهج الرباني لا يدانيه أي منهج بشري، وإن بدا لأول وهلة منهجا  
مناسبا، وإن صحة المنهج الرباني وصوابه في مصلحة الإنسان قبل أي شيء آخر.

**ثانياً: العدالة:** فالمنهج الرباني منهج عادل، أما المناهج البشرية فهي مناهج  
فيها الكثير من الظلم، لأن الإنسان حين يضع القانون فإنه يراعي فيه مصالحه من  
حيث يشعر أو لا يشعر، وكل إنسان له انتماءاته العقائدية، والطبقية والعرقية  
والعنصرية والقبلية والمهنية إلخ، أما الله سبحانه وتعالى فإنه لا يظلم أحدا لحساب

<sup>1</sup> دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مورييس بوكاي، ص 60.

أحد، وقد بين الله سبحانه وتعالى أن كل حكم بغير ما أنزل الله تعالى إنما هو حكم ظالم فقال ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة 45).

ومن الأمثلة على الظلم في التشريعات حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي، وهو نموذج صارخ على الظلم المقنن في أعلى الهيئات الدولية حتى الآن، وتبيح الدول الكبرى لنفسها ما تحرمه على غيرها، كامتلاك أسلحة الدمار الشامل.

وظالمة في بعض قوانينها الداخلية، وفي تطبيقها للقوانين، ومن ذلك ما يلي:

1. العنصرية التي يعاني منها السود في العالم، وبخاصة في أمريكا وأوروبا.
2. القوانين الغربية التي تسمح للشخص أن يوصي بكل أمواله لمن يشاء، ولذلك يفاجأ الورثة أحيانا أنه قد حرّمهم جميعا من الميراث، وكتب كل ما يملك لعشيقتة أو كلبه.

وما أجمل كلمة أحد كبار القضاة البريطانيين حين قال بعد تجربة في القضاء طويلة: لا قانون بلا أخلاق، ولا أخلاق بلا دين<sup>1</sup>. ولا بد أن يكون هذا الدين صحيحا حتى يعطي الأثر المرجو، وهذا لا يتوفر إلا في الإسلام، لأنه وحده الدين الرباني.

**ثالثا: كمال الرقابة وعدم الإفلات من العقوبة:** فالقوانين البشرية يراقبها البشر، والرقابة البشرية رقابة قاصرة، ولذلك تكثر المخالفات للقوانين البشرية، بينما الرقابة الربانية رقابة كاملة.

ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك تحريم الخمر في الإسلام، مقارنا بمحاولة منعه في الولايات المتحدة سنة 1919م، لأضراره الكبيرة على الفرد والأسرة والمجتمع، ومهدت لذلك بحملة واسعة من التوعية، وبيان العقوبات، ولكنها فشلت فشلا ذريعا، فاضطرت إلى التراجع عنه سنة 1933م، ولا زالت تعاني من ارتفاع أعداد المدمنين. أما في الإسلام فقد نجح التحريم بكل سهولة ويسر، بالرغم من تعلقهم الشديد بالخمر، ولم يحتج الأمر إلا إلى بضع آيات تلاها رسول الله ﷺ على المسلمين، فكان

<sup>1</sup> الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، 175، دار الذخائر - الدمام، ومؤسسة الرسالة - بيروت.

التطبيق فوراً في اليوم نفسه، وشاملاً فلم يتخلف أحد، وبإِزاء إيماني داخلي فلم يجبر أحد، ولم تفتح السجون، ولم تصادر الأموال، ولم يعدم أحد، وهكذا تنجح التشريعات الإسلامية في التطبيق وتفشل القوانين الوضعية البشرية<sup>1</sup>.

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة لا تقع إلا ممن يؤمن بالله واليوم الآخر، كمن اعترف بجريمته ولم يره أحد، مع ما في ذلك من فضيحة وعقوبة شديدة، وكالفتاة التي أمرتها أمها أن تخط اللبن بالماء، فقالت: إن كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا.

### ثانياً: الشمول

الإسلام منهج شامل<sup>2</sup> لكل ما يلي:

- أ- شامل للناس جميعاً على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأديانهم وأوطانهم إلى قيام الساعة، وأما اليهودية والمسيحية فهما خاصتان ببني إسرائيل.
- والإسلام هو الدين الذي ختم به الله سبحانه وتعالى الأديان، ونسخها به، فهو كالمناهج الدراسية، كلما صدر منهاج جديد ألغى المنهاج الذي قبله تلقائياً.
- ب- شامل للدنيا والآخرة، فالدنيا للامتحان، والآخرة للجزاء، فهما متكاملتان.
- أما اليهودية المحرفة فلا تهتم إلا بالدنيا، حتى إن اليهودية المعاصرة تفهم ما ورد في مصادرها الدينية عن الآخرة بأنه آخر الحياة الدنيا، وأما المسيحية فقد اهتمت بالآخرة فقط، وأغفلت الدنيا، وكذلك كثير من الفلسفات الشرقية كالهندية وغيرها.
- وأما الحياة الغربية المعاصرة العلمانية<sup>1</sup> فهي لا تشمل الآخرة، فهي كاليهودية، مما يدل على أن تأثير الثقافة اليهودية في الفكر الغربي المعاصر أكبر من تأثير الثقافة النصرانية، بل إن النصرانية المعاصرة بدأت هي نفسها تتأثر باليهودية.

<sup>1</sup> ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي، ص77 في الهامش .

<sup>2</sup> ليس المراد بالشمول هنا ما يقصد بالكلام عن الأنظمة الشمولية التي تعني الدكتاتورية، وحكم الحزب الواحد الذي لا يسمح لغيره من الاتجاهات بالتعبير عن الرأي، والمشاركة في الشؤون العامة.

ج- شامل للإنسان بكل جوانبه، فقد نظم حياة الإنسان العقلية بالعقيدة التي لا تتعارض مع العقل، بل إنها تملؤه قناعة ليس لها مثل في أية عقيدة أخرى. ونظم حياته الجسدية فأمره بكل ما ينفع الجسم من غذاء ودواء، وحرم عليه كل ما يضره، قال تعالى واصفا نبيه محمداً ﷺ ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف 157) فحرم الله تعالى كل ما زاد ضرره على نفعه، وقد جاءت هذه القاعدة في الحديث الشريف (لا ضرر ولا ضرار)<sup>2</sup>.

ونظم حياته الروحية والنفسية، من خلال مجموعة من العبادات، كالصلاة والدعاء والتوكل والإخلاص والمراقبة والشكر والصبر والإيمان بالقضاء والقدر. بينما أهملت اليهودية والعلمانية الغربية روح الإنسان، فسقط في دركات الشقاء، والفرغ الروحي، الذي أنتج ارتفاعاً هائلاً في الأمراض النفسية، والإدمان، والانتحار. وأما المسيحية فقد اهتمت بالإنسان روحاً وأهملته جسداً وعقلاً، فأوصلت أوروبا إلى العصور الوسطى المظلمة<sup>3</sup> حين حجرت على العقول، وحاربت العلم والعلماء، وأعدمت عشرات الآلاف منهم ومن أتباعهم حرقاً بالنار.

د- شامل لكل علاقات الإنسان، فينظم علاقته مع ربه، ومع مجتمعه على كافة المستويات، ومع أسرته، ومع نفسه، ومع الكون بما فيه من حيوانات ونباتات وغيرها. 1. فالإسلام يشتمل على قانون الأحوال الشخصية، الذي ينظم العلاقات الأسرية، ويشمل القانون المدني، الذي ينظم علاقات الإنسان المالية، ويشمل قانون العقوبات، ويشمل تنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة الفرد العادي بالمسؤولين والإداريين

<sup>1</sup> العلمانية، بفتح العين، نسبة إلى العالم الدنيوي، لأن معاجمهم تعرف الكلمة اللاتينية (secularism) بأنها: الاهتمام بالدنيا فقط. أو: عدم المبالاة بالدين. وليست نسبة إلى العلم، وقد كان العقاد يترجمها: الدنيوية.

<sup>2</sup> حديث صحيح لغيره، سنن ابن ماجه، أبواب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، رقم الحديث 2340.

<sup>3</sup> كانت هذه العصور مظلمة في أوروبا، أما في العالم الإسلامي فكانت من عصور الازدهار، وكانت الريادة الحضارية والعلمية فيها للمسلمين.



والموظفين، وينظم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب، ويقيم كل ذلك على منظومة من القيم الأخلاقية التي تسري في كل هذه التشريعات.

وأما النصرانية المحرفة فهي عقيدة بدون شريعة، إلا بعض التشريعات القليلة الخاصة بالأسرة كالزواج والطلاق.

أما المجتمعات العلمانية فلم تنظم علاقة الإنسان بربه، ولم تقم قوانينها على قاعدة أخلاقية حقيقية، فلم تنجح في التقليل من الجرائم في مجتمعاتها.

ولذلك كله فإن من أكبر الانحرافات أن يطبق الإسلام في بعض جوانب الحياة، ويستبدل في الجوانب الأخرى بتشريعات بشرية، وإن نتأج هذا الانحراف خطيرة في الدنيا وفي الآخرة، وها نحن نعاني من ذلك ضعفا وتخلفا، وهزائما وهوانا وذلا، يقول تعالى ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة 85).

### ثالثا: الوسطية والتوازن

الوسطية هي: إعطاء كل جانب ما يستحقه دون زيادة أو نقصان، وهو ما يسمى أيضا بالتوازن، والتوازن غير التساوي، فالتساوي مثلا أن يعطي الطالب كل مادة من المواد نفس القدر من الجهد والوقت، أما التوازن فهو أن تعرف كم يلزم كل مادة من الجهد فتعطيها إياه.

- والتوازن نجده في كل شيء خلقه الله تعالى، يقول سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر 49)، أي بقدر مناسب، فنسبة اليابسة إلى الماء على وجه الأرض وهي 29: 71 نسبة متوازنة تحقق أفضل الظروف لازدهار الحياة.
- وهذا التوازن أيضا بين الكائنات الحية، فنسبة تكاثر الكائنات الحية متوازنة، فنسبة تكاثر الحيوانات المفترسة والضخمة متدنية، أما الإنسان فنسبة تكاثره أعلى، وأعلى من ذلك تكاثر ما يتغذى عليه الإنسان من حيوانات وطيور.

- وقد حذرنا الله تعالى من التلاعب بتوازن الكون، فقال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن 7-8) أي التوازن.
- التوازن في العقيدة والتشريعات التي أنزلها الله سبحانه لتنظم حياة الناس، وذلك مثل:

1. وازن بين الدنيا والآخرة، فالغاية يجب أن تكون الآخرة فقط، أما الدنيا فهي وسيلة للآخرة، فالدنيا محدودة، والآخرة لا تنتهي، ونسبة النهائي إلى اللانهائي هي صفر، ولذلك خذ من الدنيا كل ما تريد حين لا تتعارض مع الآخرة، أما حين تتعارض فيجب أن تقدم الآخرة في 100% من الحالات، أي في كل الحالات.

أما الحياة الغربية المعاصرة فقد أعطت الدنيا كل شيء، ولم تعط الآخرة شيئا، وأما بعض الأديان الأخرى فقد حرمت الإنسان من كثير من الدنيا، فقد منعت بعض المذاهب المسيحية المحرفة زواج الرهبان والراهبات، فحرمتهم إشباع الغريزة الجنسية، وحرمتهم نعمة الأطفال، ورأت أديان وفلسفات أخرى أن تعذيب الجسد يسعد الروح.

2. وازن بين الروح والجسد والعقل فأعطى كل جانب ما يستحقه، فقد (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ... فقال: لکني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)<sup>1</sup>، وحديث (إن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا)<sup>2</sup>.

3. وازن في المشاعر بين الخوف من الله تعالى والرجاء في رحمته، قال تعالى ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ (الحجر 49-50).

4. وازن في نظامه السياسي بين سلطة الحاكم وسلطة الأمة، فلأمة تعيين الحاكم، وأن تُستشار، وعليه الالتزام برأي أغلبية أهل الحل والعقد، وإقامة العدل، ولها مراقبته ومحاسبته وعزله إن أساء، وللحاكم حق النصيح والسمع والطاعة في المعروف.

5. وازن في نظامه الاقتصادي بين الملكية الفردية والملكية الجماعية، فلا تطغى ملكية الدولة كما في النظام الشيوعي، حيث فقد الناس ملكياتهم وأصبح كل شيء للدولة، ولا تطغى الملكية الفردية كما هو الحال في النظام الاقتصادي الغربي الرأسمالي، بما يصاحب ذلك من احتكار وتركز للثروات في أيدي الأغنياء.

6. وازن في نظامه الأسري بين أفراد الأسرة، فلم يجعل صلاحياتهم متساوية، فكل من الرجل والمرأة والأولاد له حقوق وعليه واجبات متوازنة.

7. وازن بين إطلاق الدوافع والغرائز بلا قيد، وبين كبتها، بإطلاق الغرائز كما في الحياة الغربية كان سببا هاما من أسباب انهيار الأسرة وانهيار المجتمع. أما كبت هذه الدوافع والغرائز فإنه يقتل الطموح والإبداع والابتكار والتقدم، كما حدث في الاتحاد السوفيتي فانهارت الدولة اقتصاديا.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم.

8. وازن بين الثبات والمرونة<sup>1</sup>، فالثقافات إما أن تبالغ في الثوابت فتصبح جامدة، كما حدث للمسيحية في أوروبا في القرون الوسطى، وإما أن تبالغ في المرونة فتجعل كل شيء متغيرا باستمرار، فتفقد الاستقرار الذي تحتاجه المجتمعات في عقائدها وتشريعاتها وأخلاقيها.

وأما الإسلام فقد أنزله الله سبحانه ثابتا فيما لا يحتاج إلى تغيير في المستقبل، ومرنا في الأمور التي يعلم الله تعالى أنها ستتغير.

فمن الثوابت في الإسلام قضايا العقيدة، وأن الإيمان شرط لصحة العمل وقبوله، وأن التحليل والتحريم لله وحده، وأن الناس سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن الزواج مشروع والزنا حرام، وأن البيع حلال والربا حرام، وأن بر الوالدين واجب.

وأما الأمور المرنة في الإسلام فهي كثيرة، ولكن ليست المرونة أن نغير في الإسلام ما نشاء، ولكن الله سبحانه أنزل الإسلام مرنا في بعض جوانبه، فلا يجوز أن نقلل من هذه المرونة، ولا يجوز أن نزيد فيها، بل نلتزم بالقدر الذي أنزله الله.

وأما الأمثلة على الجمع بين الثبات والمرونة فهي كثيرة أذكر منها:

أ- **النصوص الشرعية في القرآن والسنة** منها ما هو قطعي الثبوت والدلالة، وما هو قطعي الثبوت ظني الدلالة، ومن السنة ما هو ظني الثبوت، وهذا يفتح المجال أمام العلماء أن يبذلوا الجهد في الحكم على صحة الحديث، وفي فهم النص الشرعي.

ب- **الشورى**، فالشورى الحقيقية من الثوابت، ولا يجوز للحاكم أن يستشير في الأمور القطعية، لأن الله تعالى لا يخطئ حتى يأتي الناس ليعيدوا النظر في حكمه سبحانه.

---

<sup>1</sup> جعلت كثير من الكتب هذا خصيصة منفردة، ولكنها في الحقيقة مثال من أمثلة التوازن.

ومع ذلك فلم يحدد الإسلام التفاصيل الدقيقة للشورى، فلم يحدد الإسلام عددا معينا لأعضاء مجلس الشورى، ولا كيفية انتخابهم، ولا مدة معينة للمجلس، بل ترك ذلك ليختار الناس من الأساليب والتفاصيل الدقيقة ما يناسبهم حسب ظروفهم.

ج- **الأصل في العبادات الثبات**، فلا عبادة إلا بما أمر الله تعالى، فليس لإنسان أن يخترع عبادة من عنده، وفيها شيء من المرونة في طريقة التطبيق، فشرع في الصلاة القعود لغير القادر والتميم والجمع والقصر، والفطر في السفر.

وأما في المعاملات المالية فقد جعل سبحانه بحكمته الأصل فيها المرونة، وجعل الثبات في جوانب قليلة محددة، فكل معاملة مالية مباحة، إلا ما كان فيها شيء من الربا أو الغش أو الاحتكار أو ما شاكل ذلك، وهذا يفسح المجال واسعا أمام كل تطور في أساليب المعاملات المالية، ومن هنا استطاعت المؤسسات المالية الإسلامية كالمصارف الإسلامية وشركات التأمين الإسلامية أن تعمل وتنجح في ظل أساليب حديثة، لم تكن تخطر على بال أحد في العصر النبوي.

د- **العقوبات فيها عدد قليل ثابت كالحدود**، وأما أكثرية العقوبات فهي مرنة، وتسمى التعزير، ويمكن للأمة الإسلامية في كل عصر أن تختار منها ما تراه مناسبا.

وأخيرا فإن تحقيق التوازن أمر فوق قدرة البشر وطاقاتهم، لأنه أمر يحتاج إلى علم دقيق بكل ما في الكون من إنسان وحيوان ونبات ومواد، فأنى للإنسان أن يصل إلى ذلك، إنه شيء لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه وتعالى.

#### رابعاً: الإنسانية

تعني هذه الخاصية أن الإسلام هو وحده الذي يحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء 107) فالإسلام رحمة لكل الناس، وليس للمسلمين فقط، فهو يحقق مفهوم (الإنسان الصالح) أما الأمم

الأخرى فتعمل غالبا لنفسها وتظلم غيرها لتحقيق مصالحها الخاصة، فهي تحاول تحقيق مفهوم (المواطن الصالح) وشتان بين المفهومين!.

وتتجلى إنسانية الإسلام في كل مجال من مجالاته، ومن ذلك:

1. تكريم الإنسان، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء 70).

• فقد كرمه بأن أسجد له الملائكة، فأين هذا من النظريات المادية

المعاصرة التي لا تنظر إلى الإنسان إلا على أنه حيوان فقط.

• وكرمه بالعقل والعلم، فالإسلام وحده من بين كل الأديان دين العلم

والعقل معا.

• وكرمه بالإرادة المسؤولية، فخلقه طاهرا من الذنوب، وبين له الخير من

الشر، وحمله مسؤولية عمله وحده، ولم يحمله وزر غيره.

وأما في النصرانية المحرفة فإننا نجد الإنسان يولد مذنباً، يحمل ذنب أبيه آدم،

ولا يمكن له الخلاص إلا إذا اعترف بذنب لم يفعله، ولكنه مع ذلك يتحمل وزره.

بينما نجد الإنسان في الفكر المادي تسيطر عليه الأسطورة الإغريقية وهي أن

الخالق قد منع الإنسان من العلم لكي يبقى الإنسان في حاجة إلى الله، ولكن الإنسان

استطاع بمساعدة من الشيطان أن يسرق النار المقدسة (ترمز إلى العلم) في غفلة من

الله، فغضب الله لذلك وألحق بالشيطان لعنة وعذاباً أبديين، ولذلك فإن الإنسان الآن

ليس بحاجة إلى الله، وقد عبر أحد الكتاب الغربيين عن ذلك بقوله: لقد مات الله

حينما وُجد السوبرمان، فشتان بين ثقافة تؤمن أن الله علم الإنسان، وثقافة تؤمن أن

الله منع الإنسان العلم ليبقيه جاهلاً.

• وكرمه من حيث هو إنسان، دون النظر إلى نسبه أو جنسه أو وطنه

أو جنسيته أو لونه أو ماله أو جسمه وشكله أو مهنته أو طبقته ومكانته

الاجتماعية، وإنما ينظر إليه من حيث هو إنسان، ثم من حيث التزامه بالحق والعمل الصالح، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ (الحجرات 13). وأكد على إنسانية النبي ﷺ فلا هو إله، ولا ابن إله، ولا هو ملك من الملائكة، ولا تجري فيه دماء زرقاء مقدسة كما كان عليه الأمر في كثير من الأمم قديما. فاليهود يعدون أنفسهم كما جاء في التلمود أبناء الله حقيقة، وأما بقية الشعوب فقد خلقوا من نطفة حسان، فهم في الحقيقة حيوانات، ولكن الله خلقهم على صورة إنسانية ليكونوا مناسبين لخدمة اليهود<sup>1</sup> فهل يمكن لهذه العقيدة أن تكون إنسانية. والنصارى يوافقون على ذلك فقد وصف المسيح - كما يدعون - بني إسرائيل بأنهم أبناء الله، ووصف غير بني إسرائيل بأنهم كلاب !!!<sup>2</sup>.

وفي اليابان يُعد الإمبراطور الحالي أول إمبراطور إنسان، وأما السابق فهو من سلالة الآلهة، فانظر إلى تقدمهم العلمي وتخلفهم العقائدي حتى أواخر القرن العشرين. ولا زال يعيش في الهند مئات الملايين من المنبوذين، وهم يعتقدون أنهم قد خلقوا من أقدام الآلهة، ولذلك فواجبهم في هذه الحياة أن يقوموا بخدمة غيرهم، وسبقى أبناؤهم حتى نهاية الدنيا كذلك، فلا يلد المنبوذ إلا منبوذا مثله.

2. المساواة أمام الشريعة، فلا أحد فوق الشريعة (القانون) مهما بلغت منزلته، وهذا ما كان يطبق فعلا، فعمر حكم لرجل غير مسلم على ابن عمرو بن العاص أمير مصر، وقال الكلمة المشهورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا. وقد كان الخلفاء الراشدون يقفون أمام القضاء على قدم المساواة مع غيرهم، فعلي بن أبي طالب يقف مع نصراني أمام القاضي شريح في درع، فطلب القاضي من الخليفة الدليل فلم يجد، فحكم للنصراني، فقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، ودخل في الإسلام، وأعاد الدرع إلى الخليفة، فأهداها علي له بمناسبة إسلامه.

<sup>1</sup> الكنز المرصود في قواعد التلمود، يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق، ص73 وما بعدها.

<sup>2</sup> العهد الجديد، إنجيل متى، إصحاح 21/15 - 28.

وأما العالم المعاصر فقد قنن التمييز بين الأمم والشعوب، كما في حق الفيتو. وكانت قبل عشرات السنين - في أمريكا مثلاً - مدارس للبيض وأخرى للسود، وحافلات للبيض وأخرى للسود، ولم يكن يسمح للسود بدخول الجامعات، بل كانت هناك كنائس للبيض وكنائس للسود !!!.

3. تشريع ما يسعد الإنسان، وتحريم كل ما يلحق الضرر بالإنسان، فلا ضرر ولا ضرار، وقرر لكل إنسان ما يسمى اليوم (حقوق الإنسان)، وجعل ذلك جزءاً من الدين يجب على المجتمع أن يؤمنه له، وهذه الحقوق كثيرة، وهي ليست متطابقة تماماً مع ميثاق حقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة في حوالي منتصف القرن العشرين، وإنما تختلف معه في بعض الجوانب، خاصة في مجال الحريات المنفلتة من الدين والأخلاق، كحرية الردة، وحرية الزواج مهما اختلفت الأديان، وحرية فعل المحرمات من زنا وشذوذ وخمر وغير ذلك.

فلم يعرف التاريخ الإسلامي مجازر جماعية، كما تفعل الدول الأخرى قديماً وحديثاً، كما فعل الأوروبيون في الأندلس حيث لم يُبقوا فيها مسلماً على قيد الحياة، ومثل ما فعلته بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في مستعمراتها، ومثل ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية حيث قتل فيهما عشرات الملايين من المدنيين، ومثل ما فعلته روسيا في الجمهوريات الإسلامية وأفغانستان.

ومثل ما فعلته أمريكا في اليابان بإلقاء قنبلتين نوويتين على المدنيين، حين ألقتهما على مدينتي هيروشيما وناجازاكي، ومثل ما فعلته في فيتنام، وما تفعله في العراق.

ومثل ما فعلته إسرائيل منذ نشأتها من مجازر جماعية ضد المدنيين، كمجازر دير ياسين وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا وقانا ومخيم جنين وقصف غزة، وما تقوم به بشكل يومي من قتل وهدم للبيوت وسجن وتعذيب حتى الموت.



ولذلك فإنه ما من جيش دخل بلداً آخر إلا وقاومه أهلها حتى أخرجوه إن استطاعوا إلا الجيش الإسلامي، فقد دخل بلاداً كثيرة فاتحاً عادلاً فاستقبلته كثير من الشعوب والأمم ودخلت في الإسلام، وبقيت على الإسلام حتى بعد أن ضعف المسلمون عسكرياً، بل إن صلاح الدين الأيوبي القائد المسلم الكردي قد ضرب مثلاً لم يعرف التاريخ له مثيلاً حين قام بإطلاق سراح الأسرى من جنود الصليبيين، وعفا عنهم، وهم الذين جاؤوا غزاة محتلين وعاثوا في الأرض فساداً وقتلاً وتخريباً، فإذا كان المسلمون يفعلون ذلك مع أعدائهم فكيف يعاملون غير الأعداء؟.

وفي الغرب الذي يدعي رعاية حقوق الإنسان فهم يدعمون حقوق الإنسان في الدول المعادية لهم، ولكنهم يدعمون دكتاتورية الأنظمة الموالية لهم.

ووفر الإسلام لكل فرد في المجتمع كفايته، فقد رأى عمر رجلاً كبيراً في السن يتسول فقال: ما ألجأك إلى ما أرى؟ فقال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فقال عمر: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، فأرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وأمثاله، فوالله ما أنصفنا الرجل إن أكلنا شبابه ثم نخذه عند الهرم<sup>1</sup>.

وهكذا عرف العالم الإسلامي منذ بداية القرن الهجري الأول نظام الرعاية الاجتماعية الذي تقوم به الدولة، ولم يعرف العالم الغربي ذلك إلا في القرن العشرين. ولكن كل هذه الحقوق ليست حقوقاً مطلقة، بل هي حقوق مقيدة بقيود، وهذه القيود لمصلحة الإنسان، فليس كل قيد هو بالضرورة ضد مصلحة الإنسان، فالعقل قيد لأنه يقيد تصرفات الإنسان ويمنعه مما لا يليق، ولكنه قيد لمصلحة الإنسان، ولا يريد عاقل أن يتحرر من قيد العقل، والقوانين الصحيحة العادلة قيد، ولكنها قيد لمصلحة الإنسان، والعادات الجيدة قيد، ولكنها لمصلحة المجتمع وهكذا، والحرية في الإسلام حرية مقيدة بقيود الدين والعقل والأخلاق وهي قيود لمصلحة الإنسان، ولا يصلح المجتمع إلا بذلك.

---

<sup>1</sup> الخراج لأبي يوسف، ص 126.

### خامسا: الواقعية

الإسلام يتعامل مع الحقائق الموجودة في الكون وفي الإنسان، ولا يتعامل مع الأوهام، ويقدر حاجات الإنسان الحقيقية في كل المجالات، ويرتقي بالإنسان إلى أفضل ما يمكن، ضمن إمكاناته الحقيقية الواقعية، فليست الواقعية إذن إبقاء الواقع كما هو عليه ولو كان واقعا متخلفا سيئا، ولكن الواقعية تعامل مع الواقع للارتقاء به إلى المستويات الممكنة وبالوسائل المناسبة، ومن واقعية الإسلام ما يلي:

1. **عدم تكليف الإنسان فوق ما يطيق**، فهو سبحانه يعلم حاجات الإنسان وقدراته الحقيقية، قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة 286)، ولذلك كان من حكمة الله التدرج في الأحكام.

2. **تقدير حالات الضرورة**، ومن هنا جاءت القاعدة المعروفة (الضرورات تبيح المحظورات) المأخوذة من قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة 173).

3. **تحريم كل ما يوصل إلى المحرمات**، فحرم كثير الخمر وقليلها، لأن القليل الذي لا يسكر يجر إلى الكثير المسكر، وحرم النظر إلى الجنس الآخر إلا في حالات معينة تقدر بقدرها، وحرم الخلوة لأنها تساعد على الفاحشة.

4. **لم يعد الناس ملائكة ولا شياطين**، بل عدهم بشرا يصيبون ويخطئون، فعمل على تربية الأفراد تربية صالحة، وهذا ينفع مع أكثر الناس، ولكن بعض الناس سيقع في بعض الجرائم فشرع العقوبات، وفتح بعد ذلك الباب أمام التائبين.

أما في اليهودية فنجد بني إسرائيل أبناء الله وبقية الأمم حيوانات، ومن هذه العقيدة تنطلق ثقافتهم وتعاملاتهم مع الآخرين، فأين الواقعية في ذلك؟.

وفي القرون الوسطى وجدنا الكنيسة تحارب العلم والعلماء والحقائق العلمية، وهي تنظر إلى المرأة على أنها السبب في خطيئة آدم وشقاء البشرية، وحرمت الزواج على الرهبان والراهبات، فأين الواقعية في كل ذلك؟.

وفي كثير من بلاد العالم كالصين والهند واليابان لا زالوا وثنيين يعبدون الأوثان، فأين الواقعية في ذلك؟.

وفي الشيوعية أنكروا وجود خالق للكون، وادعوا أن الكون بكل ما فيه من نظام في غاية الدقة والروعة والنظام خلق صدفة!!!، وقالوا لا تستقيم المجتمعات إلا إذا نزعنا حب التملك من قلب الإنسان، فأين الواقعية في ذلك؟.

وفي الغرب المادي نسي الناس أن الإنسان روح ومادة، وأن الروح بحاجة إلى الغذاء الروحي الديني، بل نسي كثير منهم أنهم من خلق الله!.

#### سادسا: الإيجابية

الإسلام دين إيجابي لا يقف سلبيا أمام الفساد والانحرافات، بل يوجب على كل مسلم ومسلمة الإصلاح في كل مجالات الحياة، بكل ما أوتي من قوة، ويوجب تغيير الأوضاع السيئة إلى الأفضل في كل زمان ومكان، بكل الطرق المشروعة، وهذا هو التفاعل الإيجابي مع المجتمع، والإسلام إيجابي في كل جانب، ومن هذه الجوانب:

1. الدعوة، فالمسلمون أفرادا وجماعات ودولا وأمة مكلفون بدعوة العالم كله إلى الحق والخير، ففي الحديث (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

وقد شبه النبي ﷺ المجتمع بالسفينة، وفرض على المجتمع أن لا يسمح للمفسدين بتدمير المجتمع، وهذه هي الإيجابية، فقال (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ والاستهماء فيه.

وجعل الإسلام الإصلاح صمام الأمان للمجتمع من الهلاك في الدنيا، فقد قال الله تعالى في المسلمين المصلحين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود 117) وتوعد المسلمين غير المصلحين، ففي الحديث (يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث)<sup>1</sup>.

2. **وجوب إقامة دولة الحق والخير عمليا**، ولذلك كانت الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة واجبة على كل القادرين رجالا ونساء، فهاجروا مخاطرين بحياتهم، ومضحين بأموالهم في سبيل الله، فأثنى الله تعالى على من هاجر، وذم وتوعد من لم يهاجر من المسلمين، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ (الأنفال 72).

3. **التوكل**، فرما ظن بعض الناس أن في التوكل شيئا من السلبية، ولكن التوكل أمر إيجابي، فالتوكل أن يتخذ الإنسان كل الأسباب الممكنة ثم يتوكل في تحقيق النتيجة المرجوة على الله تعالى، ولذلك كانت سيرة رسول الله ﷺ كلها عمل وجهاد وتفكير وتخطيط، والهجرة النبوية إلى المدينة المنورة من أوضح الأمثلة على ذلك، وعن أنس بن مالك قال (قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل)<sup>2</sup>.

وهكذا لم يكتف الإسلام بالدعوة إلى الإصلاح والتغيير، وإنما قدم للبشرية شريعة تعد منهاجا وبرنامجا عمليا يصلح المجتمعات في كل زمان ومكان. أما المسيحية المحرفة فلا تحتوي على شريعة ومنهاج لإصلاح المجتمعات، ولذلك فقد شاعت فيها عبارة (أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله) وكأنما الدين علاقة بين الإنسان وربه فقط، بينما ينظم القانون البشري علاقات البشر.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج.

<sup>2</sup> حديث حسن، جامع الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث 2517، بتحقيق أحمد شاكر.

وأما العالم المادي عموماً فإنه ليس إيجابياً تجاه مشكلات الأمم الأخرى من جوع ومرض وجهل ودكتاتورية، وليس محايداً تجاه هذه المشكلات، ولكنه يستغل هذه الأوضاع السيئة أينما وجدت ليحكم سيطرته على هذه المناطق، وليمتص خيراتها، ويجعلها مناطق نفوذ ثقافي واقتصادي وسياسي وعسكري، رغم كل ما يرفعه من شعارات الحرية وحقوق الإنسان.

وهكذا تتضح الفروق الرئيسية بين الإسلام وغيره من الثقافات الأخرى.

## واقع المسلمين الثقافي

بالرغم من كثير من الإيجابيات في واقع المسلمين اليوم عموماً كالبعد عن الخرافات وعبادة المخلوقات، وكالترايط الأسري، وكالبعد عن المخدرات والمسكرات، فلا بد من الاعتراف أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني من مشكلة حضارية متشعبة ويعد الجانب الثقافي أبرز جوانبها، ونحن لا نريد أن نحمل الاستعمار وحده مسؤولية ما وصلنا إليه، على الرغم من دوره في محاربة شخصيتنا الثقافية، وصياغتها على شكل يضمن له تحقيق مصالحه في عالمنا العربي والإسلامي.

وعلينا أن نعترف أن الأمة الإسلامية اليوم تعيش مرحلة الوهن الحضاري<sup>1</sup> بأبعادها كلها التي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه السلام بقوله (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَذُوكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي فُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)<sup>2</sup>.

فحب الدنيا تعطي صورة الإنسان المستهلك النهم، المتجاوز لحقه في الأخذ، وأما كراهية الموت فإنها تتمثل في انكماش فكرة الاحتساب، وغياب روح الإيثار والتضحية، والعودة عن العمل والإنتاج، والاقتصار على الاستهلاك.

ولعل من المفيد هنا ذكر بعض مظاهر الوهن الحضاري ومنها:

1. تجاوز التخصص، فكثير من المشتغلين بالعلوم التجريبية يقتحمون

ساحة التخصص الشرعي الدقيق التي لا يبلغها إلا من أفنى عمره

في بحثها، وعلى الجانب الآخر نرى بعض المشتغلين بالعلوم

---

<sup>1</sup> الأستاذ عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب (دراسة في البناء الحضاري).

<sup>2</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام.

الشرعية والفقهية يصرون على اقتحام ساحات العلوم التجريبية الدقيقة، وهذا الخلط لون من الثقافة المغشوشة.

2. تراجع دور المفكرين في تشكيل العقلية القادرة على حسن التفكير، والتعرف على الأسباب الموصلة إلى التمكين في الأرض وبناء الحضارة.

3. التوهّم بأن الحضارة إنّما تكون بتكديس المنتجات، والإكثار من استيراد المنتجات واستهلاكها دون ضوابط، مما يقتل الفاعلية ويؤدي إلى الركود الحضاري.

4. غياب فكرة الثواب والعقاب عن أجواء البحث العلمي، حتى وصل الأمر ببعض العقول الكليّة من المسلمين إلى عد هذه البحوث والتخصصات من علوم الكفار، التي تصرف الإنسان عن عبادة الله.

5. الخلط العجيب بين النصوص الشرعية الثابتة وبين الاجتهاد البشري في إنزال تلك المبادئ على حياة الناس، بما يتوافق مع ظروف كل عصر وبيئته، فأدى إلى الانغلاق والركود من البعض، أو الخروج عن الثوابت من البعض الآخر.

6. الانبهار بحضارة العصر، والاعتقاد بصحتها كلها، وليس لنا إلا التقليد الأعمى!.

7. الإفراط في التغني بالماضي التليد، وهذا رد فعل غير مباشر لذلك الانبهار.

8. اهتزاز القيم واضطراب المعايير الإسلامية في المجالات الاجتماعية والأخلاقية.

9. الازدواجية في سلوك المسلم بين المسجد وخارج المسجد، والتناقض الحاصل بين الجانب المعرفي والجانب السلوكي، فكثير من أحكام

الشرعية يعرفها معظم المسلمين، ولكن هناك تفريط واضح في التطبيق، وهذا ما حذر منه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2، 3].

10. تغلب العادات والتقاليد على الأحكام الشرعية، مما أسهم في تعطيل كثير من الأحكام الشرعية، ومن أمثلة ذلك عادة توريث الذكور دون الإناث، والثأر من أقارب القاتل.

إن مظاهر الوهن الثقافي هذه أدت إلى إيجاد حالة عمت المجتمع الإسلامي وبخاصة الفئات المثقفة منه، وهي حالة عدم الانتماء للثقافة الإسلامية، أو حتى عدم الاهتمام بها، لأن الفكر العلماني الغربي القائم على فصل الدين عن الحياة بدأ يتسرب إلى المجتمعات الإسلامية.

هذه الحالة المرضية وما نتج عنها تستدعي من علماء المسلمين اليوم دراستها جيداً وتوجيه الشباب المسلم إلى تجاوز مرحلة الانبهار والتقليد والخمول إلى مرحلة الاجتهاد والتجديد والبناء الحضاري.

### أسباب ضعف الثقافة الإسلامية في التأثير

عند تأمل الواقع الراهن، ومن خلال القراءة التاريخية نجد أنّ مشكلة الثقافة لا تتعلق بالإسلام عقيدة ومنهجاً، وإنّما تتعلق بالمسلم والتزامه بهذا المنهج، ويمكن تلخيص الأسباب التي أدت إلى ضعف تأثير الثقافة في الفرد والمجتمع بما يلي:

1. الجهل بأحكام الإسلام، وذلك نظراً لانتشار الأمية، وضعف القراءة

الجادة، وغياب الدور الحقيقي للمسجد، وتحجيم مادة التربية الإسلامية في أغلب البلدان الإسلامية كما وكيفا.



2. انحرافات في المفاهيم الإسلامية الأساسية، كالتركيز على جوانب من الإسلام كالعبادات، وتجاهل جوانب أخرى كالنظام السياسي والاقتصادي، فعلى الرغم من أن المسلم يعتقد أن الرزق مقسوم، نجد كثيراً منهم يأكل الربا، ويمارس الغش، ويأخذ الرشوة.
3. التبعية المعرفية، نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي عند غير المسلمين.
4. غلبة النزعة المادية، وسيطرتها على مشاعر المسلمين وهمومهم نتيجة التأثير بالحضارة الغربية المادية، فالهم الأكبر ليس ما أنجزه على صعيد مرضاة الله، وإنما ما زاد في ثروته، فهو المعيار في تحقيق القبول الاجتماعي.
5. ضعف التربية الأسرية، وترك الاهتمام بالبيت وبشؤون تربية الأطفال وغرس القيم الدينية ومتابعة سلوكياتهم، وتفضيل دفعهم إلى دور الحضانة أو العاملات، فأصبح البيت على هامش التربية بسبب انشغال الناس بهوم العيش والرزق، وساعدت السلوكيات المعاصرة على شيوع الرغبة في الاستزادة من الدخل ولم تعد الأسرة - لعدة أسباب - قادرة على القيام بالأعباء المتزايدة يوماً بعد يوم، مما أدى إلى ضعف القدرة على رعاية الأولاد.
6. ضعف دور المؤسسات التعليمية، في غرس القيم لدى الطلاب، وصار اهتمام المعلمين منصباً على تلقين المعارف وعلى إنهاء المقررات في أسرع وقت.
7. الغزو الفكري الثقافي، الذي يشوه الإسلام، ويمارس التغريب الثقافي، وبخاصة من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وعلى رأسها النت، مما أدى إلى إبعاد الشباب عن عاداته وأعرافه الأصيلة، ودفعه للانبهار بالثقافات الأخرى وعلى رأسها الثقافة الغربية، فتخلّى رويداً رويداً عن ثقافته مقابل تقليده وتأثره بالثقافات الأخرى، لدرجة بات البعض يرى أن سبب تراجع الحضارة عند المسلمين هو الإسلام نفسه.

## دَوْر الثقافة الإسلامية في التقدم

التقدم والتخلف شيء نسبي، يمكن أن يوصف به الأفراد أو الأمم، فالتقدم إنما يكون قياسه بالنسبة للآخرين، وكذلك التأخر أو التخلف.

ويسأل البعض: هل هنالك تلازم بين التقدم والتخلف في الجانبين الإنساني والمادي؟ بمعنى: هل الأمة المتقدمة مادياً هي قطعاً متقدمة إنسانياً؟ وهل الأمة المتخلفة مادياً هي قطعاً متخلفة إنسانياً أو ثقافياً؟.

والجواب عن ذلك هو كالجواب عن السؤال التالي: هل الفرد القوي مادياً هو قطعاً قوي خلقياً؟ لا، فيمكن للفرد القوي جسمياً أو للغني مادياً أن يكون صاحب خلق رفيع، كما يمكن أن يكون صاحب خلق وضيع، وكذلك الإنسان المريض أو الفقير يمكن أن يكون ذا خلق رفيع، أو ذا خلق وضيع، فلا تلازم بين الجانبين.

وكذلك الأمم، فإنه يمكن أن تكون الأمة متقدمة مادياً ومتخلفة إنسانياً أو ثقافياً، كما يمكن للأمة المتخلفة مادياً أن تكون متقدمة إنسانياً، فلا تلازم بين الجانبين، ولقد حاول أعداؤنا أن يقنعونا بأن تأخرنا المادي إنما هو بسبب تخلف عقيدتنا وديننا وثقافتنا، وانطَلَتِ الحِيلَةُ على كثير من المسلمين، وظنوا أنه لا مجال لتقدمنا المادي إلا إذا غيرنا ثقافتنا وديننا، وليس ذلك من الحقيقة في شيء، فهذه الأمم المتقدمة مادياً تعيش في ثقافات مختلفة، بعضها مادي كالغرب، وبعضها وثني متخلف كاليابان، ولم تمنعها ثقافتها المختلفة من تقدمها المادي.

ومع عدم وجود التلازم بين الجانبين فإنه يلاحظ أن التقدم الإنساني في أغلب الأحوال يُنتِجُ تقدماً مادياً، كما حدث في التاريخ الإسلامي، فقد جاء الإسلام والعرب في جاهلية، ولما دخلوا الإسلام كانوا في قِمَّةِ التقدم الثقافي الإنساني، ولكنهم في البداية لم يكونوا متقدمين مادياً، وبعد أجيال قليلة وصلوا أيضاً إلى قِمَّةِ التقدم المادي. ولكن التقدم المادي لا يوصل غالباً إلى التقدم الإنساني، ففي الماضي كان الروم والفرس في قِمَّةِ التقدم المادي، ولم يجعلهم ذلك يتقدمون إنسانياً، بل كان ذلك

سبباً في بعدهم عن الدخول في دين الله، قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ﴾ (العلق 6-7).

وها هو العالم الغربي اليوم يعيش قمة مجده وتقدمه المادي، وفيه من التقدم الإنساني ما لا يخفى، ولكنه يعيش أيضاً تخلفاً إنسانياً في عدد من مجالات الحياة، واليك أهمها:

1. كثرة الجرائم، من سرقة واغتصاب وقتل، وذلك بالنسبة إلى عدد السكان، فكيف يمكن أن يشعر الناس بالسعادة والأمان؟.
2. كثرة الأمراض النفسية والإدمان والانتحار، فهل يصاب الناس بالأمراض النفسية ويدمنون وينتحرون من شدة السعادة؟ أم من التعاسة والشقاء؟.
3. التفكك الأسري، من عزوف عن الزواج، وكثرة الطلاق، والتخلي عن الأطفال أو قتلهم، وضرب للزوجات، وهجر للآباء والأمهات، فهل هذا هو التقدم؟.
4. التمييز العنصري، بحيث يقاس الإنسان بلونه، لا بعقيدته وسلوكه وعمله الصالح، فأين العدالة؟ وأين التقدم في ذلك؟.
5. إنفاق المليارات على الكلاب والقطط، والناس يموتون جوعاً.
6. استعمار الشعوب وإذلالها، ونهب ثرواتها، كما حدث في القرن العشرين، بل وكما يحدث الآن في مناطق كثيرة من العالم، وبخاصة العالم الإسلامي، كما في فلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها.
7. استعمال أسلحة الدمار الشامل ضد المدنيين، كما حدث في ضرب الولايات المتحدة لليابان بالقنابل النووية، وكما حدث في فيتنام والعراق وغيرها.
8. قوانين الأدلة السرية التي تسمح بسجن من تشاء دون تقديم أدلة، ولا يسمح للمحامين ولا للمحكمة الاطلاع عليها، كما في الولايات المتحدة الأمريكية،

ويطبق هذا على المسلمين فقط، وقد سجن بعضهم عدة سنوات بناء على هذا القانون الظالم.

فهل يمكن أن توصف الأمم التي تمارس ذلك بأنها دول وأمم متقدمة إنسانياً؟. ولذلك فلا يصح أن تسمى الأمة متقدمة إلا إذا كانت متقدمة في الجانبين الإنساني والمادي، ولا تسمى متخلفة إلا إذا كانت متخلفة في الجانبين، أما إذا كانت متقدمة في جانب ومتخلفة في جانب فيقال لها: متقدمة في كذا ومتخلفة في كذا. وهذا التقدم الشامل في الجانبين نعتقد أنه لم يحدث في التاريخ إلا في ظل الإسلام، تصوراً وسلوكاً، عقيدة وشرعة، ديناً ودولة.

### شروط التقدم الشامل

لا شك أن الأمم تسعى إلى التقدم الشامل في كل جوانب الحياة، ولكنها كثيراً ما تخطئ الطريق، فما هي شروط التقدم الشامل؟.

إن للتقدم الشامل شروطاً لا بد منها وهي:

1. **العقيدة الصحيحة:** فالثقافة الخاطئة لا يمكن أن تنشئ تقدماً شاملاً، وهذا هو سبب التخلف الذي عاشته الجاهليات القديمة، وسبب ما يعيشه العالم الغربي الآن في المجالات التي ذكرناها، فكيف يمكن لعقيدة غير مقنعة أن تزيل الحيرة والشك من نفس الإنسان؟.

وكيف يمكن لعقيدة لا تؤمن بالآخرة أن تقيم العدالة في الأرض فلا يعتدي القوي على الضعيف؟ وهكذا.

وقد أكرمنا الله تعالى بالعقيدة الصحيحة، ولكنها لم تتحول إلى مشاعر وسلوك بالقدر الذي يكفي لتقدم الأمة.

2. **القيم الصحيحة:** وهذه القيم قد تكون نابعة من دين رباني، ويمكن أن تكون نابعة من قناعات الناس في مجتمع ما، لأنهم وجدوا بالتجربة أنها تحقق مصلحة

للمجتمع كله، وذلك كقيمة الصدق والنظام والعمل والنظافة والالتزام بالمواعيد والعدالة والمساواة، وقد جاء الإسلام بكل القيم الصحيحة، ولكن المهم هو الالتزام بها.

3. الشورى: فلا يمكن التقدم إلا بالشورى الحقيقية، وهي من الواجبات على

الحاكم حتى لو كان رسولا، وذلك تنفيذا لأمر الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران 159)، ولا يمكن للشورى أن تكون حقيقية إلا إذا راعت التمثيل الصحيح للأمة، ولذلك فقد طلب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج يوم بيعة العقبة الكبرى، أي قبيل الهجرة وإقامة الدولة الإسلامية الأولى، طلب منهم أن ينتخبوا ممثلهم فقال: (أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس)<sup>1</sup>، وذلك لأن عدد الخزرج كان حوالي ثلاثة أضعاف عدد الأوس.

ولا يمكن للشورى أن تكون حقيقية إلا إذا التزم الحاكم بنتيجتها وإن خالفت رأيه، ولذلك كان رسول الله ﷺ يلتزم بنتائجها ما لم ينزل في المسألة وحي من الله تعالى، فقد التزم بها حينما استشار في غزوة أحد في الخروج للقتال أو القتال متحصنين في المدينة، وكان رأي الأكثرية أن يخرجوا لقتال عدوهم، وكان ذلك مخالفا لرأي رسول الله ﷺ ومن معه.

4. مؤسسات المجتمع المدني: وهي المؤسسات غير الرسمية، فإن العمل الفردي لا يكفي لتحقيق تقدم المجتمعات، ولذلك لا بد من العمل الجماعي المنظم، ويتم هذا في عصرنا من خلال الجمعيات بمختلف أنواعها: الثقافية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ومن خلال الأحزاب السياسية، ومن خلال النقابات، ومن خلال المؤسسات الإعلامية، وغيرها من المؤسسات غير الرسمية، ولا بد أن تقوم هذه المؤسسات جميعها بدورها، وإن قيام هذه المؤسسات بدورها في أوروبا وأمريكا وغيرها سبب رئيسي لتقدمها.

<sup>1</sup> حديث حسن، مسند أحمد 93/25، بتحقيق شعيب الأرنؤوط.

5. **الاستقرار:** إن المجتمع الذي تسوده الفتن الداخلية لا يمكن أن يتقدم، ولا يمكن أن يحدث الاستقرار إلا في ظل العدالة، أما المجتمعات التي يسودها الظلم فإن المظلوم يظل يتربص بالظالم حتى تحين الفرصة المناسبة فينتقم منه، وتتربص فيها الشعوب بالحكومات الدكتاتورية، فلا يمكن أن يحدث التقدم الشامل. ولا يمكن أن تسود العدالة الحقيقية إلا في ظل الحرية الحقيقية التي يعبر فيها الإنسان عما يريد، ويختار فيها الشعب حاكمه بحرية حقيقية، دون بطش أو تزوير، كما قال عمر بن الخطاب: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. يقال إن رئيس وزراء بريطانيا سأل مستشاريه بعد الحرب العالمية الثانية: هل بريطانيا بخير؟ قالوا: إنها مدمرة قال: هل العدالة بخير؟ قالوا: نعم، قال: إذن فبريطانيا بخير.

وقد حقق الإسلام الاستقرار في المجتمع من خلال نظام يحقق العدالة بين الناس وبين الحاكم والمحكوم، وبين المسلمين وغيرهم، وهكذا.

6. **استثمار الطاقات البشرية والمادية:** وذلك من خلال استغلال الأيدي العاملة وتدريبها، وتشجيع الإبداع، والاستفادة من كل ما خلق الله لنا في هذا الكون من أرض وماء ومعادن وبتروول ونبات وحيوانات وطاقة شمسية الخ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ (لقمان 20).

7. **اغتنام الوقت:** إن من أحسن ما قيل في أهمية الوقت (الوقت هو الحياة) نعم إن حياة الإنسان ما هي إلا مجموعة من الأوقات، قال الشاعر:  
دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ      إن الحياة دقائق وثواني

فالذي يضيع وقته إنما يضيع حياته من حيث يدري أو لا يدري، وقد حثنا الإسلام على استغلال الوقت من خلال:  
• القَسَمَ بالفجر والضحي والعصر والليل والنهار.

• العبادات، فيجب أن تكون في أوقات محددة، وهكذا يدرينا الإسلام على استغلال الوقت بطريقة عملية، ولكن كثيراً من المسلمين لا يستفيدون من ذلك عملياً.

• الحث المباشر على استغلال الوقت كقول رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) <sup>1</sup>.

8. التخصص: فالمتخصص يُنتِج أكثر، وبشكل متقن أكثر، وبوقت أقل، وجهد أقل، وقد لفت الإسلام انتباهنا لأهمية التخصص في كل مجالات الحياة من خلال:  
أ- الحث المباشر، كقوله تعالى ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل 43) ومن معانيها: أهل التخصص، وكقوله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) <sup>2</sup>. ولا يمكن أن يتقن العمل إلا المتخصص.

ب- إبراز المتخصصين، فقد قال رسول الله ﷺ (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشْدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدُقُّهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَوُّهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي بَكْرٍ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفَرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) <sup>3</sup>.

ج- النهي عن قول أو اتباع ما لا علم للإنسان به، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء 36) أي لا تقل ولا تتبع، ولذلك فإن من مظاهر تخلف المجتمع أن

<sup>1</sup> حديث صحيح، المستدرک للحاکم، کتاب الرقاق، رقم الحديث 7846، دار الكتب العلمية، بيروت.

<sup>2</sup> حديث حسن، شعب الإيمان للبيهقي، رقم الحديث 5312، مكتبة الرشد، الرياض.

<sup>3</sup> حديث صحيح، سنن ابن ماجه، باب فضائل زيد بن ثابت.

يتكلم الناس فيه فيما لا يعلمون، فكلهم يتحدث في الدين والطب والاقتصاد والسياسة، وكل شيء.

ولذلك فإن التخصص في كل المجالات النافعة في الدين والدنيا فرض كفاية، وكلما كانت الأمة بحاجة أكثر إلى تخصص معين كان أجره أعظم، وهذا حافز ديني، وعلى الدولة أن تضع من الحوافز المادية والمعنوية ما تشجع الناس به على التخصص في كل مجال تحتاجه الأمة.



## الوحدة الثانية

### مصادر المعرفة، ومصادر الثقافة الإسلامية، وروافدها

#### مصادر المعرفة

##### تعريف المعرفة

المعرفة هي العلم عند بعض العلماء، وفرق بعضهم بينها وبين العلم بفروق من أهمها:

- أن المعرفة تكون مسبقة بجهل، بخلاف العلم فلا يشترط فيه أن يسبقه جهل، ولذلك نقول: الله يعلم، ولا نقول: الله يعرف.
  - أنها تكون فيما تدرك آثاره، بخلاف العلم، فإنه يكون فيما يدرك ذاته أيضا، ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال فلان يعلم الله.
- وبناء على رأي الذين يفرقون بينهما فإن كل معرفة علم، وليس كل علم معرفة.

##### أقسام المعرفة:

قسّم العلماء المعرفة قسمين رئيسيين هما:

- القسم الأول: المعارف العامة، وهي:** ما يدركه عامة الناس، وهي معرفة سطحية، تعتمد في أغلبها على الحواس، ولا تحتاج إلى جهد عقلي.
- القسم الثاني: المعرفة العلمية، أو التخصصية، وهي:** ما يعرفه المتخصصون بالوسائل المعتمدة في تخصصاتهم.

##### أهمية المعرفة:

إن المعرفة هي سر التقدم الإنساني في جميع المجالات، وسبب سعادته في الدنيا والآخرة، وهي التي تميزه عن الحيوانات، ولذلك نرى القرآن الكريم يعطي الإنسان

مفاتيح المعرفة، ويأمره باستخدامها استخداماً يؤدي إلى الغرض الذي انتدبه الله سبحانه إليه، والآيات في ذلك كثيرة، ابتداء من أول آيات نزلت من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَفَرَأَى وَرَبُّكَ الْأَكْثَرُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: 1 - 5].

### أنواع المعرفة:

تختلف أنواع المعرفة باختلاف الاتجاهات الفكرية والمذهبية، ومن أشهرها:

#### أولاً: المعرفة التأملية (العقلية):

وهي التي تقوم على أساس التأمل العقلي، ويرى القائلون بها أن العقل وحدة كاف في الوصول إلى المعارف وإدراك حقائقها ومفاهيمها، بعيداً عن الحواس التي لا علاقة لها بالمعرفة، ذلك لكثرة وقوعها في الأخطاء فهي لا تصلح أساساً للمعرفة، فقد كانوا لا يكتفون بالحس فقط في إثبات أن النار تحرق، ولكنهم يطلبون لذلك دليلاً عقلياً! ولا شك أن هذه مبالغة في قدرة العقل واستغنائه عن الحواس والوحي، فالعقل له مجال معين، ولا يستطيع الحكم في غير مجاله، فلا يُعرف وجود الملائكة أو الجن مثلاً بالعقل.

كما أن أحكام العقل أحياناً ظنية وليست قطعية، ولذلك لا بد أن يستعين العقل بمصدر آخر من مصادر المعرفة.

#### ثانياً: المعرفة الحسية والتجريبية:

وهي التي تعتمد على الحس والتجربة، ويعتقدون أنها منبع المعرفة وأساسها الوحيد، وكل علم فأساسه التجربة، والعقل لا دور له فيها، بل هو صفحة بيضاء، وهو تابع للحواس ومتأثر بها، فلا يدرك الحقائق إلا عن طريقها، ولا يستمد اليقين من غيرها. والحواس التي هي مصدر هذه المعرفة قسمان: ظاهرة: وهي السمع والبصر واللمس والشم والذوق، وباطنة: يعبر عنهما بالإحساس الباطني.

والحواس بقسميها هي السبيل الوحيد للصلة بالعالم، ولولاها لأصبح العالم من وجهة نظرهم معدوماً أو شبه معدوم.

ولا شك أيضاً أن في هذا مبالغة في دور الحواس على حساب العقل، فإن وجود الخالق لا يعرف بالحواس مثلاً، وإنما يعرف بالعقل.

### ثالثاً: المعرفة التوفيقية (المذهب النقدي):

وهي التي تجمع بين الحس والعقل معاً، ويرفضون أن تكون المعرفة من مصدر واحد فقط، ولا شك أن هذا هو الأقرب للصواب، ولكنه بحاجة إلى الخبر الصادق لتكتمل مصادر المعرفة.

### رابعاً: المعرفة البراغمية (العملية).

وهي المعرفة التي تقوم على أن معيار الحقيقة هو نجاح العمل فقط، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما، أو فكرة ما هو كونها حقيقة مفيدة، فهي تجعل من العمل مبدأ مطلقاً ثم تستخلص منه المعرفة.

ولا شك أن هذا إن صح في بعض المجالات التجريبية فإنه لا يصح في كل المجالات، وبخاصة المجالات الإيمانية كالإيمان بالغيب، والمجالات الأخلاقية.

### مصادر المعرفة:

يولد الإنسان لا يعلم شيئاً، فمعلوماته عند الولادة صفر، وهذه حقيقة قرآنية، ثم جاء العلم مؤكداً لها، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، فمن أين تأتي المعلومات للإنسان؟

للمعرفة ثلاثة مصادر، نذكرها حسب ترتيبها الزمني، وهي:

1- الحواس، وهي بقسميها المصدر الأول للمعلومات، ويبدأ بعضها كالسمع وهو جنين، وبعضها بعد الولادة مباشرة، وبعضها كالإبصار بعد أيام، وهي في غاية

الأهمية للإنسان، ومن فقد حاسة منها نقصت معلوماته، وبها يتعرف الإنسان على الأشياء من حوله.

ولكن هذه الحواس محدودة، فليس كل شيء يدرك بالحواس، ومثال ذلك عالم الغيب، والقضايا الفكرية.

كما أن الحواس ربما أخطأت، وهذا قليل نسبياً، ومثال ذلك ما تراه العين من انكسار القلم إذا أدخلناه الماء، وكذلك رؤية السراب.

كما أن اختلاف الناس فيما تدركه الحواس قليل نسبياً كذلك، ولذلك فالحواس من أقوى المصادر من هذه الزاوية، فقلما يختلف الناس في المعلومات التي تدركها. وأهم حاستين يعتمد الإنسان عليهما كثيراً هما حاستا السمع والبصر، ولذلك ذكرهما الله في القرآن كثيراً وميزهما عن بقية الحواس الأخرى.

## 2- العقل: وهو أداة التفكير.

وقد ميز الله به الإنسان عن بقية المخلوقات، فذو العقل يفهم، ويحلل، ويستنبط، ويربط الأسباب بمسبباتها، ومن لا يستخدم عقله يكون أقل درجة من الحيوانات التي أشار الله إليها بقوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: 22).

والعقل لا يقتصر على ما تمده الحواس به، بل يزيد على ذلك بالتفكير في حقائق الأشياء، وقياس الأشياء بعضها على بعض، ويخرج بنتائج ذات قيمة مادية ومعنوية، ويستخلص مبادئ وقوانين عامة من أمور جزئية.

والعقل هو الذي يضع الاحتمالات لتفسير ما تدركه الحواس، ثم يتم فحص هذه الاحتمالات بمقاييس عقلية أو مادية، فإن ثبتت فهي حقيقة علمية، وإلا فهي نظرية. ومع ذلك فإن العقل محدود، فلا يدرك ما تدركه الحواس، ولا يستطيع التفكير خارج نطاق الزمان والمكان، ولا يستطيع إدراك عالم الغيب.

كما أن الاختلاف في القضايا العقلية كثير جداً، فأغلب الأمور يختلف فيها العقلاء، فصحيح أن بعض أحكام العقل قطعية لا يختلف فيها العقلاء، ولكن هذا قليل جداً، فأكثر أحكام العقل ظنية، ولذلك يختلف فيها العقلاء.

**3- الخبر الصادق،** وعلى رأسه الوحي المتمثل بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الصحيحة، فالوحي من أهم مصادر المعرفة الإنسانية، وذلك أنه يجيبنا على ما لا نستطيع حواسنا وعقولنا الإجابة عنه، كما أنه صادق يخلو من عوارض الشك والظن لأنه من الله سبحانه وتعالى.

ولكن وصوله إلينا على قسمين: قسم قطعي الثبوت كالقرآن الكريم كله، وكالأحاديث المتواترة، وقسم ظني الثبوت - أي أنه قد صدر غالباً عن النبي ﷺ - وهو مثل أكثر الأحاديث النبوية.

كما أن الوحي محدود أيضاً، فليس فيه جواب عن كل شيء. إذن فمصادر المعرفة كلها محدودة، ولكل واحد منها مجاله الخاص، الذي ربما تقاطع مع غيره، وبعضها قطعي وبعضها ظني، ولذلك لا بد من الأخذ بها كلها، وهي تتكامل ولا تتعارض، وقد أخذ الإسلام بها كلها بشكل متكامل، وهو مما تميز به الإسلام عن بقية الثقافات، ولذلك يمكن أن نسمي المعرفة في الإسلام بـ (المعرفة التكاملية).

وسنتحدث بعد ذلك عن مصادر الثقافة الإسلامية الخاصة بها، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

## مصادر الثقافة الإسلامية المصدر الأول: القرآن الكريم

### المبحث الأول: معنى القرآن وعلاقته بالوحي والكتب السماوية

(القرآن) الكريم وهذا اسمه الرئيسي، ويسمى (الكتاب) وهما أشهر اسمين، وهذه إشارة إلى حفظ هذا الكلام في طريقتي الحفظ والكتابة.

### القرآن الكريم في الاصطلاح

القرآن الكريم هو: كلام الله، المعجز، المتعبد بتلاوته، المنزل على محمد ﷺ، المنقول بالتواتر<sup>1</sup>، وهذا شرح موجز للتعريف:

كلام الله: فهو كله كلامه سبحانه وحده.

المعجز: الذي لا يستطيع المخلوقون الإتيان بمثله، وقد أراده الله المعجزة الأولى لنبيه محمد ﷺ، وهذا يُخرج الكتب السماوية الأخرى، لأنها ليست معجزة.

المتعبد بتلاوته: أي إن مجرد تلاوته عبادة، حتى لو كان بدون فهم، كما هو حال أكثر المسلمين غير العرب، وهذا يخرج الأحاديث القدسية.

المنزل: أي على النبي ﷺ، وهذا يفرق بين كلام الله المنزل وغير المنزل، فلم ينزل كل كلام الله<sup>2</sup>، حيث يقول تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: 109).

وقد نزل القرآن الكريم مفرقا لحكم من أهمها:

1. تيسير حفظه وفهمه.

---

<sup>1</sup> مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح<sup>21</sup>.

<sup>2</sup> مباحث، القطان<sup>21</sup>.

2. تثبت النبي وصحبه، قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان 32) وهذا لتحقيق التأييد المستمر لشخص النبي الكريم ومن معه من المؤمنين.

3. التدرج في تربية هذه الأمة على أفضل صورة، حيث كان نزول القرآن طيلة هذه المدة فرصة للتدرج في تربية الأمة، وتشريع أحكامها، والانتقال من مرحلة لأخرى.

**المنقول بالتواتر:** وهو الخبر الذي ينقله جمع يؤمن تواترهم على الكذب، أو وقوعهم في الخطأ، عن جمع مثله، من أول السند إلى منتهاه. وبهذه الخصائص تميز القرآن عن غيره من الكتب السماوية وعن أي نص مقدس عند أصحابه.

### المبحث الثاني: تاريخ القرآن

لم يلق كتاب من الكتب من العناية والرعاية ما لقيه القرآن الكريم، وسنقسم الحديث عن تاريخ القرآن إلى ثلاثة أقسام هي:

**أولاً: كتابته زمن النبي ﷺ:**

ويمكن تلخيص مراحل الكتابة الأولى زمن النبي ﷺ في النقاط التالية:

1. كان النبي ﷺ يملئ كل ما يوحى إليه على كتاب سُموا كُتَّاب

الوحي.

2. كُتِبَ القرآن على ما تيسر من وسائل الكتابة حينئذ، وكان أكثر من

واحد يكتب النص نفسه، ويحتفظ به عنده، كل هذا إضافة إلى

حفظه في الصدور.

3. كتب القرآن كله، وكان مرتب الآيات، حيث كان النبي ﷺ يأمرهم بتحديد موضع كل آية، وهذا يعدّ أمراً توقيفياً، لا علاقة له بالاجتهاد أبداً، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء.
4. لم يجمع النبي ﷺ القرآن قبل وفاته في كتاب، لتعذر ذلك بسبب وسائل الكتابة، ثم إن القرآن كان ما زال يتنزل، ثم إن النبي ﷺ لم يكن يعلم بوقت انتهاء أجله.

**ثانياً: جمعه زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.**

في زمن أبي بكر حدثت حروب الردة التي قُتل فيها عدد كبير من الصحابة الكرام، منهم القراء والحفاظ، وهذا أمر تنبه له عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث طلب من أبي بكر أن يجمع القرآن، خشية أن يذهب شيء من القرآن، وفي البداية رفض أبو بكر هذا الطلب وقال: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، ولكن عمر بين أهميته، وأنه خير، فشرح الله صدر أبي بكر لذلك، وطلب من زيد بن ثابت وهو أحد كتّاب الوحي المتميزين أن يقوم بالمهمة، فقال: (وَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِّنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ)<sup>1</sup>.

**ويمكن تلخيص ما تم بشأن الجمع زمن أبي بكر في النقاط التالية:**

1. طلب الخليفة من الصحابة أن يأتي كل واحد بما عنده من القرآن.
2. اتفقوا أن لا يُقبل شيء إلا إذا توفر فيه شرطان هما<sup>2</sup>:
  - أن يأتي الصحابي بشاهدين يشهدان أن هذا النص كتب بحضرة النبي ﷺ.
  - أن يوافق المکتوب المحفوظ عند الصحابة.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

<sup>2</sup> انظر ذلك بالتفصيل في مناهل العرفان، 1/245-246، مباحث في علوم القرآن، الصالح-75.



3. جُمع القرآن بين دفتين، وسمي من حينها المصحف<sup>1</sup>.
4. بقي المصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر، أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين<sup>2</sup>.

### ثالثاً: نسخه زمن عثمان رضي الله عنه:

في زمن عثمان توسعت الدولة الإسلامية، وكثر الداخلون في الإسلام من العجم وكثر اللحن (الخطأ)، فاستشار عثمان الصحابة واستقر أمرهم على خطوات نسخ القرآن:

1. شكلت لجنة على رأسها زيد بن ثابت، مهمتها نسخ القرآن في صحف، وإرسال هذه الصحف إلى الأمصار.

2. أحضر عثمان المصحف الموجود عند حفصة ليكون الأصل في عملية النسخ.

3. كتبت ست مصاحف على الأقل، أرسلت إلى الأمصار الرئيسة، وهي: مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة، وبقي عند الخليفة مصحف، وهذه المصاحف هي المشهورة بالمصاحف العثمانية<sup>3</sup>.

4. أرسل الخليفة مع كل مصحف قارئاً أو أكثر من الصحابة أو من كبار التابعين، ليكون المرجع في ضبط النص المكتوب في المصحف المرسل إليهم، فمن المعلوم أنه لم يكن هناك ثمة تنقيط ولا تشكيل.

---

<sup>1</sup> مباحث في علوم القرآن، الصالح، 77-78، والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 77/1.

<sup>2</sup> مدخل إلى القرآن الكريم، 37.

<sup>3</sup> مباحث في علوم القرآن، الصالح، 79-80، ومدخل إلى القرآن 43-44، ومناهل العرفان 250/1-

5. أمر الخليفة بما سوى هذه المصاحف أن يحرق، خوفا من وقوع بعض الأخطاء في بعض النسخ الفردية، أو تداخل بعض الكلمات التفسيرية بالنص القرآني،

وبرغم الذي ذكرناه عن القرآن وتاريخه، إلا أن بعض أعداء الإسلام يثيرون بعض الشبهات وبخاصة على (الإنترنت)، فهناك مواقع كثيرة من ورائها بعض المتعصبين الكارهين لهذا القرآن يزعمون أن هناك أخطاءً نحوية أو لغوية فيه! وهذا يؤكد جهلهم باللغة العربية، وحقدهم على الإسلام.

وأثار بعض المستشرقين بعض الشبهات، وتلخصت أقوالهم في أنه لم يكتب القرآن كله زمن النبي ﷺ<sup>1</sup>.

وباختصار: فالقرآن محفوظ بحفظ الله له، ثم إنه منقول بالتواتر، وكان عدد كبير من الصحابة يحفظه غيباً، وهكذا عند التابعين ثم تابعيهم، فالنص نقل إلينا كما هو، وثبت ثبوتاً قطعياً، وهكذا أخذ كل جيل القرآن عن الجيل الذي سبقه، ولم يلق كتابٌ عناية كما في القرآن، فلا نجد كتاباً يحفظه أهله عن ظهر غيب إلا القرآن. وعلى وجه العموم، فالأحاديث واضحة في أن الكتابة كانت موجودة، وأن النبي ﷺ كان يملئ على كتاب الوحي ما يوحى إليه، وهذه مسألة مجمع عليها مبسطة في كتب علوم القرآن وتاريخه، بل عند المستشرقين أنفسهم<sup>2</sup>.

### المبحث الثالث: موضوعات القرآن

القرآن الكريم هو مصدر الثقافة الإسلامية لمعظم أسسها وتشريعاتها، فهو الأصل الذي فصل الأحكام تارة وأصلها تارة أخرى، وجاءت السنة لتكمل أحكامه وتبينها.

<sup>1</sup> إتيان البرهان في علوم القرآن، فضل عباس، دار الفرقان، عمان، ط1، 1997، 210/1.

<sup>2</sup> انظر آراء جيفري في جمع نص القرآن دراسة نقدية، محمد المجالي، وأحمد شكري (مجلة دراسات: سلسلة الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مجلد/24، العدد/1، 1997).

## موضوعات القرآن الرئيسية:

يمكننا تقسيم القرآن من حيث موضوعاته إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي العقيدة والتشريع والأخلاق، وذلك كما يلي:

**أولاً: آيات العقيدة:** يركز القسم المكي من القرآن على موضوع الإيمان، إذ يعد الإيمان الأساس للبناء، وصدقت السيدة عائشة أم المؤمنين وهي تقول (إنما نزل أول ما نزل أي من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً)<sup>1</sup>.

ومن القضايا الكبيرة في آيات العقيدة إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته من خلال آيات الله في الكون، ووظيفة الإنسان في الحياة، وأن حق التشريع لله وحده، والموت والبعث والجنة.

## ثانياً: آيات التشريع: يمكننا تقسيم آيات التشريع إلى أربعة أقسام:

1. **الآيات المتحدثة عن المبادئ العامة للتشريع،** كاليسر، وتحقيق مصالح البشر، ودرء المفساد عنهم، وأنها جاءت لتُحلّ الطيبات وتحرم الخبائث، فمثل هذه القواعد ذكرت في القسم المكي من القرآن، وشيء منها في القسم المدني، ومن هذه القواعد قوله سبحانه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة 185)، وقوله ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف 157)، وقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة 286) وغيرها.

2. **الآيات المتحدثة عن تشريع العبادات:** كأركان الإسلام

وغيرها مما يتقرب به العبد إلى الله من مناسك وذكر.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (أي نسخه).

3. الآيات المتحدثة عن تشريع المعاملات: وهي المعنية بتنظيم علاقة الفرد بغيره، وتنظيم المجتمع، وعلاقات أفرادها، وعلاقته بغيره من المجتمعات والدول.

4. الآيات المتحدثة عن تشريع العقوبات: وهي الأحكام التي شرعت لضمان أمن المجتمع وحفظ هيئته.

ثالثاً: آيات الأخلاق: فإن الأخلاق هدف رئيس للتشريعات الإسلامية، وقد تكفل القرآن ببيان هذه الأخلاق والآداب.

#### المبحث الرابع: إعجاز القرآن

الإعجاز هو: إثبات عجز المخلوقين عن الإتيان بمثل القرآن. ولإعجاز القرآن الكريم أوجه متعددة، أهمها:

#### الإعجاز البياني

ويطلق عليه أحياناً الإعجاز البلاغي أو اللفظي أو اللغوي، وهو: أن القرآن بنظمه وبيانه فوق قدرة الخلق أن يأتوا بمثله.

وهو الإعجاز الرئيسي للقرآن الكريم الذي أراده الله معجزة لنبيه ﷺ، وتحدى بها الجن والإنس، فما استطاعوا، وهو الذي يشمل القرآن كله، فالعرب كانوا أهل فصاحة وبيان، فتحداهم الله بأن يأتوا أولاً بمثله كما في قوله تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء 88).

ثم تدرج معهم حتى تحداهم أخيراً بأن يأتوا بسورة من مثله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ (سورة البقرة: 23).

ومن إعجاز القرآن البياني واللفظي احتواؤه على تلك الكلمات الرائعة بجَرسها وإيقاعها، واختيار الجملة بتركيبها العجيب المتغير المتنوع، وفق أساليب العرب وبأروع عرض، وبذلك المعاني الغزيرة للكلمات القليلة الموجزة، ولهذا التنوع في أساليب الكلام مما استتبطه علماء البلاغة فيما بعد.

ويمكن أن تدرج فيه ذاك التناسق والتماسك، فالقرآن وحدة كاملة رغم نزوله مفرقاً، فيشهد بعضه لبعض في صدقه وأنه كلام رب العالمين<sup>1</sup>. ويمكن توضيح ذلك لأهل عصرنا بأن المسلم يقرأ الفاتحة يومياً في كل ركعة، ولا يشعر بشيء من الملل بقراءتها، بينما لو قرأت أي نص بشري مرات كثيرة يومياً فإنك تملّه وتترك قراءته.

### الإعجاز التشريعي

فهو التشريع الوحيد الذي لا يحتاج إلى تعديل بعد مرور أكثر من 1400 سنة، وذلك بالرغم مما فيه من شمول وتفصيل، فمن أين لشخص أُمي أن يستطيع ذلك؟. والأمثلة على الإعجاز التشريعي كثيرة، ولكني أفف عند ثلاثة نماذج للإعجاز التشريعي:

**أولها: النظام الاقتصادي** الذي شهد العالم أنه أكثر نظام اقتصادي أماناً، وبعداً عن دورات الركود الاقتصادي، بالإضافة إلى عدالته بين المتعاملين.

**وثانيها: ذلك النظام الرائع للميراث**، الذي أعطى كل إنسان من الورثة حقه، وفق تشريع دقيق عادل، عجزت الأنظمة الوضعية كلها عن أن تصل إليه.

**وثالثها: تشريع العقوبات التي تبدو شديدة في ظاهرها**، لكنها رحمة للإنسان، وأمن للمجتمع في واقع الأمر، لما تحقّقه من ردع لكل من تسول له نفسه بالاعتداء.

### الإعجاز في الإخبار عن الغيب

---

<sup>1</sup> تفصيل هذا الوجه في إعجاز القرآن للباقلاني، (عالم الكتب، بيروت، ط/1، 1988)، ص/52-65.

يمكننا تقسيم الغيب إلى قسمين: غيبٌ ماضٍ لم يعاصره النبي، وغيب مستقبلٍ لم تقع أحداثه بعد، ففي القرآن حديث عن هذين النوعين من الأخبار، وهو أمر لا يمكن تخيله لبشر مهما كان عبقرياً.

ومن أمثلة الغيب الماضي كيف كشف القرآن عن عقيدة اتخاذ (العُزَيْر) ابناً عند اليهود، ولم تكن هذه العقيدة معروفة عندهم في التوراة التي لديهم قبل أن ينزل بها القرآن، ولكن الدراسات المقارنة لتاريخ الأديان كشفت أن هذه العقيدة كانت موجودة لديهم في زمن من الأزمان، وقد ضاعت حتى من كتبهم، فمن أين لمحمد ﷺ هذه المعلومة التاريخية عن الأديان القديمة التي لا يعرفها أصحابها في زمنه؟.

ومن أمثلة الغيب المستقبلي قوله تعالى ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ ﴾ (٢) فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ ٣ ﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ ﴾ (الروم 2-4) حيث تم تحديد كلمة (بضع) التي تعني من (3-9)، وفعلاً كان هذا بعد سبع سنين<sup>1</sup>، وقصة أن أبا لهب سيموت مشركاً هو وزوجته كما في سورة المسد.

وكذلك ما افتتحت به سورة الإسراء، والحديث عن إفساد بني إسرائيل، حيث الوصف الدقيق لإفسادهم الثاني، وهو الذي نعيش أيامه الآن، حيث يقول تعالى مخاطباً اليهود ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ (الإسراء 6)، وهذا لم يكن لبني إسرائيل بهذه الصورة إلا في زماننا، وهو المطابق للوصف العام في العلو الذي أخبر الله عنه في بداية الآيات ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾ (الإسراء 4)، فالعلو والإمداد بالمال والبنين، والقدرة على النفير والحرب كلها أمور تحققت، وما كان يمكن توقعها، ونحن ننتظر الوعد المؤكد إن شاء الله تعالى حين ينتصر الحق على الباطل، حيث يقول ربنا سبحانه بعد الآيات السابقة ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ

<sup>1</sup> البيان في إعجاز القرآن 254، صلاح الخالدي (دار عمار، عمان، ط2، 1991).

وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلَوُا تَتَبَرَّكُوا ﴿٧﴾ (الإسراء 7) ولكن هذا يحتاج إلى جهد بشري من الإيمان الحقيقي والإعداد والوحدة ثم التوكل على الله.

### الإعجاز العلمي

وهو: الإثبات العلمي أن القرآن والسنة من الله تعالى.

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن قضايا علمية دقيقة ما كان يعرفها محمد ﷺ ولا قومه ولا أهل عصره، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: من أعلم محمداً ﷺ بهذه الأمور ولم يكتشفها العلم إلا حديثاً؟ لا بد أن ذلك من عند الله<sup>1</sup>.

وكلما تقدم العلم وازدهر تبين لنا أن الدين الحق الوحيد من بين الديانات الكثيرة الموجودة على الأرض اليوم إنما هو الإسلام، وصدق الله العظيم ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت 53).

وهذه الآيات تتحدث عن خلق الإنسان ومراحل خلقه، وبعض الدقائق الخاصة بالإنسان كالجلد والبنان، وتتحدث عن الكون وسعته، وأصله وطبيعته، وعن تكوين الأرض والجبال والبحار، والهواء، والنباتات.

وينبغي التنبيه على أنه قد بالغ بعض الناس في التدليل على ظواهر علمية كثيرة من خلال القرآن، فالقرآن ليس فيه بالضرورة دليل على أي مسألة علمية، فهو في الأصل كتاب هداية، فلا نحمل القرآن ما لا يحتمل.

ومن الدراسات الجيدة للإعجاز العلمي في القرآن ما كتبه الدكتور شرف القضاة<sup>2</sup>، ومما بيّنه أن للإعجاز العلمي أربع مجالات رئيسية هي:

أ. عَدَمُ التَّعَارُضِ:

<sup>1</sup> البيان في إعجاز القرآن 260.

<sup>2</sup> كما في بحث: الإسلام والعلم، وكتاب: التصور الإسلامي.

فمن بين أكثر من ألف آية تتحدّث عن الكون بأرضه وسمائه ونجومه وكواكبه وغيومه وجباله وبحاره ونباتاته وحيواناته وعن الإنسان، لا نجد حقيقةً إسلاميةً<sup>1</sup> واحدةً تتعارض مع حقيقةً علميةً، فهل يمكن أن يكون ذلك صدفةً؟  
إنّنا نتحدّى العلماء في كلّ التخصّصات أن يأتوا بمثالٍ واحدٍ تتعارض فيه حقيقةً علميةً مع حقيقةً إسلاميةً، ذلك أنّ الذي خلق الكون هو نفسه الذي أنزل القرآن الكريم، فلا يمكن أن يكون بينهما تعارضٌ.

#### ب. السبّيقُ العلميُّ:

أي أن يسبق القرآن الكريم العلم في إثبات قضية علمية مما لم يعلمه الناس زمن النبي ﷺ، ثم يأتي العلم باكتشاف ذلك بعد قرونٍ طويلةٍ، فكيف يمكن أن يسبق القرآن العلم لو لم يكن من عند الله تعالى؟  
والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد عُقدت عدّة مؤتمرات لهذا الغرض، وأعلن بعض العلماء إسلامهم في هذه المؤتمرات<sup>2</sup>.  
وهذه القضايا العلمية التي لم تكن مكتشفةً، وسبق القرآن إلى ذكرها قد ذُكرت بأسلوبٍ لا يستكره الناس في عصر التنزيل من جهةٍ، ويفهمه الناس بعد اكتشاف القضية العلمية من جهةٍ أخرى، فلا يذكرها القرآن الكريم بشكل مباشر تماماً، وإنّما بشكل يستطيع أن يفهمه السابقون بصورة مبدئية صحيحة، ثم يفهمه من بعدهم بصورة أوضح، ويفهمه من عاش زمن اكتشاف القضية العلمية بصورة واضحة تماماً.  
ومن الأمثلة على السبّيق العلمي في القرآن الكريم ما يلي:

---

<sup>1</sup> الحقيقة الإسلامية: ما كان قطعي الثبوت والدلالة، والحقيقة العلمية: ما ثبت ثبوتاً قطعياً.  
<sup>2</sup> من أفضل ما صدر في هذا المجال إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومن أحسن ما صدر عنها كتاب "إنه الحق" بإشراف الشيخ عبد المجيد الزنداني، وهو على النت.



1. قال تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ (١٤)

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ (الحجر 14-15).

تتحدّث الآية عما يحدث لرواد الفضاء حين يغادرون الغلاف الجوّي، فقد كان يظنُّ النَّاسُ أنه كلما صعدنا في السماء واقتربنا من الشمس كان الضوء أكثر، ولكن العلم الحديث كشف عن أن ظاهرة الضوء موجودة في الغلاف الجوي للأرض فقط، أما بقية الكون فإنه يغرق في ظلام دامس، والسبب في ذلك أن الغلاف الجوي للأرض يحتوي على ذرات من بخار الماء والغبار، وهذه تساعد على نشر الضوء وتوزيعه، أما خارج الغلاف الجوي فإن الضوء لا ينعكس، فترى ضوء الشمس باهتاً، وترى ما حولها بلون أسود، والفضاء كله بلون أسود، وحينما نزل رواد الفضاء على القمر كانت سماء القمر سوداء، لأنه ليس له غلاف جوي، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في آيات من كتابه الكريم فقال ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴾ (الشمس 1-3) فالقرآن الكريم يبين أن النهار هو الذي يجلي الشمس، أي أن النهار، وهو الغلاف الجوي المقابل للشمس هو الذي يُجَلِّي - أي يوضِّح - أشعة الشمس، فأشعة الشمس موجودة، ولكن الغلاف الجوي هو الذي يزيدُها وضوحاً، وهذا هو الذي يحدث فعلاً كما أثبت العلم الحديث.

وهذا أمر لم يكن يخطر ببال أحد قبل القرن العشرين، فإذا خرج رواد الفضاء في مركبتهم الفضائية من الغلاف الجوي إلى خارجه، انتقلوا من مكان مضيء إلى مكان مظلم، وفي هذه اللحظات لا يرون شيئاً حولهم، وذلك كمن يخرج من غرفة مضيئة إلى غرفة مظلمة، فإنه في البداية لا يرى شيئاً، ثم يبدأ بؤيؤ العين بالاتساع تدريجياً فتتحسن رؤية الإنسان في الظلام قليلاً.

والآية تبين ذلك بوضوح، فقد بينت أنه لو فتح الله للناس باباً من السماء فظلّوا فيه يصعدون لقالوا قد أغلقت أبصارنا، أي أصبحنا لا نرى شيئاً، إن الآية تصف بوضوح هذه اللحظات التي يغادر فيها رواد الفضاء الغلاف الجوي للأرض، إنها آية

أنزلها الله تعالى ليفهمها الناس بشكل كامل في عصر الفضاء، فكيف لمحمد ﷺ أن يعلم ذلك لو كان القرآن الكريم من عنده؟

2. قال تعالى ﴿أَوْ كَظُلُمْتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَعَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُهُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور 40)، وهذه الآية تتحدث عن أعماق المحيطات وهو مكان لم يكن يعلم الإنسان عنه شيئاً، حيث إن الإنسان يمكن أن يغوص عشرة أمتار أو عشرين متراً بدون الوسائل الحديثة للغوص، فإذا نزل أكثر من ذلك نفد من رئتيه الأكسجين، وبدأت خلايا الدماغ بالموت، ثم يموت، كما أن الأوعية الدموية الدقيقة تبدأ بالانفجار نتيجة الضغط الهائل للماء عليها، إذن لا يمكن لإنسان أن يكون وصل إلى أبعد من ذلك ثم بقي على قيد الحياة.

ولكننا نجد في القرآن الكريم وصفاً لشيء موجود على عمق مئات الأمتار، حيث يبين أن هنالك موجين: موج سطحي، وهذا يراه الناس ويعرفونه، وموج عميق وهذا لم يره إنسان ولم يكتشفه العلماء إلا في حوالي منتصف القرن العشرين، ويبين القرآن الكريم أنه تحت هذا الموج العميق ظلام دامس بحيث لا يكاد الإنسان يرى يده.

3. قَالَ تَعَالَى ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ (النبا 7).

خلق الله تعالى الجبال لتقوم بتثبيت الأرض أثناء دورانها السريع حول نفسها، وهذه هي وظيفتها، ولذلك جعل الله تعالى لها جذوراً في أعماق الأرض، فأكثر طول الجبل يقع تحت سطح الأرض، وجزء صغير منه فوق سطح الأرض، وهذا هو شكل الوتد، وهو ما لم يكن يعرفه العلماء حتى القرن العشرين.

وقد وصف الله تعالى الجبال بكلمة واحدة تبين شكل الجبال ووظيفتها، وهذا من الإعجاز البياني.

4. قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْإِطْلَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١٤) (المؤمنون 12-14).

هذا المثال من علم الأجنة البشري، وهو علم لم تثبت المعلومات فيه إلا في النصف الثاني منه، وذلك بعد البدء باستخدام المجهر الإلكتروني.

وقد كان الأطباء حتى القرن السابع عشر - أي بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف سنة - يظنون أن الجنين يبدأ بشكله الإنساني الكامل، أي بأعضائه كاملة، ولكنه يكون صغيراً فقط، ثم يكبر في رحم أمه حتى تتم الولادة.

واليك بعض ما تبينه الآية بكل وضوح مما لم يكن يعلمه علماء الطب:

أولاً: أن الجنين يمر بعدة مراحل أثناء الحمل هي النطفة والعلقة الخ.

ثانياً: أعطت لكل مرحلة اسماً مناسباً لها:

- فمرحلة العلقه يكون الجنين فيها معلقاً بجدار الرحم، جسمه للأسفل والأربطة المتعلقة بها للأعلى، ويكون شكل الجنين كشكل دودة العلقه، وتكون الدماء فيه قد تكونت ولكنها لم تبدأ بالدورة الدموية، فدماء الجنين تكون عالققة، أي غير متحركة.

- ومرحلة المضغ يكون الجنين فيها كشكل المضغ وهي اللقمة، فيكون مستطيلاً ومقوساً، وفيه بدايات بروز الأعضاء وهي تشبه ما بين انغرازات الأسنان، ولو رأيت صورة الجنين في هذه المرحلة وصورة لقمة مضغتها الأسنان لما استطعت التمييز بينها.

ثالثاً: بينت ترتيب المراحل ترتيباً صحيحاً لم يكن يخطر على بال أحد قبل قرن

من الزمن، ومن ذلك أن العظام تتكون قبل اللحم.

### ج. التحدي العلمي: <sup>1</sup>

تحدى الله تعالى العلماء بأمور علمية متعددة، منها: الخلق من العدم، والإحياء بعد الموت، أو نفخ الروح في الجمادات، ومن أشهر الآيات التي تذكر التحدي العلمي قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان 34).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ) <sup>2</sup>.

في هذه الآية وفي الحديث النبوي خمس تحديات، ويمكن جمعها في ثلاث تحديات، فما هو وجه التحدي في كل منها؟

**التحدي الأول:** هو علم المستقبل مما لم يجعل الله له قانوناً ثابتاً، ويشمل هذا علم وقت الساعة، وعلم ماذا يكسب الإنسان غداً، وعلم أين يموت، والمتحدى به في كل ذلك أن يعلم الإنسان شيئاً من ذلك يقيناً، لأن العلم معناه المعرفة اليقينية، أي 100% فمن الذي يعلم يقيناً في أي يوم تقوم الساعة؟ وفي أية سنة؟ ومن الذي يعلم يقيناً متى يموت وأين؟ ومن الذي يعلم يقيناً ماذا يفعل في المستقبل؟ كل ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى.

أما الذي له قانون ثابت من الأمور المستقبلية فلا تحدي فيها، وذلك مثل متى تطلع الشمس ومتى تغيب، ومتى يحدث الكسوف والخسوف، وما شاكل ذلك مما له قانون ثابت.

<sup>1</sup> انظر تفصيل ذلك في بحث للدكتور شرف القضاة بعنوان: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مجلد 15، عدد 3، سنة 88 م.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾.

**التحدي الثاني:** إنزال الغيث، وقد يسأل بعضهم ألم يتوصل العلم إلى إنزال المطر الصناعي؟

والجواب أن المتحدى به هو إنزال الغيث، والغيث هو: المطر الذي ينزل بالكميات المناسبة في الوقت المناسب والمكان المناسب، لأن الغيث هو الذي يغيث الناس.

وأما ثانياً فإن الذي يسمونه مطراً صناعياً، لم يصنع العلماء منه شيئاً. فهل هذا اسمه مطر صناعي؟ كلا، بل الاسم العلمي الدقيق هو: التمثير الصناعي، لأن التدخل البشري إنما حدث فقط في عملية إنزال المطر، أما المطر نفسه فإن الله هو الذي خلقه وساقه إلى هذا المكان.

والدليل على ذلك أن الدول المتقدمة في العلوم المادية تتعرض كثيراً إلى حرائق الغابات، ومعلوم أن أفضل ما يطفئ الحرائق هي الأمطار، فلماذا لا ينزلون أمطاراً صناعية تطفئ الحرائق التي تستمر أحياناً أسابيع؟.

**التحدي الثالث:** علم ما في الأرحام: يظن كثير من الناس أن المتحدى به هو معرفة نوع الجنين، هل هو ذكر أم أنثى، وهذا ليس دقيقاً، فما هو المتحدى به في الأرحام؟.

الصحيح أن المتحدى به نأخذه من الآية ومن الحديث المتعلق بذلك، ويتلخص فيما يلي:

- العلم اليقيني وليس الظن.
- علم كل ما يتعلق بالجنين من صفات خَلْقِيَّة، سواء كانت جسدية أو عقلية أو نفسية، فكل هذه الصفات موجودة ولكنها غير ظاهرة، وليس المتحدى به هو فقط نوع الجنين، وهذا نأخذه من كلمة " ما " التي تفيد العموم، أي كل ما يتعلق بالجنين.
- علم كل ذلك في مرحلة الغَيْض كما حدده الحديث " ما تغيض " وكما أشارت إليه بعض الآيات، فما هي مرحلة الغيض؟

ومرحلة الغيض هي مرحلة الاختفاء، فقد أصبح معلوماً الآن أن صفات الجنين المستقبلية تتحدد عند إخصاب الحيوان المنوي للبويضة فتتشكل النطفة الأمشاج، ولكن هذه الصفات تكون غير مرئية، مثلها في ذلك مثل بذرة الشجرة، فإن فيها كل صفات الشجرة المستقبلية، ولكن الناظر إلى البذرة لا يرى فيها هذه الصفات، وكذلك النطفة الأمشاج، ثم تبدأ هذه الصفات بالظهور التدريجي ابتداء من بداية الشهر الثاني، فالمتحدى به إذن هو: العلم اليقيني، لكل صفات الجنين، في الشهر الأول، فما الذي يعلمه الأطباء علماً يقينياً في الشهر الأول من الحمل؟ إنهم لا يكادون يعلمون شيئاً، فكيف لهم أن يعلموا كل شيء؟<sup>1</sup>.

#### د. الإعجاز العلمي التشريعي

فقد أوجب الله تعالى علينا واجبات، وحرّم محرمات، ولم يكن الأطباء يعلمون الحكمة الطبية في ذلك، حتى بدأ العلم يكشف عن حكم علمية تدل على إعجاز علمي في المجال التشريعي لم يكن يخطر على بال، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

1. الصلاة، فقد أصبح معلوماً عند المتخصصين اليوم أن الصلاة إذا أُديت بشكل صحيح هي أحسن تمرين ووقاية للمفاصل، وبخاصة أن المسلم يحافظ عليها بشكل يومي دائم، أما التمرينات الرياضية العادية فإن الإنسان يداوم عليها أياماً أو أسابيع ثم لا يلبث أن يتركها.

2. الصوم، فقد كُتِبَتْ أبحاث وكتب في فوائد الصيام لصحة الإنسان جسدياً ونفسياً وعصبياً، ومنها أنه يخلص الجسم من كثير من المواد الضارة التي تتراكم فيه.

3. تحريم الخمر، فقد أصبح من المعلوم أن الخمر تسبب عدداً من الأمراض، كتليّف الكبد، وأنها تدمر خلايا الدماغ، وهي خلايا لا تتجدد، وإن الدول الإسلامية اليوم هي أقل الدول إيماناً على الخمر، وذلك بفضل الإسلام العظيم.

<sup>1</sup> للمزيد انظر كتيباً للدكتور شرف القضاة بعنوان: متى تنفخ الروح في الجنين؟ دار الفرقان، عمان.

4. **تحريم العلاقات الجنسية إلا في ظل الزواج،** وها نحن اليوم ندرك عظمة الإسلام في ذلك، فقد جنبنا عشرات الأمراض الجنسية وعلى رأسها الزهري (السفلس) والإيدز الذي يقتل عدة ملايين سنوياً، بالإضافة إلى دور الزنا في تفكك الأسرة والمجتمع.

### المبحث الخامس: تفسير القرآن

يعد تفسير القرآن من أجل العلوم، ومما هو متفق عليه عند العلماء أنه لا يجوز لأي أحد أن يفسر القرآن، لأن التفسير هو بيان مراد الله من كلامه على وجه التحديد، وهو أمر ليس بالسهل، فلا بد من أن يكون بياننا مستنداً إلى أصول صحيحة. وتفسير القرآن كان في البداية قليلاً، ثم توسعت الحاجة إليه لعدة أسباب، ونشأ وتطور، واتخذ مناهج واتجاهات متنوعة، وهذا الذي سنبينه باختصار.

#### نشأة التفسير وتطوره

نشأ التفسير زمن النبي ﷺ، إذ هو أول من فسّر ما احتاج الصحابة في حينه إلى تفسيره، وهم أهل العربية والفصاحة، فلم يجدوا عناء في فهمه، إلا ما ارتبط بتطبيقات عملية سألوا عنها رسول الله ﷺ.

ثم اشتدت الحاجة إلى التفسير في عهد الصحابة والتابعين، سيما بعد توسع الدولة الإسلامية، ودخول غير العرب في الإسلام، فانبرى لهذه المهمة عدد من الصحابة، أهمهم ابن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وأصبح لهم تلاميذ من التابعين، حتى اشتهر علم التفسير<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> مباحث في علوم القرآن، الصالح، ص/289، ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص/132.

بقي التفسير في العصور الأولى على شكل روايات عن النبي ﷺ، والصحابة والتابعين، فلما كان عصر التدوين دُون التفسير في كتب الحديث، لكونه معتمداً على الرواية، ثم انفرد عن السنة، فجمع العلماء الروايات التفسيرية المتعلقة بكل سورة<sup>1</sup>، ولعل من أوائل هؤلاء شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري في كتابه "جامع البيان عن تأويل القرآن".

ثم انضم الاجتهاد والرأي إلى الرواية والمأثور<sup>2</sup>، وهو التفسير بالرأي، وهذا أتاح للعلماء - وفق قواعد وأسس - أن يبينوا وجوه إعجازه، ويستنبطوا منه الأحكام والدروس والعبر، وأن يكون القرآن زاداً في الحياة في كل الميادين. ثم نشأ التفسير الموضوعي، وهو التطرق لموضوع معين، وكيف عُرض في كتاب الله تعالى، وكذلك التفاسير المتخصصة في أمور معينة كالأحكام مثلاً.

#### أدوات فهم القرآن وشروط المفسر

- لا شك أن كل علم له أصوله وشروطه، ولهذا وضع العلماء شروطاً للمفسر، أهمها:
1. العلم بما صح عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين.
  2. إتقان اللغة العربية وعلومها، فبحسب قواعدها وأساليبها يجب أن يفسر.
  3. العلم بأصول الفقه، كالناسخ والمنسوخ، وقواعد الترجيح، العام والخاص، والمطلق والمقيد، وما شاكل ذلك.
  4. الإخلاص، والبعد عن الهوى والتعصب.

#### مناهج المفسرين والاتجاهات الحديثة في تفسيره

للتفسير منهجان رئيسان هما: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وهناك مناهج فرعية في أسلوب التفسير، بالرغم من القواسم المشتركة الكثيرة.

<sup>1</sup> التفسير والمفسرون للذهبي، 1/151، ولمحات في علوم القرآن، ص/140.

<sup>2</sup> التفسير والمفسرون، 1/156.



ومن مناهج المفسرين الفرعية: <sup>1</sup> الاهتمام باللغة، والبلاغة وإعجاز القرآن، وعلم الكلام والعقيدة، واستنباط الأحكام، والقراءات وتوجيهها، والمناسبات بين الآيات والسور، وعلوم القرآن كأسباب النزول والنسخ، وتحقيق الروايات. ولعل الذي يوجه المفسر بأن يركز على جوانب دون أخرى هو اختصاصه وثقافته وميوله من جهة، وحاجة عصره من جهة أخرى.

ومن العلماء من ينتهج مناهج غير متفق على سلامتها وصحتها، كالتفسير الإشاري <sup>2</sup>، وهو: صرف اللفظ عن ظاهر معناه دون دليل، والحق أن القرآن كلام واضح لا ألغاز فيه، فهو كما وصفه منزله سبحانه بأنه بلسان عربي مبين، والله خاطب عباده بما يفهمونه.

أما الاتجاهات الحديثة في التفسير فجاءت لتلائم حاجات العصر، ومن أهمها:

1. الاتجاه الاجتماعي، حيث التركيز على جانب المجتمع وما يصلحه، ومن أهم التفاسير في هذا الاتجاه تفسير: المنار لمحمد رشيد رضا <sup>3</sup>.
2. الاتجاه البياني حيث إبراز جانب الإعجاز البياني البلاغي، ومن أمثلته تفسير: التحرير والتنوير لابن عاشور.

3. الاتجاه الدعوي الحركي، ويمثله تفسير: في ظلال القرآن لسيد قطب <sup>4</sup>.

4. الاتجاه العقلي، ويركز على أعمال العقل في فهم النص القرآني، وعدم الاكتفاء بالتفسير بالمأثور، ويمثله كذلك تفسير: المنار <sup>5</sup>.

5. الاتجاه العلمي، ويركز على الاستفادة من تقدم العلوم الطبيعية في التفسير، ويمثله تفسير: الجواهر لطنطاوي جوهري <sup>6</sup>.

---

<sup>1</sup> لمحات في علوم القرآن 144.

<sup>2</sup> التفسير والمفسرون 386/2، ومباحث في علوم القرآن، الصالح 296.

<sup>3</sup> لمحات في علوم القرآن 213-224.

<sup>4</sup> مباحث في علوم القرآن، الصالح 297.

<sup>5</sup> التفسير والمفسرون 618/2.

<sup>6</sup> التفسير والمفسرون 534/2، ولمحات في علوم القرآن 203.

## ترجمة القرآن الكريم

ترجمة معاني القرآن إلى اللغات المختلفة فرض كفاية، وذلك لتبليغ الإسلام، ويشترط لهذه الترجمة أن لا تكون حرفية، ويشترط كذلك أن يكون المترجم عالماً باللغتين: المترجم منها وإليها، وعالماً بالعلوم الإسلامية، وبأصول الفهم، وللعلم فهناك ترجمات إلى أكثر من خمسين لغة، وهناك أكثر من ترجمة إلى اللغة الواحدة<sup>1</sup>.

### المبحث السادس: واجبنا تجاه القرآن

واجبنا نحو القرآن يتمثل في أمور كثيرة أهمها:

1. الإيمان به حق الإيمان، وهذا ركن من أركان الإيمان.
2. تلاوته: فقد مدح سبحانه الذين يتلونه حق تلاوته، قال تعالى ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة 121).
3. تدبره: القرآن رسالة الله سبحانه إلى الناس، فلا بد أولاً من تدبرها، قال سبحانه ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَّبَرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَذَّكَّرَ أُولَٰئِكَ﴾.
4. حفظه: أي: أن يحفظ المسلم من كتاب الله تعالى ما يستطيع، وما يتقل ميزانه ويرفع درجاته يوم القيامة، فيقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها.
5. العمل به: وهي الثمرة النهائية التي يريجوها المسلم، ويريدها الله تعالى، فالقرآن أنزل ليُعمل به، لا ليكون للتبرك أو الحفظ من سوء، كما يفعل كثير من الناس في هذه الأيام، فيضعون المصحف في السيارة، أو البيت، ولا يُقرأ إلا في مواسم محددة، كرمضان أو الجمعة أو في المآتم.
6. تعليمه: أي تبليغه للناس جميعاً، بحسن قراءته، وبمعانيه، وترجمة معانيه.

---

<sup>1</sup> مناهل العرفان 116/2.

فمن ترك هذه الستة أو شيئاً منها كان هاجراً للقرآن الكريم هجراً كاملاً أو جزئياً، وكان ممن يشتكي منه رسول الله ﷺ يوم القيامة، قال تعالى ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان 30) فما وصل إليه المسلمون من ذل وهوان هو بسبب تركهم لكثير مما في كتاب الله، وتعطيله عن أن يكون دستور الحياة، وصدق الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (طه 124)، والضنك هو الشدة والضييق.

## المصدر الثاني السنة النبوية

### معنى السنة

السنة: ما أضيف إلى النبي ﷺ، من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية.

مثال السنة القولية، قوله ﷺ (يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا، وَيَشْرُوا وَلَا تُتَفَرَّوْا)<sup>1</sup>.  
ومثال السنة الفعلية، ما رواه ابن عباس قال (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ)<sup>2</sup>.

ومثال السنة التقريرية، حديث (لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ) فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يَرُدْ مِمَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنْفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ)<sup>3</sup>.

ومثال الصفات الخلقية، ما رواه أنس بن مالك في صفته ﷺ، قال (كَانَ رُبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ ... الحديث)<sup>4</sup>.  
ومثال الصفات الخلقية، ما تقدّم من كونه ﷺ أجود الناس (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ... الحديث).

### السنة وحي من الله

تعد السنة جزءاً من الوحي المنزل على رسول الله ﷺ، حيث تمثل مع القرآن الكريم، مجمل ما بعث به ﷺ من الهدى والعلم، ولهذا فإنّ الوحي لا يقتصر في معناه على ما ورد في القرآن، بل يشمل السنة، ودليل ذلك:

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

أولاً: آيات كريمة منها:

1. قول الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم 3-4).  
فالآية نص على أن كل ما نطق به ﷺ وحي، وأن كل ما تكلم به حق، وأنه لم يكن يصدر شيء منه من قبيل الهوى، أو رغبات النفس.
2. قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر 7).  
3. قول الله تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء 80).

ثانياً: الإعجاز العلمي والغيبى في الحديث النبوي الشريف، فهو دليل آخر على أنه وحي، لأن ذلك يستحيل أن يكون من عند غير الله تعالى.

### منزلة السنة من القرآن الكريم

اقتضى أمر الله تعالى أن يكون بيان القرآن وتفصيل ما فيه إلى الرسول ﷺ، قال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل 44).  
فالذكر هو القرآن الكريم، والبيان هو السنة النبوية، وكلاهما وحي من عند الله تعالى.

وقد بين النبي ﷺ أنه أوتي الكتاب، وهو القرآن، ومثله معه، فقال (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أُرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهِذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ...) <sup>1</sup>.

ولو نظرنا إلى كل من القرآن والسنة، لوجدنا أن القرآن يشتمل على الأصول العامة للأحكام الشرعية، من غير تعرض إلى تفصيلها جميعاً <sup>2</sup>، ونجد أن أسلوبه أسلوب إجمالي في الغالب، لا يمكن الوقوف منه على مراد الله تعالى إلا ببيان الرسول ﷺ، بقوله أو فعله أو إقراره، وذلك حينما يحتاج الأمر إلى بيان <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حديث صحيح، سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة.

<sup>2</sup> أصول الحديث، محمد عجاج الخطيب 46.

<sup>3</sup> الحديث والمحدثون، محمد أبو زهو 37.

ولتوضيح ذلك، نورد الآتي:

(1) **تفصيل المجمل:** أمر الله تعالى بإقام الصلاة، دون تفصيل، فجاءت السنة وبيّنت أوقاتها، وأركانها، وعدد ركعاتها، وكان بيان ذلك بقوله ﷺ وفعله، حيث صلّى الصلوات جميعاً أمام المسلمين، وقال (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) <sup>1</sup>.

(2) **تقييد المطلق:** ومن الأمثلة على ذلك، أن الله تعالى أمر بقطع يد السارق فقال ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ (المائدة: 38) فكان تقييدها بفعله ﷺ، حيث بيّن عملياً أن القطع يكون من الرسغ.

(3) **تخصيص العام:** ومن الأمثلة على ذلك أن بعض الصحابة حملوا الظلم في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: 82) على المعنى العام، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشُّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لَقْمَانَ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ؟ ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13).

(4) **التأكيد:** كما في الأمر بإقامة الصلاة.

(5) **الإضافة:** فقد جاءت السنة بأمور لم تذكر في القرآن الكريم، سواء في بعض الفرعيات العقائدية، كذكر الدجال، أو الأحكام الفقهية، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

وخلاصة القول أن القرآن والسنة، مصدران تشريعيان، ولا يمكن لمسلم أن يفهم الدين إلا بالرجوع إليهما معاً.

**كتابة الحديث وتدوينه**

**أولاً: كتابة الحديث**

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر.

بعث الله نبيه ﷺ في أمة أمية عموماً، فحرص النبي ﷺ على تعليم الصحابة وأبنائهم، حتى جعل من صور الفداء لأسرى المشركين في غزوة بدر الكبرى، تعليم عشرة من المسلمين<sup>1</sup>.

وفيما يخص كتابة العلم، جعل النبي ﷺ للقرآن كُتَبَةً، ولم يجعل للحديث كُتَبَةً، ولكنه سمح لبعض الصحابة أولاً، ثم في مرحلة لاحقة لكل من أراد أن يكتب عنه، بل إنه ﷺ أمر عبد الله بن عمرو بن العاص بأن يكتب عنه، فقال (اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ)<sup>2</sup>، كما نجده ﷺ يأمر الصحابة بأن يكتبوا لأبي شاه خطبته التي خطبها يوم فتح مكة، فقال (اكتبوا لأبي شاه)<sup>3</sup>، وهكذا وجدت صحف متعددة كتبها الصحابة في حياته عليه الصلاة والسلام، مثل صحيفة علي بن أبي طالب، وصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص (الصحيفة الصادقة)، وصحيفة جابر بن عبد الله، وصحيفة سُمرة بن جندب.

ولم يقتصر أمر كتابة الحديث، على ما كتبه الصحابة لأنفسهم، بل تعداه إلى ما كان يكتبه الصحابة - رضي الله عنهم - بين يديه، من كتب رسمية كان يرسل بها إلى الملوك والأمراء في البلاد المجاورة<sup>4</sup>، وكذلك كتابة العهود والمواثيق، وكتب الصلح التي أمر بكتابتها بينه وبين غيره من الأقوام، ومن ذلك كتاب الصلح الذي كتبه في الحديبية بينه وبين أهل مكة، إلى غير ذلك من صور الكتابة عنه ﷺ.

ومن هنا يتأكد للدارس المحقق، أن البدء بكتابة الحديث كانت في حياته ﷺ، واستمرت بعده في الصحابة، وبعد الصحابة، استمرت كتابة الحديث في جيل التابعين، حيث وجدنا مجموعة من الصحف والأجزاء التي كتبها التابعون، وسجلوا

<sup>1</sup> الطبقات الكبرى، ابن سعد 22/2، والأموال، أبو عبيد ص 115.

<sup>2</sup> حديث صحيح، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، وأبو شاه صحابي من اليمن.

<sup>4</sup> كتابه ﷺ إلى هرقل. البخاري، كتاب التفسير، ومسلم، كتاب الجهاد.

فيها الأحاديث التي تلقوها عن الصحابة، ومن هذه الصحف، صحيفة همام بن منبه (ت سنة 131هـ)، التي تُعرفُ بالصحيفة الصحيحة<sup>1</sup>.

وما تقدم يدفع دعوى أن الحديث لم يكتب إلا على رأس المائة الأولى للهجرة، في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبيّن أن الذي كان في وقته - رحمه الله - هو جمع الحديث وتدوينه رسمياً، وأما كتابة الحديث فلم تنقطع منذ عهد النبي ﷺ، بل زادت صورتها واتسعت دائرتها بعد عصره ﷺ، وهذه الكتابة كانت تسير جنباً إلى جنب مع حفظ الحديث في صدور الرواة.

#### ثانياً: تدوين الحديث وتصنيفه

المراد بالتدوين، جمع الأحاديث في دواوين، وهي صحف كبيرة، كان الهدف منها جمع ما تيسر من أحاديث الصحابة، وكان مصدر الأحاديث لهذه الدواوين، الصحف والأجزاء الحديثية، التي دونها الصحابة والتابعون، إلى جانب ما تم نقله من صدور الحفاظ بالرواية الشفهية، وقد بدأ هذا فردياً من بعض الصحابة كابن عباس رضي الله عنهما، ثم بدأ التدوين الرسمي في النصف الثاني من القرن الهجري الأول على عبد العزيز بن مروان، ثم على يد ابنه عمر بن عبد العزيز (ت سنة 101هـ) الذي تولى الخلافة، فكتب إلى عمّاله في المدن الإسلامية، يدعوهم إلى جمع الحديث وتدوينه.

ثم انتشر تدوين الحديث في الأقطار الإسلامية، وقام المحدثون بجمع الحديث وتدوينه، ومن هؤلاء مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة (179هـ) بالمدينة المنورة، الذي صنّف كتابه الموطأ، وهو كتاب مطبوع مشهور.

ويبدو أن جمع الحديث وتدوينه قد برز بوضوح في القرن الثاني الهجري. وفي القرن الثالث الهجري، زاد الجمع للحديث، وكثر التصنيف فيه، ولم ينته هذا القرن، حتى تم جمع الحديث وتصنيفه في الدواوين الجامعة، وكان فيه تصنيف الكتب الأصول في الحديث، كمسند الإمام أحمد، والصحيحين<sup>1</sup>، والسنن الأربعة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> طبعتها ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق.



وكان مع التدوين تصنيف الحديث وهو ترتيبه ليسهل الوصول إليه، وقد تعددت مناهج المحدثين فيه، حيث لم يكن على صورة واحدة، ويمكن تقسيمه ابتداءً إلى قسمين، هما:

#### - التصنيف حسب الراوي

ويقوم على ترتيب الأحاديث بناءً على اسم الراوي من الصحابة أو غيرهم، دون النظر إلى موضوع الحديث أو معناه، وهذه الطريقة تسمى التصنيف على المسانيد، وتسمى الكتب المصنفة على هذا النحو بالمسانيد أيضاً، ومنها: مسند الإمام أحمد، ومسند الحميدي، ومسند الطيالسي.

#### - التصنيف حسب الموضوع

ويقوم على جمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد في مكان واحد، وقد سميت كتبه بأسماء متعدّدة بحسب مضمونها، مثل الجوامع، والسنن، والموطآت (جمع موطأ).

#### علوم الحديث

رافق رواية الحديث وكتابته، وضع قواعد عملت على ضبطه وصيانته من الخطأ والوهم، والتحريف والتزييف، وهذه القواعد والقوانين - وهي كثيرة - حافظت على الحديث في ناحيتين:

1. المحافظة عليه من الخطأ والوهم والنسيان، وما يطرأ على الحفظ البشري

من نقص وعيب.

2. المحافظة على الحديث من الدس والكذب.

والناظر في علوم الحديث، يجد أنها تقوم على أساس من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، فالتحري في قبول الأخبار، والنقل عن الصادق المأمون من الناس،

---

<sup>1</sup> الصحيحان، هما صحيح البخاري وصحيح مسلم.

<sup>2</sup> السنن الأربعة، هي سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه.

والتحذير من الكذب عليه ﷺ، يعود إلى مجموعة نصوص، منها قول الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات 6).

### نقد الحديث

يقصد بالنقد عند المحدثين تمييز الأحاديث الصحيحة من غير الصحيحة، حيث لا يعد كل ما نسب إلى رسول الله ﷺ صحيحاً مقبولاً، بسبب ما أصاب الرواة من وهم، أو كذب، وقد وضع العلماء لهم منهجاً في ذلك، يقوم على عرض ما ينسب إلى النبي على قواعد النقد، فما كان منها سليماً قبلوه، وما أصابه الخلل ردّوه.

والباحث عن تاريخ النقد، يجد أنه سار جنباً إلى جنب مع رواية الحديث، ولم يتخلف عنها في يوم من الأيام، فإننا نجد النقد للحديث وقع في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ثم استمر فيمن جاء بعدهم من المحدثين.

ويتكون كل حديث من سند ومتن، والسند هو سلسلة رواة الحديث. ويعدّ علم السند علماً خاصاً بالمسلمين، حيث لم يعرف هذا العلم عند السابقين، وذلك برواية الراوي الأول للحديث عن شيخه، ورواية الشيخ عن شيخه، وهكذا من أول السند إلى آخره، حيث لا يقبل حديث إلا بوجود سند له.

وأما المتن فهو النص المنسوب إلى النبي ﷺ.

وربما ظن البعض، أن النقد للحديث انصب على السند دون المتن، وهذا غير صحيح، لأن الشروط اللازمة لصحة الحديث تشمل المتن والسند، لا بل إن النقد أولاً كان خاصاً بالمتن، حيث لم يكن في زمنهم إسناد، لكونهم يمثلون بداية الأسانيد، فكان تقدمهم يقع للمتن فقط، ثم إن العلماء الذين جاؤوا بعد الصحابة، وضعوا القواعد التي تنتقد متن الحديث، وتبين حصول الخلل فيه، ومن أشهر هذه القواعد:

1. مناقضة الحديث القرآن الكريم.

2. مناقضة الحديث صريح السنة المطهرة.

3. مناقضته للحقائق.

### أقسام الحديث من حيث القبول والرد

اشتملت علوم الحديث على القواعد التي تميز الحديث المقبول من غير المقبول، وكان العلماء قد قسموا الحديث بناء على ذلك إلى قسمين:  
أ. **الحديث المقبول:** وهو الحديث الذي توافرت فيه شروط القبول في المتن والسند، وهي:

1- اتصال السند: أي أن يكون كل راوٍ سمع الحديث من شيخه الذي روى عنه.

2- عدالة الرواة، أي أن يكون كل راوٍ متصفاً بالصدق، وذلك لضمان عدم الكذب.

3- ضبط الرواة، بمعنى أن يتصف كل راوٍ بالدقة العالية، وذلك لضمان عدم الخطأ.

4- أن لا يخالف الحديث الحقائق بكافة أنواعها: الشرعية والعقلية والعلمية.  
ب. **الحديث المردود:** وهو الحديث الذي فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول في المتن أو السند، كأن يكون راوي الحديث ضعيفاً، أو يكون الحديث متعارضاً مع بعض الحقائق.

### أقسام الحديث من حيث عدد الرواة:

نظر العلماء في الأحاديث فوجدوها تتفاوت في عدد أسانيدها، فبعضها له إسناد واحد، وبعضها له إسنادان، وبعضها له أسانيد متعددة، وبناء على ذلك قسم المحدثون الأحاديث إلى قسمين رئيسيين، هما: المتواتر، والآحاد.

#### أولاً: المتواتر

**المتواتر:** هو الحديث الذي رواه في كل طبقة من طبقات السند جماعة من الرواة يحيل العقل اتفاقهم على الكذب عادة، أو وقوع الخطأ منهم جميعاً صدفة.  
**والتواتر نوعان:**

- 1- **تواتر لفظي:** وهو أن يقع التواتر باللفظ ذاته، فيُنْقَلُ الحديثُ بعدد كبير من الطرق، مثل حديث (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)<sup>1</sup>.
- 2- **تواتر معنوي:** وهو أن يرد معنى من المعاني في عدد من الأحاديث تصل حد التواتر، ولكن بألفاظ متعددة، مثل أحاديث رفع اليدين في الدعاء، وأحاديث عذاب القبر التي رواها حوالي أربعون صحابياً.
- ولا فرق عند العلماء بين النوعين من حيث الحكم والاعتبار، حيث يعدّ المنكر للحديث الذي اتفق العلماء على أنه متواتر لفظاً أو معنى، كالمنكر لآية من القرآن الكريم.

#### ثانياً: الأحاد

**خبر الأحاد:** وهو ما لم يصل حد التواتر، وهو أقسام، لا داعي لذكرها هنا، وخبر الأحاد يفيد غلبة الظن.

وفيما يخص حجية خبر الأحاد في الاعتقاد، فإنه يجب الإيمان به، ولكن لا يكفر منكره، والدليل في ذلك هو تواتر فعل النبي ﷺ، حيث كان يرسل الواحد من الصحابة إلى القبائل أو الملوك، يدعوهم إلى الإسلام عقيدة وشريعة، ولم يكن يرسل الجمع الغفير من الناس، ولو كان ذلك شرطاً لفعله النبي ﷺ، فلا يوجد بعد ذلك سبب مقنع في تركه، كما أن كل كتب العقيدة تستشهد بأحاديث الأحاد، فهذا إجماع عملي على الاحتجاج به في العقيدة.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت.

## السيرة النبوية

أولاً: معنى السيرة النبوية

السيرة النبوية هي: سجل الأحداث المتعلقة برسول الله ﷺ وظروف الزمان والمكان المحيطة بتلك الأحداث.

ثانياً: العلاقة بين السيرة النبوية والسنة

تعدّ السيرة النبوية فرعاً من فروع السنة المطهرة، وباباً مهماً من أبواب تصانيف كتب الحديث النبوي.

ولذلك فإنّ كتاب السيرة الأوائل كانوا من المحدثين مثل ابن شهاب الزهري (ت 124هـ) ومحمد بن اسحق (ت 153هـ).

ثالثاً: العلاقة بين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

علاقة السيرة النبوية بالتاريخ الإسلامي هي علاقة الأساس بالبناء، فأول ما دوّنه المؤرخون المسلمون من وقائع التاريخ وأحداثه هو أحداث السيرة النبوية، ثم تلا ذلك تدوين الأحداث التي تسلسلت إلى يومنا هذا.

رابعاً: أهمية دراسة السيرة النبوية

لا شك أن دراسة السيرة النبوية واجب إسلامي، وإن في السيرة النبوية من الفوائد والغايات والعظات والعبر ما يجعل دراستها في غاية الأهمية. وتتضح أهميتها فيما يلي:

1- فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية)، والتأكد من أنه لم يكن مجرد عبقرى، ولكنه رسول أیده الله بالوحي من عنده.

2- الاقتداء به ﷺ في جميع مجالات حياته، لأن الله قد جمع في شخصيته كل صفات الأنبياء والمرسلين في أوضح صورها، دون أن تغلب صورة على أخرى، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب 21).

- 3- فهم القرآن الكريم: فقد كانت الآيات تنزل على المناسبات، ولا شك أن معرفة هذه المناسبات تعين على فهم القرآن الكريم على الوجه الصحيح.
- 4- بعث الأمل في النفوس اليائسة، فقد أصبح الطريد من مكة سيدها، يمنح الأمان لمن شاء، وهي بذلك تكشف عن خلق محمد ﷺ الإنسان، الذي يتواضع لربه عز وجل في أوج انتصاره، ويعفو عن قومه عند القدرة عليهم.

#### خامساً: خصائص السيرة النبوية

تتفرد سيرة النبي محمد ﷺ عن سير السابقين من الأنبياء والمصلحين والقادة والفاصلين بخصائص وميزات عدة منها:

- 1- صحة هذه السيرة ونقاؤها: فقد وصلت أحداثها إلينا عن طريق القرآن الكريم أو الروايات الصحيحة، الخاضعة لمنهج المحدثين في النقد، تماماً كالتعامل مع أي حديث من الأحاديث، وهذا المنهج الفريد لا يوجد في الدنيا عند غير المسلمين، حتى قال المستشرق مرجليوث: ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم<sup>1</sup>.

- 2- وضوح هذه السيرة في كل مراحلها منذ زواج عبد الله والد رسول الله ﷺ بأمة آمنة بنت وهب إلى التحاقه بالرفيق الأعلى، من ولادته ﷺ، وطفولته، وشبابه، ومكسبه قبل النبوة، ورحلاته خارج مكة إلى أن بعثه الله تعالى رسولاً كريماً، إلى سائر أحواله بعد ذلك، وهذا ما دفع باسورث سميث للقول: " أما الإسلام فأمره واضح كله، ليس فيه سر مكتوم عن أحد، .. ففي أيدي الناس تاريخه الصحيح، وإنك لا تجد فيما كتبه عنه المؤرخون الأولون أساطير ولا أوهاماً ولا مستحيلات، ... وهذا كله واضح وضوح النهار<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الإسناد من الدين 34، أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1992م، ودار القلم، بيروت، دمشق.

<sup>2</sup> السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ص 15.

3- شمول السيرة النبوية، وإحاطتها بجميع شؤون الحياة البشرية بمختلف نشاطاتها، مما يجعل صاحبها ﷺ القدوة الصالحة في كل مجال من مجالات الحياة، حتى أخص شؤونه في بيته، ذلك أنه ليس في حياته ﷺ أسرار يخفيها عن الأمة، فتراه:

- الشاب الصادق الأمين، البعيد عن انحرافات الجاهلية، الكادح في سبيل تحقيق كفاف العيش، حتى إنه ليرعى الغنم، ويسافر للتجارة في أموال خديجة رضي الله عنها، فكان التاجر الأمين.
- الزوج الحاني، المترفع عن سفاسف الأمور، الممتلى خيراً لأهل بيته، الذي يستشير زوجاته في الأمور الخاصة والعامة، ويعينهن على أمور البيت، حتى يضع ركبته لزوجته لتضع رجلها عليها حتى تتمكن من ركوب البعير.
- والأب المتدفق حناناً وعطفاً على أولاده، بل وأولاد أولاده، حتى يطيل السجود إذا ركب الحسن أو الحسين على ظهره.
- والداعية الحريص على هداية الناس إلى الخير، الرحيم بهم، الصابر على ما يلاقيه من الأذى، حتى يطلب منه بعضهم أن يدعو على من آذاه فيدعو لهم بالهداية.
- والمعلم الرفيق، الذي لا يكثر الكلام، وإنما يتخولهم بالموعظة مخافة السامة، والذي يوصل المعلومة للجاهل بها دون تعنيف، حتى إنه لا يعنف أعرابيا بال في زاوية المسجد.
- والسياسي البارع الذي يضع ميثاق المدينة الذي ينظم العلاقات بين المواطنين في المدينة المنورة على اختلاف أديانهم، ويحسن التعامل مع الأحداث، ويعقد المعاهدات التي تحقق الخير للإسلام، ويحبط مؤامرات الأعداء من المنافقين وغيرهم، ويحسن اختيار الأشخاص المناسبين للمهام.
- والقاضي المنصف الذي لا يحابي أحداً.

- والقائد العسكري المحنك، والمقاتل الشجاع الذي يجاهد في سبيل الله.
- والجار الذي يحب جيرانه ويحبونه.

وليس هذا الشمول إلا في السيرة النبوية وحدها، لأنها سيرة النبي الذي بعث للناس كافة، قال تعالى ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: 158)، ذلك أن عظيمًا من العظماء يمكن أن يتفوق في جانب من جوانب الحياة أو جانبين، إلا أنه لا يمكن أن يكون قدوة في جميع الجوانب، فسير هؤلاء العظماء مليئة بالأخطاء والاجتهادات القائمة على الهوى والضعف البشري.

#### سادساً: مصادر السيرة النبوية

مصادر السيرة النبوية كثيرة ومتنوعة، وهي:

#### 1. القرآن الكريم

فقد تحدث عن حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها، فتحدث عن يتمه وفقره، وعن الوحي وكيف تلقاه، وعن عداوة المشركين وعنادهم، وعن هجرته، وفصل أحوال المنافقين، وفضح سرائرهم، كما تحدث عن الغزوات، وصور مشاهدتها أبلغ تصوير، ولامس في كثير من آياته مشاعر المسلمين وخلجات أعدائهم، كما تعرض لأحكام النبي ﷺ وأقضيته، وتحدث عن حياته الخاصة في بيوته ومع أزواجه، كما أن فيه بياناً لطبيعة هذا العيش الذي غلب عليه التقشف والزهد.

"والقرآن الكريم قد تفرد بشيء مهم في السيرة النبوية دون المصادر كلها، ألا وهو تبيان حالة النبي ﷺ النفسية، وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> مصادر السيرة النبوية وتقويمها 27-28، الدكتور فاروق حمادة.



## 2. السنة النبوية

إن السنة النبوية ضرورية في إكمال تصور هذه الأحداث وشرحها، وبيان ما ورد منها مجملاً في القرآن الكريم، كما استقل الحديث النبوي بذكر بعض هذه الأحداث.

ويمكن تصنيف كتب السنة النبوية التي دونت أحداث السيرة على النحو التالي:

أ- **كتب الحديث المشهورة:** وأهمها الكتب الستة، وقد اشتملت هذه الكتب على أبواب متعددة في السيرة النبوية والمغازي.

ب- **كتب دلائل النبوة:** وهي التي تتناول المعجزات والدلائل التي تدل على صدق النبي ﷺ، وترسخ الإيمان برسالته، ومنها: دلائل النبوة للبيهقي.

ج- **كتب الشمائل:** وهي التي تختص بجمع صفات النبي ﷺ الخلقية والخلقية، ومن هذه الكتب كتاب: كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية.

د- **كتب المغازي والسير:** وهي الكتب التي تذكر غزوات النبي ﷺ وحروبه، وربما تتناول بعض أحداث السيرة الأخرى، مثل سيرة ابن هشام. ولا شك أن مادة هذه الكتب السابقة تتراوح بين الصحة وغيرها، لذا ينبغي التأمل في رواياتها وتمحيصها.

### سابعاً: مناهج الكتابة في السيرة النبوية

تنوعت مناهج الكتابة في السيرة النبوية، ويمكن تلخيص هذه المناهج بما يلي:

#### 1- المنهج التاريخي السردى

وهو أول ما كتبت به السيرة النبوية، ويقتصر على مجرد سرد الأحداث، ولا يتعرض لتحليلها واستنباط الأحكام والدروس والعبر منها، ومن أشهر من ألف في هذا المجال ابن كثير في (البداية والنهاية) وابن الأثير في (الكامل).

## 2- المنهج التحليلي

ويعتمد على دراسة السيرة، والتأمل فيها، وتحليلها واستنباط الدروس والعظات والعبر والأحكام منها، وتنزيل هذه الأحداث على الواقع المعاصر وربطها به لإصلاحه. ومن الذين ألفوا على هذا المنهج الداعية الكبير الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السيرة النبوية، دروس وعبر) والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (فقه السيرة النبوية)، والدكتور محمد أبو فارس في كتابه (في ظلال السيرة).

## 3- المنهج الفني (القصصي، والمسرحي)

وهو يعرض السيرة بأسلوب فني، كالأسلوب المسرحي، والقصصي، والسينمائي، ولا شك أن هذا المنهج له دور هام في التربية، بشرط أن تقوم به الأفلام الصادقة المتخصصة، التي تحمل رسالة الإسلام، وتخلص في التعريف بها.

## ثامناً: السيرة النبوية في كتابات المستشرقين

ظهرت في القرن التاسع عشر مذاهب استشراقية متنوعة في كتابة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، وقد ارتدت حركة الاستشراق هذه قناع البحث العلمي، ولكنه غالباً بحث غير موضوعي، ودون معرفة جيدة باللغة والمادة العلمية للسيرة النبوية. ولذلك فقد بنى المستشرقون طروحاتهم في الكتابة حول موضوعات السيرة النبوية وفهمها على جملة من المغالطات لا تصمد أمام قواعد النقد، ويمكن تلخيص هذه المغالطات بما يلي:

1. المبالغة في الشك، حتى إنهم ينكرون معظم روايات السيرة، فلقد شكك بعضهم حتى في اسم النبي ﷺ، وفي وجوده، وشكك بعضهم بالهجرة من مكة إلى المدينة.

2. اعتماد الضعيف الشاذ من الروايات، وتقديمه على المعروف المشهور.

3. إسقاط الرؤية العلمانية على الوقائع التاريخية: والإسقاط: حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه إلى غيره، وقد نبه (إتيين

دينييه)<sup>1</sup> على أنه من المستحيل أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم وبيئاتهم ونزعاتهم المختلفة.

4. الادعاء بأن الإسلام مستمد من أصول نصرانية أو يهودية. والجواب عن ذلك من وجوه كثيرة أهمها: لماذا لا نجد في اليهودية والنصرانية الإعجاز الذي نجده في القرآن الكريم؟ ولماذا لا نجد فيه أخطاء علمية كما نجد فيها؟.

#### حُكْمُ تعدد زوجات النبي ﷺ:

ونود هنا أن نعرض لنموذج غير محمود لكتابات المستشرقين، ولا زال يشكل مادة خصبة للنيل من الإسلام ونبيه ﷺ، ألا وهو موضوع تعدد زوجاته ﷺ، فقد ظن هؤلاء أن بمقدورهم أن يلصقوا بالنبي ﷺ صورة الرجل الغارق في الشهوات.

ولتوضيح صورة تعدد زوجاته ﷺ نقول:

- إنه لم يقترب من فاحشة في شبابه قبل الزواج، في ظل مجتمع لا ينكر ذلك.
- تزوج في الخامسة والعشرين من عمره من خديجة وهي ثيب في الأربعين.
- لم يعدد إلا في الخمسينيات من عمره.
- لم يتزوج بكرا غير عائشة رضي الله عنها.
- الحكم التي كانت ترافق كل حاله من حالات زواجه ﷺ، ويمكن إجمال الحكم من تعدد زوجات النبي ﷺ بما يلي<sup>2</sup>:

#### أولاً: الحكمة التعليمية:

حيث كانت كل واحدة من زوجاته ﷺ تقوم بمهمة تعلم الأحكام الشرعية وتعليمها لنساء المجتمع، وحل قضاياهن والإجابة عن أسئلتهن، وكانت أشهرهن في هذا

<sup>1</sup> مستشرق فرنسي أعلن إسلامه في الجزائر سنة 1927.

<sup>2</sup> للمزيد انظر: شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، للصابوني 1980م، ص 13-32، وشبهات حول تعدد نساء النبي ﷺ، عبد الكريم زيدان، وأزواج النبي ﷺ، الصواف.

الجانب السيدة عائشة رضي الله عنها، فهي المعلمة الأولى، والمحدثّة الشهيرة عن رسول الله ﷺ، وقد بان ذكاؤها وسعة فقهها في الاستدراك على بعض الصحابة.

#### ثانياً: الحكمة الاجتماعية:

وقد تجلت هذه الحكمة في زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة، بنت أبي بكر الصديق، ومن السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، فكانت مصاهرته لهما تتويجاً لهذه المنزلة، وإحكاماً للرابطة التي تجمعهم بهما.

ويمكن أن يكون زواجه من أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما على هذا النحو، الأمر الذي جعل القلوب تأتلف حول شخص رسول الله ﷺ، وتلتقي على دعوته الطيبة عن طريق النسب والمصاهرة.

كما أن التعدد يحل مشكلة اجتماعية هامة، وهي مشكلة العنوسة التي لم يكن لها وجود في ظل التعدد، ولكنها الآن تجتاح العالم كله، وتهدد أمنه الاجتماعي، وتحرم قطاعاً واسعاً من النساء نعمة الزواج والأطفال.

#### ثالثاً: الحكمة السياسية:

لقد تزوج رسول الله ﷺ بعض أمهات المؤمنين تأليفاً للقلوب وجمعاً للكلمة، فقد تزوج جويرية بنت الحارث، سيد بني المصطلق، وكانت قد أسرت مع قومها، فغدا زواجها من رسول الله ﷺ بركة على أهلها، حيث أعتقهم كلهم، وكانت سبباً في إسلامهم.

كما أنه تزوج ﷺ بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب، التي أسرت بعد مقتل زوجها في غزوة خيبر، واختارت رسول ﷺ لما رأت من كريم أخلاقه ونبل سلوكه، وقد أسلم بإسلامها بعض قومها.

#### رابعاً: الحكمة التشريعية:

وقد تجلت هذه الحكمة في زواجه من السيدة زينب رضي الله عنها، فكان هذا الزواج الإبطال العملي لعادة التبني التي كانت شائعة عند العرب في جاهليتهم، وقد كانت زينب زوجة لزيد بن حارثة رضي الله عنه، الذي كان النبي ﷺ قد تبناه قبل البعثة.

## روافد الثقافة الإسلامية

### الفرق بين المصادر والروافد

المصادر هي: القرآن والحديث، وهما وحي من الله تعالى.  
والروافد هي: العلوم التي تساعد على فهم النص الشرعي، وتطبيقه على الواقع،  
وسنذكر منها: الاجتهاد، واللغة العربية، والتاريخ الإسلامي.

### الرافد الأول: الاجتهاد

الاجتهاد هو: بذل العالم الجهد في فهم النص الشرعي.  
ولا بد للمجتهد من شروط، وهي على قسمين:

### القسم الأول: شرط علمي معرفي، وهو العلم بما يلي:

1. العلم بالقرآن: وبخاصة الآيات المتعلقة بموضوع البحث.
2. العلم بالسنة الواردة في الموضوع.
3. العلم بمسائل النسخ في القرآن والسنة.
4. العلم بأصول الفقه، وهو أصول الفهم الصحيح للنص الشرعي.
5. العلم باللغة العربية، وأساليبها، وسيأتي الحديث عن اللغة العربية في الرافد الثاني.

6. العلم بالواقع الذي سيطبق الحكم عليه، فمن أراد أن يجتهد في مسألة طبية فلا بد أن يفهمها من المختصين أولاً، وكذلك المسائل الاقتصادية، والعلمية.

### القسم الثاني: شرط سلوكي، وهو التقوى، فإن العالم بدون تقوى لا يوثق بقوله.

ويؤخذ القسمان من قوله تعالى ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل 43)  
فأهل الذكر هم أهل العلم والتقوى، وهو شرط لازم لكل تخصص، وقد تنبه العالم اليوم  
لذلك وأصبحوا يدرسون في كل التخصصات تحت اسم "أخلاق المهنة" أو ما شابه  
ذلك، ولكن العلم بأخلاق المهنة شيء والتخلق بها شيء آخر.

وقد بدأ الاجتهاد على يد النبي ﷺ فاجتهد في عدد من الأمور التي ليس فيها نص، كأسرى بدر، وإعطاء بعض الأحزاب جزءاً من ثمار المدينة على أن يرجعوا. واجتهد الصحابة بعده في الأمور المشككة عليهم، وبقي باب الاجتهاد مفتوحاً إلى أن قامت مؤسسات للاجتهاد الجماعي من خلال عدد من المجامع الفقهية، تبحث في الأمور الجديدة التي يكثر سؤال الناس عنها، كالتأمين، والتسعين، والتبرع بالأعضاء، والهندسة الوراثية، والاستتساخ، وغيرها، وميزة المجامع الفقهية أن احتمال الخطأ فيها أقل من احتمال الخطأ في الاجتهاد الفردي.

### الرافد الثاني: اللغة العربية

اللغة ليست طريقة تعبير فقط، بل هي أيضاً طريقة تفكير، فكل إنسان يفكر من خلال لغة، ولذلك لا يمكن للإنسان أن يبدع إلا من خلال اللغة الغالبة عليه، وهي التي يستعملها أكثر من غيرها، ولهذا السبب فإن كل دول العالم المتقدم علمياً حتى الصغيرة منها تُدرس كل التخصصات بلغتها، وليس باللغات العالمية كالإنجليزية أو الفرنسية، ولا يشذ عن هذه القاعدة سوى العالم العربي.

واختارها الله تعالى للرسالة الخاتمة الموجهة للناس، يقول سبحانه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف 2) ويدل هذا الاختيار للغة العربية على مكانتها. وللغة العربية ميزات أهمها:

1. **القدم:** تضرب جذور اللغة العربية في أعماق التاريخ، وتدل الحفريات والنقوش والكتابات التاريخية على قدمها، ومن الباحثين من يرجع باللغة العربية إلى زمن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، واللغات الأخرى القديمة قدم اللغة العربية اندثرت كالآشورية، أو انقسمت إلى لغات متعددة لا يكاد يجمع بينها جامع.
2. **الجمال:** يظهر جمال اللغة العربية الباهر في بلاغتها، وما بين حروفها وكلماتها وجملها من تناسق وتناغم، وفي جمال خطوطها المتعددة.

3. **السعة:** تحتوي اللغة العربية على حوالي ثمانين ألف مادة، المستعمل منها عشرة آلاف فقط<sup>1</sup>، وهو أضعاف ما في اللغات الأخرى.

ومن مظاهر سعة اللغة العربية مرونتها في الاشتقاق، والقدرة على تعريب أسماء المصطلحات والمخترعات المتعددة.

وفي سبيل إثبات هذه السعة العظيمة للغة نجد عند علمائها تفننا في استخدام ما يحلو لهم منها، فهذا شاعر يجعل قصيدته كلها من الحروف المنقوطة، أو المهملة، أو الألفاظ المصغرة، أو الحروف الموصولة أو المنفصلة، إلى غير ذلك من فنون اللغة المتعددة، ومن يقرأ في المقامات والأشعار القديمة لا يملك إلا أن يعجب من مرونة اللغة العربية وسعتها.

ومن مظاهر سعة اللغة العربية: كثرة علومها، فهي تحتوي علوم النحو والصرف، والبيان والمعاني والبديع والعروض، والاشتقاق ودلالة الألفاظ وغيرها. ومما يدل على سعتها كثرة أسماء الأشياء، فنجد فيها للشيء الواحد أسماء متعددة قد تتجاوز العشرات.

4. **السهولة:** من حيث دقة إملائها، وسهولة كتابتها وقراءتها، فمعظم اللغات الأخرى أصعب منها، ففي الفرنسية حروف تكتب ولا تقرأ، فإملاؤها أصعب من العربية، وفي اللغة الإنجليزية حروف تكتب ولا تقرأ، وحروف تلفظ على أكثر من وجه مثل: c، th، كما يقرن بين حرفين لنطق حرف واحد مثل: ph، sh، ch، ولا يوجد فيها حركات، فتستعمل حروف العلة بدلا منها مما يزيد من طول الكلمة، أما اللغة الصينية فإذا أراد المرء الاكتفاء منها بالضروريات يحتاج إلى تعلم ألف ومئتي علامة<sup>2</sup>.

5. **الدقة والإحكام:** بحيث تدل كل كلمة على معنى معين دقيق، ففي الكلمات الدالة على البكاء يقال للإنسان إذا تهيأ للبكاء: أجهش، فإذا امتلأت عيناه بالدموع:

<sup>1</sup> الفصحى لغة القرآن 7، أنور الجندي.

<sup>2</sup> الفصحى لغة القرآن 147-160، أنور الجندي.



اغرورقت، فإذا سالت دموعه: دمعت، فإذا سالت بغزارة: همت، فإذا كان لبكائه صوت: نَحَب، فإذا ارتفع صوته: أعول.

**وقد أضاف القرآن الكريم إلى هذه المزايا ميزات جديدة، من أهمها:**

1. **القداسة:** بصفتها لغة الوحي والقرآن والعبادة، وليس لأحد أن يقرأ شيئاً من القرآن بغير اللغة العربية، ولذلك يتمنى كل مسلم غير عربي أن يتقن اللغة العربية.
2. **الرقى بها نحو الكمال،** فقد أضاف إليها أساليب بديعة معجزة، وارتقى بألفاظها إلى معان جديدة، وأضاف إليها اشتقاقات لم تكن معروفة.
3. **الخلود:** تبعاً لخلود القرآن الكريم، الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر 9)، فإن لغة القرآن خالدة معه محفوظة بحفظه، وهي بهذا محمية من الاندثار.
4. **العالمية:** فاللغة العربية هي لغة الإسلام، وهو للناس كافة، فهي لغة عالمية، وقد أخذت كثير من الشعوب الإسلامية الأحرف العربية لتكتب بها لغاتها، كما في الفارسية والأردية والتركية والكردية.

### **العربية والتحديات المعاصرة:**

تعرضت اللغة العربية قديماً وحديثاً لحملات متوالية من المحاربة والتشكيك والطعن، وذلك لتحقيق أمرين:

- قطع الصلة بين المسلمين ودينهم قرآناً وسنة ومصادر علمية.
  - تفريق العرب والمسلمين من خلال تمزيق لغتهم.
- وقد لا تستغرب هذه الحملات من أعداء الإسلام، إلا أنها مستهجنة ومستغربة من بعض أبناء الإسلام والعروبة الذين أسلموا قيادهم بسهولة للطاعنين في اللغة العربية.

**ومن أبرز مظاهر محاربة اللغة العربية:**

1. **استبدال حروفها ومفرداتها بغيرها:**

ففي تركيا تم تغيير الحروف العربية التي كانت اللغة التركية تكتب بها إلى الحروف اللاتينية سنة 1928م، مع محاولة إخراج الألفاظ العربية من اللغة التركية، ومنع رفع الأذان باللغة العربية.

كما حُرِبت اللغة العربية في إندونيسيا وإيران والصومال وغيرها.

## 2. الدعوة إلى العامية ومحاربة اللغة الفصحى:

بدأت هذه الدعوة على يد عدد من المستشرقين، فأصدروا عددا من الجرائد باللهجات العامية، والتأليف بها، ثم انتقلت هذه الدعوة من المستشرقين إلى أذناهم.

## 3. الدعوة إلى (تطوير) اللغة العربية:

والمقصود بتطوير اللغة: التخلي عن قواعد الإعراب، والكتابة بالحروف اللاتينية، وتغيير قواعد الصرف، وحذف الألفاظ المترادفة، والمتضادة، وترك المجاز والاستعارة والكناية، ولا ندري ماذا يمكن أن ينتج بعد حذف هذه الأشياء؟ وكيف سيتم التفريق بين المرفوع والمنصوب في حال التخلي عن الإعراب؟ وإن استخدام الحروف اللاتينية في الكتابة سيؤدي إلى ضياع عدد من حروف اللغة العربية، إما لأنها غير موجودة في اللاتينية كالضاد والطاء والغين والخاء، أو يعبر عنها بحرفين كالذال والثاء. ومع كل هذه الهجمات على اللغة الفصحى إلا أنها بقيت ثابتة صامدة، لأنها تحمل في ذاتها مقومات قوتها، كما أنشئت مجامع اللغة العربية، ومنها مجمع اللغة العربية سنة 1976م، وكان على رأس أهدافه:

- الحفاظ على سلامة اللغة العربية، وجعلها تواكب متطلبات العصر.
  - توحيد المصطلحات العلمية، ووضع المعجمات.
  - إحياء التراث العربي.
  - ترجمة الروائع العالمية إلى العربية.
- وبتم ذلك من خلال الدراسات والأبحاث، والتأليف والترجمة والنشر، وعقد المؤتمرات، وإصدار مجلة دورية.

### الرافد الثالث: التاريخ الإسلامي

التاريخ الإسلامي هو سجل الأحداث في حياة الأمة الإسلامية من البعثة إلى الآن، ولا يقتصر تاريخ الأمم على الجانب السياسي، بل إنه يشمل التاريخ الفكري والعلمي والثقافي والاجتماعي، فينبغي أن يدرس من جميع جوانبه، وتتجلى أهميته فيما يلي:

1. **صياغة شخصية الأمة**، فإن الأمم لا تستطيع أن تتسلخ من ماضيها وتاريخها، ولذلك تحرص كل أمة على تاريخها، وتعلمه والاعتناء به، ونقله إلى الأجيال اللاحقة، وإنشاء كليات جامعية خاصة بتدريسه، وفتح المتاحف التي تجمع فيها الآثار.

2. **الوقوف على مصداقية مبادئ الأمة المعلنة**، فهو الذي يبين الصورة الحقيقية لها، ففي مجال حقوق الإنسان نجد أمما تنتهك حقوق الإنسان لمصالحها الخاصة، فالولايات المتحدة الأمريكية أبادت الهنود الحمر، فقتلت منهم حوالي تسعين مليوناً عبر سنوات طويلة، وضربت المدنيين في اليابان بالقنابل النووية، وأما في التاريخ الإسلامي فإننا نجد عكس ذلك تماماً فلا مجازر ضد المدنيين، ولا قتل للأبرياء، وكان هذا أحد أسباب دخول الناس في دين الله أفواجا، ومما يروى في مجال احترام حقوق الإنسان في الإسلام أن خلافا نشب بين أهل سمرقند وبين قائد الجيش المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي كان يرى أنها فتحت حرباً، وكانوا يرون أنها فتحت سلماً، ومن المعلوم أنه يترتب على كل حالة أحكام خاصة بها، فاشتكى أهل سمرقند إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، فبعث قاضياً يحكم بين قتيبة وبين أهل سمرقند، فحكم القاضي لصالح أهل سمرقند وأمر بخروج الجيش من المدينة، فلما رأى أهل سمرقند عدالة الإسلام أعلنوا إسلامهم<sup>1</sup>.

3. **الاستفادة من دروسه**، فأحداث التاريخ مليئة بما يقوي العزائم، ويبث الثقة في النفوس ويعيد إليها الأمل، فقد مرت على الأمة الإسلامية ظروف في غاية

---

<sup>1</sup> تاريخ الطبري 69/4.

الصعوبة، كما حدث في غزو النصارى والحروب الصليبية، ومع ذلك استطاعت الأمة الإسلامية أن تخرج منتصرة بعون الله تعالى، ونحن على يقين من أننا حين نحقق شروط النصر فلا بد أن ننصر، وقد بينت الآية الكريمة شروط النصر، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) (الأنفال: 45-46).

4. أنه يحدد لنا الأعداء ويعرفنا بأساليبهم ويكشف لنا خططهم ووسائلهم.

### الحرب على التاريخ الإسلامي

لأهمية التاريخ الإسلامي يشن أعداء الإسلام حرباً عليه، ومن أساليبهم في ذلك:

1. الاعتماد على الروايات التاريخية المكدوبة والضعيفة وترك الروايات التاريخية الصحيحة، ومن ذلك الروايات الواردة في أحداث الفتنة زمن عثمان بن عفان وما بعده والأسباب التي أدت إلى قتله عليه السلام.

2. تفسير التاريخ تفسيراً مادياً، كأن يقال: إن الدافع للجهاد كان الفقر والحاجة، ولعل من أقوى الوقائع التاريخية في الرد على هذه الشبهة ما أعلنه الصحابي الجليل ربيع بن عامر رضي الله عنه، حين قابل رستم قبل معركة القادسية، وعرض رستم على الجيش المسلم ما لا يكفيهم لمدة سنة، مقابل الكف عن القتال، فقال ربيع لرستم مبيناً له السبب الحقيقي لخروجهم من الجزيرة العربية، وأنه ليس الرغبة في المال ولا الحاجة إليه: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة<sup>1</sup>.

3. التركيز على فترات الفتن والضعف، وإهمال فترات القوة، أو تجاوزها سريعاً، بينما يتم التركيز في دراسة التاريخ الأوربي على فترات القوة، مع تناسي فترات

<sup>1</sup> تاريخ الطبري 401/2.

الضعف والفتن، وهكذا تصبح المقارنة بين التاريخين غير عادلة، ويظن الناظر للأمر للوهلة الأولى أن التاريخ الغربي أفضل من التاريخ الإسلامي.

4. **الإساءة إلى عدد من رموز الخير والإصلاح في التاريخ الإسلامي، وتشويه صورتهم وإظهارها على غير حقيقتها،** ومن أمثلة ذلك ما يزعمونه أن هارون الرشيد كان ماجنا يحيي ليله بالحفلات الصاخبة والأغاني والطرب، في حين كانت الصورة الحقيقية لهذا الخليفة العباسي على خلاف ذلك، فقد كان محافظا على التكاليف الشرعية أتم محافظة، كثير الصلاة والصدقة والحج، وقد حج خلال مدة خلافته وهي ثلاث وعشرون سنة تسع مرات، كما كان يكثر الخروج مع الجند للجهاد والرباط، إلى غير ذلك من خصال الخير والتقوى<sup>1</sup>.

5. **التشكيك في عدد من الأحداث التاريخية أو في تفاصيلها،** ومن ذلك زعمهم أن ما حصل في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبي ﷺ من انتخاب أبي بكر خليفة، كان مؤامرة بينه وبين عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم أجمعين، فهذا تشكيك في النوايا واقتراء على هؤلاء الصحابة الكرام.

6. **تجهيل المسلمين بتاريخهم:** من خلال جعل دراسة مادة التاريخ أمرا ثانويا، ومن خلال جعل ما كتبه هؤلاء الطاعنون في التاريخ مرجعا للدارسين والباحثين، فيصبح المسلم غير المتخصص في هذا العلم متقبلا لأي إساءة في التاريخ لجهله به، وغير قادر على الدفاع عن التاريخ الذي يجهله.

وهكذا فإن لدراسة التاريخ الإسلامي أثرا مهما جدا في شخصية المسلم، وينبغي استثمار هذا الرافد من روافد الثقافة الإسلامية للتحصن وإعادة البناء وتنمية الروح الإيجابية والاعتبار من الأحداث السابقة بما ينفع الحاضر والمستقبل.

---

<sup>1</sup> محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، 135 - 136 محمد الخضري.



## الوحدة الثالثة

### العلاقة مع الآخر

#### أولاً: التعددية الدينية والثقافية

إن التعددية في الألوان والأجناس واللغات، وفي القبائل والأمم والشعوب، بل وفي الشرائع والحضارات والثقافات سنّة إلهيّة من سنن الله في الكون، بل إن جمال الكون يكمن إلى حد كبير في هذا التنوع، وهو في هذا كاللوحة الفنية لا يحسن أن تكون بلون واحد؛ فمن اختلاف الكون اختلاف الفصول، والليل والنهار، واليابسة والبحار والأنهار، والجبال والسهول والوديان، واختلاف الألوان، وتنوع الثمرات.

ولقد بيّن القرآن الكريم بكل وضوح أن إرادة الله تعالى ومشيتته اقتضت أن لا يكون الناس أمة واحدة، أو نسخة واحدة، وأن الطبيعة التي خلقهم عليها طبيعة تحمل في ثناياها أسباب الخلاف والتنوع والتعددية، في الأفهام وطرق التفكير والقناعات قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود 118).

#### أولاً: أسس التعددية الدينية والثقافية في الإسلام:

تستند التعددية الدينية والثقافية في الإسلام إلى أسس عديدة من أهمها:

##### أ- النزعة الإنسانية:

تنتلق نظرة الإسلام للإنسان من قاعدة أساسية هي: وحدة الأصل البشري، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1].

كما أكد الرسول ﷺ الأصل الواحد للبشرية في خطبة الوداع حين قال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ...) <sup>1</sup>.

وهذا يستلزم منهم التعارف والتراحم والتعاون، لا التعالى والتكبر والتسلط؛ لأنّ الذي يميّز الإنسان عن غيره هو ما يقدمه من جهد يعود على الإنسانية بالنفع والفائدة، فقد قال ﷺ (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ) <sup>2</sup>.

ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث النبوي الصحيح (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتَ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا) <sup>3</sup>.

فالتعددية الدينية مبدأ أصيل في الإسلام، كما أنّها تمثل واقعاً عملياً في حياة المسلمين، وممارسة سلوكية، وليست مجرد نظريات، أو شعارات بعيدة التطبيق.

#### ب- العدل والمساواة:

حثّ الإسلام على نشر العدالة بين الناس على اختلاف أجناسهم، وأعراقهم، وأقوامهم، وألوانهم، ومعتقداتهم، لينحقق للجميع بذلك الأمن والاستقرار، والتعارف والتواصل.

قال تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: 8].

كما قرّرت وثيقة المدينة أنّ سكّانها من مسلمين ويهود ومشركين جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات والحريات، حيث نصّت الوثيقة على الآتي (وَإِنَّهُ مَن تَبِعَنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومٍ وَلَا مُتَنَاصِرٍ عَلَيْهِمْ) <sup>4</sup>.

وتضافرت الشواهد من سيرة الخلفاء الراشدين على تطبيق هذا المبدأ النبيل، وأذكر منها: أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أصدر حكماً لصالح القبطي أي: (المصري)

<sup>1</sup> حديث صحيح، مسند أحمد ط الرسالة (38/ 474).

<sup>2</sup> حديث صحيح، معجم الطبراني.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز.

<sup>4</sup> السيرة النبوية لابن هشام، الوثيقة.



على ابن والي مصر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقال كلمته التي غدت من الحكم المتداولة (متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) كما حكم بالحق لليهودي على مسلم.

وهذا علي بن أبي طالب ؑ يقف مع مسيحي أمام القاضي شريح في درع، فيحكم فيه للمسيحي؛ لأن عليا ؑ لم يقيم الدليل على أن الدرع له.

ج- الحوار مع الآخر: وقد أفردناه بعنوان مستقل يأتي قريبا.

ثانيا: مظاهر التعددية الدينية والثقافية في الإسلام:

حافظ الإسلام على التعددية الدينية، حيث عاش المسلمون في المجتمع الإسلامي على امتداد تاريخه جنبا إلى جنب مع المسيحيين واليهود، وعدّ غير المسلمين جزءا لا يتجزأ من نسيج المجتمع الإسلامي، ففرض لهم حقوقا لحمايتهم في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وطبقها على أرض الواقع، وأهم هذه الحقوق:

1. حق الحياة: فحرم الله تعالى قتل النفس أيّا كانت إلا بالحق، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام : 151]، كما نصّت أيضا وثيقة المدينة التاريخية على حق الحياة لجميع المتعاقدين متساوين في حرمة الدم، كما لم تغفل عن ترتيب عقوبات بحق المعتدي عليها.

وتعدّ هذه الوثيقة أول دستور إنساني ينصّ على تحديد الحقوق والحريات وحمايتها، كما حددت الواجبات والالتزامات لأفراد المجتمع المدني بمكوناته السكانية من المسلمين، واليهود، والمشرّكين العرب، فنظّمت العلاقات بينهم، وأكدت في بنودها الأخلاق الاجتماعية كالتعاون والتكافل والتضامن وغيرها، فلم تكن وثيقة نظرية فحسب، بل كانت واقعا عمليا معاشا حقق الاستقرار والأمن في المجتمع.

ومن هنا فإنّ الإسلام حرّم الاعتداء على المسالمين من أهل الكتاب، واعتبر الاعتداء عليهم مساويا للاعتداء على المسلمين، قال ﷺ (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ

رَاحَةَ الْجَنَّةِ)<sup>1</sup>، وقال ﷺ (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>2</sup>.

**2. حقّ المواطنة:** وهو حق يشمل المسلمين وغيرهم، فقد شمل اليهود المقيمين في المدينة، وحددت ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات، فقد جاء فيها (وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) وهكذا كان المجتمع في المدينة المنورة مجتمعاً مدنياً متحضراً.

**3. حقّ التدين:** وهو حق الأفراد في اختيار معتقداتهم الدينية، وممارسة الطقوس التي تستلزمها هذه المعتقدات، لأن العقيدة والإكراه عليها نقيضان لا يجتمعان قال تعالى ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]، وقد نصت وثيقة المدينة على أن (اليهود دينهم وللمسلمين دينهم).

وقد حافظ المسلمون على أماكن عبادتهم، لأن التشريع الإسلامي يحرم على المسلمين الاعتداء عليها، في السلم أو الحرب، وتدلل على ذلك وصايا الخلفاء لقادة الجيوش، والمعاهدات التي أبرمت في التاريخ الإسلامي، وعند الفتوحات، ومنها الوثيقة العمرية مع أهل بيت المقدس.

وهكذا كانت التعددية الدينية والثقافية من سمات حضارتنا الإسلامية عبر التاريخ، حيث تعايش فيها المسلم مع غير المسلم، وعمل الجميع لما فيه خير المجتمع، فمعلوم أن اليهود مثلاً قد عاشوا عصرهم الذهبي في ظل الحضارة الإسلامية، بينما عاشوا أسوأ مراحل حياتهم في أوروبا.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم.

<sup>2</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب الفئء والخراج والإمارة، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات.

### ثالثاً: التعايش الثقافي والديني

أصبح العالم اليوم في ظل ثورة المعلومات والاتصالات والفضائيات قرية صغيرة، يستمتع أهلها إلى أفكار بعضهم، ويطلعون على ثقافات غيرهم شأؤوا أم أبوا، وهكذا أصبح التعايش الثقافي حقيقة واقعة، فكيف نتعامل معها؟.

يمكن أن نجيب عن هذا السؤال من خلال النقاط التالية:

1. ينبغي للمسلم أن يفرح، ويحمد الله على ما في عصرنا من تقدم في وسائل المواصلات والاتصالات، ولا شك أن ذلك سيكون في صالح الثقافة الإسلامية.

2. إن الاطلاع على ثقافات الآخرين وأديانهم لمحاورتهم واجب شرعي، وطريق هام للدعوة إلى الله تعالى.

3. الحوار بالتي هي أحسن هو الأصل في العلاقة بين الثقافات، مهما كانت مختلفة، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل 125) وقد عرض لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار مع الآخرين، حتى الحوار بين الله وإبليس، فإن اتفق المتحاورون فيها، وإن لم يتفقوا ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة 256).

4. التعايش بين الأديان والثقافات مبدأ إسلامي أصيل، فقد قرر الإسلام وجوب الإحسان إلى الوالدين الكافرين، وإلى الأرحام والجيران والناس جميعاً وإن كانوا كفاراً، وهكذا تعايش المسلمون من العهد النبوي مع أهل الكتاب، بل ومع المشركين، وبقي اليهود والنصارى في بلادنا آمنين، فالإسلام ليس ديناً يستأصل الآخر ويلغيه، وليس كما فعل الأوروبيون بالمسلمين في الأندلس.

5. إن التعايش يعني الاعتراف بالآخر، وبحقوقه، ولكنه لا يعني الإقرار بصحة دين الآخر، فهما أمران مختلفان.

6. علينا أن نأخذ منها ما كان منسجماً مع ثقافتنا ومفيداً، إذا لم يكن عندنا ما يغني عنه، وهذا أمر نظري لا نكاد نجد عليه مثالا في المجال الثقافي، فإننا لا نجد عند غيرنا في العقيدة والقيم والمشاعر والسلوك ما هو صحيح وليس موجوداً في ثقافتنا الإسلامية.
7. يجب علينا أن نرد ما يتعارض مع ديننا من ثقافات الآخرين، بل ومن النظريات العلمية، وأما الحقائق فإنه لا تعارض بينها وبين الإسلام.
8. أن نجري التعديلات اللازمة على ما يتعارض جزئياً مع ثقافتنا، كما في أساليب اللباس والطعام والرياضة والحياة.

وهكذا فإن التميز الثقافي للأمة لا يتعارض مع التعايش الثقافي والديني، فقد استطاعت الثقافة الإسلامية خلال تاريخها الطويل أن تجمع بين هويتها الثقافية المتميزة، وبين قدرتها على الانفتاح والتعايش مع الثقافات والأديان المتنوعة.

وبهذا يكون الإسلام بحق هو رائد الحوار والتعايش بين الثقافات، ليس نظرياً فقط، بل وعملياً، ولذلك فهو الآن أسرع الأديان انتشاراً في العالم.

وهذا ما طبقه المسلمون بعد البعثة النبوية مباشرة في الجزيرة العربية، ويتلخص بالنقاط التالية:

1. إقرار ما كان نافعاً مفيداً من ثقافتهم وممارساتهم، فالحكمة ضالة المؤمن، كالكرم والشجاعة وحسن الجوار والغيرة ونصرة المظلوم، فقد قال ﷺ (شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكته)<sup>1</sup>، وهو حلف الفضول الذي عقد بمكة، وتتاصر فيه المجتمعون على نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حوائج العامة.
2. الرفض والإلغاء لكل المعتقدات الخاطئة، والسلوكيات المنحرفة، فقد شن هجوماً عنيفاً على عبادة الأصنام، وعلى كل مظاهر عبادة غير الله تعالى،

<sup>1</sup> حديث صحيح، مسند أحمد 193/1، رقم الحديث 1655.

من كهانة أو تنجيم، كما شن الإسلام هجوماً على الأخلاقيات الرذيلة والسلوكات المنحرفة، كالزنا والزنا وأكل مال اليتيم وشهادة الزور وأكل أموال الناس بالباطل وظلم المرأة وواد البنات وغير ذلك.

3. إضافة أمور خيرة كثيرة لم تعرفها ثقافتهم، وهي أمور متنوعة شملت قضايا في تعاملهم مع خالقهم سبحانه وتعالى، وأخرى في تعاملهم مع أنفسهم، أو مع غيرهم من البشر، أو حتى في تعاملهم مع الأشياء والأحياء من حولهم، فكانت مجموعة النظم الإسلامية الاقتصادية والعبادية والسياسية والاجتماعية.

ثم انطلق المسلمون إلى أرجاء الدنيا، وتعرفوا على شعوبها، وتعاملوا مع علومهم وثقافتهم بالطريقة نفسها، فأخذوا عن الرومان علم تدوين الدواوين، ولم يأخذوا القانون الروماني استغناء بالشرعية الإسلامية المتميزة، وأخذوا عن الهند الفلك والحساب، ولم يأخذوا الفلسفة الهندية استغناء بالتوحيد فلسفة الإسلام، وأخذوا عن الإغريق العلوم التجريبية، ولم يأخذوا أساطيرهم الوثنية المنافية للتوحيد الإسلامي. وبالطريقة نفسها التي تعامل بها المسلمون الأوائل مع الثقافات الأخرى يجب أن نتعامل مع الثقافات المعاصرة.

وهكذا فعل الغرب، ففي القرون الوسطى شعرت أوروبا بتخلفها عن العالم الإسلامي، ولما اضطرت إلى الأخذ منه أخذت العلوم، ولم تأخذ الثقافة الإسلامية. وهكذا فعلت اليابان أيضاً مع الثقافة والعلوم الغربية، وهكذا تفعل كل الأمم التي تعزز بثقافتها، حتى ولو كانت ثقافتها متخلفة كالثقافة الوثنية في عصرنا التي تسود نصف العالم، أو كانت ثقافة مادية كالثقافة التي تسود الغرب. وأخيراً فإن الثقافة الإسلامية هي أكثر الثقافات احتكاكاً مع الثقافات الأخرى قديماً وحديثاً، وذلك نظراً لعالمية الإسلام، واتساع رقعة العالم الإسلامي، وتوسطه بين القارات، ووجود مسلمين من كافة الأجناس والأعراق.

## ثانياً: الاختلاف مع الآخر

يبين هذا الموضوع علاقة المسلم بالآخر، وسنتناوله باختصار من خلال النقاط التالية:

### أولاً: الحكمة من الاختلاف:

تتجلى الحكمة من الاختلاف في ما يلي:

1. أنه يحقق جمال الكون والحياة، وهذا نعمة من نعم الله تعالى.
2. أنه يتيح للإنسان خيارات متعددة، ويكون الإنسان مسؤولاً عن خياراته، وهذا هو جوهر الامتحان الذي يعيشه الإنسان في هذه الحياة.
3. أنه فرصة للتعارف، والحوار، والتعاون فيما يتم التوافق عليه، قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]

### ثانياً: أسباب الاختلاف:

عند التعامل مع الاختلاف لا بد من فهم أسبابه التي قد ترجع أحياناً إلى الأمور الآتية:

1. **التقليد الأعمى**، حيث يولد كل إنسان في بيئة لها ثقافتها الخاصة، فينشأ على هذه الثقافة، ويظنها صحيحة، دون أن يفكر في مدى صحتها.
2. **التعصب والعناد**، وفي هذه الحالة يعرف الإنسان أن ثقافته غير صحيحة، ولكنه يكابر ويصر على خطئه، وهذا نوع من اتباع الهوى.
3. **اتباع المصالح**، حيث تكون المخالفة تابعة للمصالح وليس عن قناعة.
4. **اختلاف الاجتهادات**، وهذا مثل الاختلاف في بعض الفرعيات بين العلماء المسلمين في بعض القضايا، وهذا راجع إلى اختلافهم في فهم بعض النصوص الشرعية، أو في صحة بعض الأحاديث، أو في تطبيق النصوص على

الواقع، وبعض هذه الاختلافات مقبولة، وتشكل ثروة علمية واسعة، بل إن العلماء يؤجرون عليها، وهذه هي التي قال فيها ﷺ (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر) <sup>1</sup>، وبعضها غير مقبول، وبخاصة الآراء الشاذة التي تصادم النصوص الشرعية.

### ثالثاً: أقسام الاختلاف:

ينقسم الاختلاف في الثقافات إلى أقسام متعددة، من زوايا مختلفة، ومن أهمها:

1. **الاختلاف الإيجابي**، وهو الذي يؤدي إلى التكامل والتعاون، كاختلاف تخصصات الناس وقدراتهم وإمكاناتهم واهتماماتهم، **والاختلاف السلبي**، وهو الذي يؤدي إلى الفرقة والتنازع.

2. **الاختلاف في الأصول**، وهو مثل الاختلاف في الدين، أو الاختلاف في القضايا الرئيسية في الإسلام، وقد حذر الله تعالى من مثل هذا الاختلاف، وبين أنه يؤدي إلى تنازع الأمة وفرقتها وضعفها، قال تعالى ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمُ الْوَسْوَاسُ الْكَافِرُ﴾ [الأنفال: 46].

**والاختلاف في الفروع**، وهو مثل وجود مذاهب عقائدية أو فقهية متعددة داخل الإسلام، كالمذاهب الفقهية الأربعة.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

### ثالثاً: الحوار مع الآخر

يُعَدُّ الحوار في الإسلام من الأسس الهامة التي تؤسس العلاقة مع الآخر، إذ إنَّه ينشر المحبة والألفة والتعاون في المجتمع، وهو وسيلة تخاطب بين الأفراد فيما بينهم، والمجتمعات فيما بينها.

وإنَّ المنتبَّح لآيات القرآن الكريم يجد أنَّ الله تعالى حاور إبراهيم عليه السلام في بناء البيت، وكيفية إحياء الموتى، وحوار موسى، بل حاور إبليس، كما أنَّ أنبياء الله ورسله عليهم السلام حاوروا أقوامهم.

وقد حتَّ الإسلام على الحوار مع جميع النَّاس، وبالأخصَّ مع أهل الكتاب، ولذلك حاور الرَّسول ﷺ اليهود والنصارى وعبدة الأصنام.

ونجد أنَّ أول حوار جرى بين المسلمين والنصارى ما دار بين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والنجاشي ملك الحبشة، الذي وصفه الرَّسول ﷺ بالملك العادل الذي لا يُظلم عنده أحد، وقد ركز جعفر رضي الله عنه في عرض الإسلام على النجاشي على القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية، وهذا ما ينبغي أن ننتبه إليه ونركز عليه.

وتوجد الآن مساحات واسعة، وفضاءات رحبة، لكي تُبحث فيها القضايا المشتركة في الحوار مع الآخر خدمة للمجتمع الإنساني، وتكمن أهمُّ هذه القضايا في الدِّفاع عن الأنبياء جميعاً عليهم السلام، وذلك بوقف التعرُّض لهم بالإساءة والاستهزاء، لقوله تعالى ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]

ويمكننا بالحوار أن نرسِّخ منظومة القيم الأخلاقية بما تحمله من معاني السَّماحة والتَّعاضد، والتَّآلف، والسَّلم، واحترام الآخر، والتَّأكيد على النَّواحي الإيجابية البُناءة، وتعزيز السَّلوكة الحضاريَّة في المجتمع الإنساني، وتهيئة أرضية ملائمة لنماء شامل ومستدام.

ومن هنا التَّصدي لكلِّ انحراف خُلقي، كعبادة الشيطان، والإجهاض، والقتل الرَّحيم، وزواج المثليين، وغيرها.



وإيجاد حلول لقضايا عالميّة كالعدوان على الشّعوب والمجتمعات بكلّ أشكاله وصوره، وقتل الأبرياء والمسالمة والمدنيين؛ لتحقيق منافع ماديّة، وأطماع دنيويّة. وكذلك تعزيز التّعاون والتّكاتف، وتوحيد الجهود في عمارة الأرض، ومواجهة الكوارث الطّبيعيّة من زلازل وبراكين وفيضانات وأعاصير، وما ينجم عنها من تشرّد، وإصابات، وجوع، وفقر، وأمراض وأوبئة، وخسائر.

ومن هذه القضايا أيضا الحفاظ على البيئة، وعدم تلويثها أو إفسادها، وإيجاد حلول عمليّة لقضايا بيئيّة ومناخيّة بدأت تظهر نتيجة سوء تعامل الإنسان مع البيئة، كالتلوث البيئيّ بجميع أنواعه، والاحتباس الحراريّ، والتبدّل المناخيّ، وغيرها، قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: 41].

وبذلك فإنّ الحوار يلعب دورا كبيرا في التّقريب بين المجتمعات والشّعوب والأمم، وفي المقابل إذا انعدم الحوار فسيكون سبباً لتغذية اتجاهات الصّدام والصّراع والافتتال.

#### الفرق بين الحوار والجدال:

الحوار: التعبير عن الرأي وسماع رأي الآخر، ومناقشته للوصول إلى الحقيقة.

وأما الجدل ففيه غالبا خصومة وتعصب للرأي، قال تعالى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].

ويمكن أحيانا قليلة إطلاق كلمة الجدل دون أن يراد بها الخصام، مع ذكر ما يميزها، قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46] أسس الحوار:

1. مخاطبة العقل واعتماد الدليل: لأن هدف الحوار هو الإقناع والوصول للحق وتفهّم وجهة نظر الآخر، وذلك لا يكون إلا بالاعتماد على الحجة والمنطق، بعيدا عن العواطف ونزعات النفس، وهذا هو الشرط الأهم في أي حوار بين العقلاء. ومن نماذج مخاطبة العقل في الحوار قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ

الْخَلْقُونَ ﴿[الطور: 35] فهذه الآية تخاطب العقلاء وتبين لهم أن هناك ثلاثة احتمالات فقط: إما أن يكونوا قد خُلِقوا من غير خالق، أو أنهم خلقوا أنفسهم، أو أن لهم خالقاً، والاحتمالان الأولان باطلان فثبت الاحتمال الأخير.

وفي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه (إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالرَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ائْذَنُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِحُوتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِحَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَقِ إِلَى شَيْءٍ<sup>1</sup>.

هذا الحوار النبوي يُعد أسلوباً حكيماً في إثارة الإقناع العقلي، والحوار الهادئ.

2. **الانطلاق من إمكان صواب الآخر:** لا بدّ ابتداء من التسليم الجدلي بأن الآخر قد يكون على حق، فبعد محاورة طويلة في الأدلة على وحدانية الله تعالى يأمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول: ﴿وَإِنَّا أَوْلَىٰ بِكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]. إنه الأدب الرفيع والأسلوب الأمثل في الحوار، ليحفزهم على التدبر والتفكير بأسلوب ليس فيه اعتداد أو تكبر أو الرغبة في إظهار التفوق والغلبة.

3. **الإنصاف والرجوع إلى الحق عند ظهوره:** لا بد أن يكون الحوار مع من عُرف منه الإنصاف وقبول الحق أو يُظن به ذلك، وهذا مطلوب من الطرفين، حتى يستمع للآخر بإقبال وتجرد.

<sup>1</sup> حديث صحيح، مسند أحمد 36/ 545، رقم الحديث 22211.

وقلة الإنصاف تُسقط احترام الشخص من العيون لأنها تُظهره معاندا للحق. ولو أخذ الإنصاف حظه من نفوس جميع الباحثين عن الحقائق لقلّت مسائل الخلاف. ومن صور الإنصاف والرجوع للحق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدا له أن يضع حدا للمهور، فخطب قائلاً: ألا لا تُغالوا في صدقات النساء -أي مهورها- فإنها لو كانت مكرومة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية -أي من الفضة-، فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر، يعطينا الله وتحرمنا ! أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ إحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: 20]، فقال عمر: "كل أحد أفقه من عمر" <sup>1</sup>.

**4. حسن الإنصات للآخر وعدم مقاطعته:** فحسن الإنصات وتقهُم ما يقوله المحاور الآخر يجعله يثق بجديتك في الوصول للحق، وهكذا فعل الأنبياء عليهم السلام.

**5. التركيز على نقطة الخلاف:** فإن كثيراً من مجالس الحوار والمناظرات ينتقل فيها الحديث من قضية إلى قضية وتتداخل الأفكار والخواطر بحيث تضيع الفكرة الأصلية، فالعبرة ليست بكثرة الكلام إنما بما فيه من منفعة، والإيجاز أقصر الطرق إلى العقول السليمة.

**6. احترام المحاور:** فكيف يكون هناك حوار حقيقي دون احترام الطرف الآخر؟ دون إيذائه أو تسفيه رأيه، بل بمعاتبته بطريقة لطيفة.

" فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما يختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يُطامن (يُقلل) من هذه الكبرياء الحساسة، ويُشعر المجادل أن ذاته

<sup>1</sup> حديث حسن، سنن سعيد بن منصور 1/195، رقم 598، الدار السلفية، الهند.

مصونة وقيمتة كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الآخر" <sup>1</sup>.

7. **الاهتمام بالأولويات:** وهو التركيز في المحاورات على ما تدعو إليه حاجة الناس، فالقضايا كثيرة، فينبغي أن يختار المحاور ما فيه فائدة عاجلة للناس، ويؤجل الحديث في غيرها إلى أن يحين أوانها، وقد كان النبي ﷺ القدوة في ذلك، فكان يجيب السائل بمقدار ما يرى أنه ينفعه، وقد يحيد عن جوابه المباشر إلى جواب آخر يرى أنه أصلح للسائل، فقد سأله أعرابي: (متى الساعة يا رسول الله؟ فقال له: ماذا أعددت لها؟ قال: حبّ الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت) <sup>2</sup>، فليس المهم معرفة وقت قيام الساعة الذي استأثر الله بعلمه، إنما المهم الإعداد والتزود بالعمل الصالح.

8. **الوضوح في الأفكار:** فهو ضروري لنجاح الحوار، كما أنه يوفر كثيرا من الجهد والوقت في الحوار.

---

<sup>1</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن 110/13.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر.

## رابعاً: نظرية صراع الحضارات وموقف الإسلام منها

صراع الحضارات هو: النزاع الذي ينشأ بين الدول نتيجة الاختلافات الثقافية بينها، وليس نتيجة الاختلافات القومية والسياسية والاقتصادية.

### أصول النظرية:

تعود جذور هذه النظرية إلى العصور اليونانية الأولى، ثم العصور الرومانية، حيث سادت عقيدة (صراع الآلهة) القائمة على تعددها، ونتج عنها: صراع الإنسان مع الآلهة، وصراعه مع الطبيعة، وصراع الإنسان مع الإنسان، وتبلورت هذه الفكرة بصورة أوضح في عصر التنوير في أوروبا بين شتى طبقات المجتمع، ثم تطورت في القرن التاسع عشر من خلال (البيان الشيوعي) الذي جاء فيه (إن تاريخ المجتمع كله حتى اليوم، هو تاريخ صراع الطبقات).

وقد عانت الشعوب الأوروبية من الحروب الأهلية فيما بينها، وكان من أهمها الحربان العالميتان الأولى والثانية، اللتان أضرمت شرارتهما عقيدةً عنصرية ونزعة استبدادية.

وعاش القطبان - الشرقي والغربي - في حرب باردة طويلة، كانت الولايات المتحدة تقود حلف شمال الأطلسي (الناتو)، بينما كان الاتحاد السوفياتي يقود حلف (وارسو) الذي ضمّ دول أوروبا الشرقية، وانتهت هذه الحرب الباردة بتفكك الاتحاد السوفياتي في 1991م، حيث انفردت الولايات المتحدة بقيادة السياسة الدولية، ونشأت بعدها عند بعض الباحثين الأمريكيين فكرة الصراع بين الحضارات، ثم تأججت الفكرة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م وسقوط برجي التجارة العالمية في أمريكا، وتوجيه أصابع الاتهام للأصولية الإسلامية.

## واضع النظرية:

يعد (صامويل هنتنغتون) <sup>1</sup> الأمريكي واطع هذه النظرية، وهو صاحب كتاب صراع الحضارات الصادر سنة 1996م، وهو رد على كتاب تلميذه (فرانسيس فوكوياما) <sup>2</sup> بعنوان (نهاية التاريخ) <sup>3</sup>، بين فيه أن الديمقراطية الليبرالية <sup>4</sup> تشكل منتهى التطور الأيديولوجي للإنسانية، أو (الشكل النهائي لأي حكم إنساني)، بخلاف أشكال الحكم القديمة التي حوت أخطاء وتناقضات أدت إلى انهيارها، بينما الديمقراطية الليبرالية كانت خالية من هذه التناقضات الأساسية <sup>5</sup>، لكن (هنتنغتون) اعتبرها نظرة قاصرة، وقال بأن صراعات ما بعد الحرب الباردة لن تكون بين الدول القومية واختلافاتها السياسية والاقتصادية، بل ستكون الاختلافات الثقافية هي المحرك الرئيس للنزاعات بين البشر في السنوات القادمة، ويرى أن أكثر خطوط الصراع عنفاً عندما تكون بين الإسلام وجيرانه الأرثوذكس والهندوس والأفارقة والمسيحيين والغربيين، وبشكل عام سيكون الصراع بين الشرق من جهة، والغرب من جهة أخرى، وعندما تزداد ثقة الشعوب الشرقية بثقافتها وتزداد القوة النسبية لها تذبل جاذبية الثقافة الغربية، وتصبح غير قادرة على تكريس عالمية الثقافة الغربية <sup>6</sup>.

---

<sup>1</sup> صامويل فيليبس هنتنغتون (1927-2008م) عالم سياسي أمريكي، وأستاذ جامعي، وكان مخططاً أمنياً في إدارة الرئيس جيمي كارتر.

<sup>2</sup> يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما: فيلسوف واقتصادي سياسي أمريكي من أصل ياباني، وأستاذ جامعي، ومدير لبرنامج التنمية الدولية في كلية الدراسات الدولية.

<sup>3</sup> فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الثايب، مركز الإيمان القومي، بيروت، 1993م.

<sup>4</sup> ديمقراطية توفر حرية كاملة لحقوق الإنسان ضمن القانون، وانتخابات نزيهة.

<sup>5</sup> المصدر السابق ص23.

<sup>6</sup> هنتنغتون، صامويل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة د. مالك أبو شهيو و د. محمود خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا. ط1، 1999م. ص 333-334.

فمصدر النزاعات والانقسامات بين الحضارات سيكون ثقافياً، وسيسيطر الصدام الحضاري على السياسات الدولية، وسيكون النزاع بين الحضارات هو المرحلة الأخيرة في تطور النزاعات في العالم الحديث<sup>1</sup>.

ويرى (هنتغتون) أن هناك حضارات كثيرة ستشترك في هذا الصراع منها: الحضارة الغربية والهندية واليابانية والإسلامية، وبين أن الدين الإسلامي يملأ الفراغات بين الأجناس، ولكنه يهاجم الفكر الإسلامي الأصولي، ويعترف أن المجابهة أمام الغرب ستكون بين المسلمين الذين هالهم عدوان الغرب على المسلمين خلال القرون الأخيرة، ثم لأن الغرب يستعمل مقياساً مزدوجاً للأحداث، فهو يدمر العراق بشبهة امتلاك أسلحة كيميائية، ويدعم إسرائيل المحتلة التي تملك أسلحة كيميائية ونووية.

ولا شك أن (هنتغتون) مخطط استراتيجي لإقامة النظام العالمي الجديد، وقد وضع هذه النظرية لخدمة هذا النظام، حيث تؤدي نظريته إلى تعبئة العدد الأكبر من جماهير الدول الأوروبية والأمريكية وإثارة حماسهم لخوض حروب صليبية جديدة ضد غيرهم<sup>2</sup>، وهي تسويغ لهيمنة عالمية جديدة، ويترتب على هذه النظرية بعض المخاطر منها:

1. تخدم الدول العظمى في إحكام سيطرتها على مقاليد الأمور في العالم أجمع، وتحكيم شريعة الغاب.

2. تؤدي إلى حالة من الحنق والغضب الشديد بين الدول الصغرى إزاء العظمى المستبدة.

3. تقوي نظرية المؤامرة بين الأمم والشعوب.

---

<sup>1</sup> صدام الحضارات 13-14، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ط1، 1999م.

<sup>2</sup> صدام الحضارات (مقالة) د. صلاح قنصوه: (فرق تسد) في ثوب جديد. المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق 331.

4. تؤدي إلى انقسام العالم إلى محورين أو أكثر، مما يؤدي إلى ظهور تحالفات جديدة قائمة على النزاع الحتمي، مما يفضي في النهاية لوقوع حرب عالمية ثالثة.

5. تغذي الأصولية المتشددة عند بعض المسلمين، لأنها تعبئ فريقاً منهم بالحماسة والقيام بعمليات إرهابية ضد مصالح الغرب نتيجة لهذا الازدراء الحضاري.

### موقف المفكرين من النظرية:

للمفكرين مواقف متعددة من هذه النظرية، وأهمها:

1. يرى بعض المفكرين أن الصراع إنما هو بين الثقافات، وليس بين الحضارات، ويرون أن الصراع الثقافي: اختلافات في القيم الثقافية والعقائدية التي تؤدي إلى حدوث خلافات بين البشر<sup>1</sup>، وأن الصراع الثقافي يواجه بالحوار والتفاعل الثقافي.

2. ويرى آخرون أن مصطلح (صراع الحضارات) وهمي يخفي تحته السبب الحقيقي وهو (صراع المصالح) وأن أصحاب تلك المصالح استغلوا اختلاف الحضارات والثقافات وتباينها، فحركوا تلك الخلافات وأججوا المشاعر باسم الدين، كما حدث في حروب الفرنجة (الحروب الصليبية) أو باسم التفوق الحضاري وترقية الشعوب المتخلفة وتمدينها، كما حدث في حملات الاستعمار أو الانتداب، ويترتب على ذلك أن حوار الحضارات ليس الوسيلة المجدية لمنع الصراع، وإنما وسيلة منعه: إما توازن المصالح نفسها، بحيث لا يخشى كل فريق الفريق الآخر، فيجزم عن خوض الصراع معه، وإما من خلال تبادل المصالح والمنافع عن طريق المساومات والتنازلات، وليس من باب الحوار الحضاري أو الثقافي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الموسوعة : صراع ثقافي <http://ar.wikipedia.org/wiki/>

<sup>2</sup> الأسد. أ. د. ناصر الدين، حوار الحضارات: تحرير المصطلح والمنهج 27، ضمن كتاب: حوار الحضارات والمشهد الثقافي الغربي، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان ط1، 2004م، بتصرف يسير.



3. ويرى آخرون أن القول بحتمية صراع الحضارات أو صدامها يجافي سنة التاريخ ويتعارض مع طبيعة الحضارة، فالحضارة لا طابع عرقيا لها، ولا ترتبط بجنس من الأجناس، ولذلك فإن الحضارات لا تتصارع وإنما تتدافع وتتلاقح، ويكمل بعضها بعضاً وتتعاقب وتتواصل، لأنها خلاصة الفكر البشري والإبداع الإنساني، فالصراع بين الحضارات ليس وارداً فالله تعالى يقول ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]، فـ (التدافع الحضاري) يفهم من آيات الكتاب، فهذا هو القانون الأزلي للبشر فوق الأرض، وهو سنة إلهية لا تقبل التغيير ولا التحويل<sup>1</sup>.

#### موقف الإسلام من نظرية صراع الحضارات:

الإسلام يحب أن يعيش الجميع بسلام، والأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين - أفرادا وشعوبا ودولا - أنها علاقة تعارف وحوار وتعاون، وليست علاقة حروب وصراعات، ولذلك فالإسلام يحب (حوار الحضارات) و (تعاون الحضارات) وليس (صراع الحضارات)، فالأصل في الإسلام السلم، وليس القتال إلا استثناء عند الحاجة فقط.

ولكن الذي ينبغي أن يكون شيء، والواقع شيء آخر، فالواقع أن العلاقة بين الحضارات منذ فجر التاريخ علاقة صراع، ولا شك أن الإسلام دين واقعي، ولا يمكنه أن يتجاهل هذا الواقع، قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: 217] فهو صراع مستمر لا يتوقف، ولكنه صراع بدأه غير المسلمين، كما يؤكد هذا كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تتحدث عن المستقبل وما سيكون فيه من صراع، ولا يمكن للمسلمين في هذا الواقع إلا أن يدافعوا عن بلادهم، ولذلك شرع الجهاد في الإسلام.

---

<sup>1</sup> التويجري، عبد العزيز، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي 18-24.

### فقد شرع الجهاد لأمرين:

**أولهما:** الدفاع عن المسلمين وعن المواطنين من غير المسلمين، وعقيدتهم، وحماية أمنهم وبلادهم، وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى أن الكافرين لا ينقطع قتالهم للمسلمين، بقصد صدهم عن دين الله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39].

**ثانيهما:** الدفاع عن حرية غير المسلمين في اختيار الدين الذي يريدون، وذلك بإزالة العوائق التي تمنع تبليغ الإسلام، ليكون الناس أحراراً في اختيار الإسلام أو البقاء على دينهم، فلا نجبرهم نحن على الإسلام، ولا نقبل أن يجبرهم غيرنا على الكفر.

ويظن بعض الناس أن الغرض من الجهاد إكراه الناس على تغيير دينهم، وإدخالهم في الإسلام بالقوة وحدّ السيف، ولو كان من أهداف الإسلام تحقيق ذلك لما وجدنا أصحاب الديانات الأخرى تعيش بين المسلمين وفي كنفهم إلى هذا اليوم، ولما وجدنا أماكن عبادتهم قائمة مصانة إلى هذا اليوم، ولما وجدنا النصوص التي تأمر بحفظ حقوقهم، وتمنع من إيذائهم والتعدي عليهم.

ويؤكد ما تقدّم؛ أن عمر رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس زار كنيسة القيامة، وحان وقت الصلاة وهو جالس في صحنها، فخاف إن صلى في داخلها أن يتخذها المسلمون من بعده مسجداً لهم، فخرج وصلى خارجها، وقال للبطريرك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذه المسلمون من بعدي، وقالوا: هنا صلى عمر.

وكان عمر قد كتب كتاباً للنصارى أمّنهم فيه على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وجاء في عهده لهم أن كنائسهم لا تُسكن، ولا تُهدم، ولا يُنقص منها ولا من حيّزها، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم.

## الوحدة الرابعة

### مجالات الثقافة الإسلامية

#### أولاً: المجال الإيماني

وسنقتصر في هذا المجال على معنى الإيمان، وقواعد العقائد، والإيمان بالله تعالى، والإيمان بالقضاء والقدر، وذلك لأنها ستعرض بمستوى أعلى مما درسه في المرحلة الثانوية.

#### معنى الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق، قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف 17).

واصطلاحاً: الاعتقاد الجازم بالإسلام، وإذعان القلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح.

فالمعرفة وحدها لا تكفي في تحقيق اسم الإيمان، فإبليس لا تنقصه المعرفة، بل لا بد من إذعان القلب، وأما العمل فهو من كمال الإيمان، ولذلك أجمع أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة إن لم يكن مستحلاً لها ليس كافراً، بل هو مؤمن فاسق. وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا الفهم للإيمان هو الفهم الإيجابي العملي الذي يتجاوب مع حياة المسلم، ومن لم يثمر إيمانه أعمالاً صالحة تظهر في سلوكه اليومي فهو كالشجرة بلا ثمرة.

## قواعد العقائد

قبل الحديث عن أركان الإيمان يحسن بنا أن نذكر أهم قواعد العقائد<sup>1</sup>.

**القاعدة الأولى: ما يدرك بالحواس لا يشك في وجوده، وذلك بشرط أن لا يحكم العقل بالتجربة السابقة أن الذي تدركه الحواس وهم وخداع كرؤية السراب، والأمور التي تخطئ فيها الحواس أمور معدودة، لا تبطل القاعدة ولا تؤثر فيها، ومن هذه الأمور عمل سحرة فرعون وما يعملهم سحرة السرك في هذه الأيام.**

**القاعدة الثانية: أن اليقين يحصل بالخبر الذي نعتقد صدق صاحبه، فنحن نوقن بوجود الهند والبرازيل، ولم نرهما.**

**القاعدة الثالثة: لا يحق لنا أن ننكر وجود أشياء لمجرد أننا لا ندركها بحواسنا، فالعين لا ترى عالم الألوان كله، ونحن لا نرى النملة تمشي على بعد ثلاثة أميال، وقد كان الأقدمون يحصرونها في خمسة حواس فقط، ولكن كشفت في الإنسان حواس أخرى أودعها الله فيه، كحاسة التوازن، والإحساس بالزمن .. إلخ.**

**القاعدة الرابعة: أن العقل لا يستطيع أن يحكم إلا في الأمور المادية المحدودة، أما عالم الغيب فلا حكم للعقل عليه، وكذلك صفات الله تعالى، والروح، فالعقل لا يحكم إلا في حدود الزمان والمكان، والعقل محدود فكيف يحكم على غير المحدود؟ فلا يستطيع أن يتصور اللانهايي مثلاً.**

**القاعدة الخامسة: أن الخيال البشري لا يستطيع أن يلم إلا بما أدركته الحواس، فتمثال الثور المجنح في متحف باريس إنما هو رأس رجل، وجسد ثور، وله أجنحة، وهي صورة جديدة، ولكنها مؤلفة من أجزاء موجودة في الواقع، وهكذا فالخيال محدود أيضاً بما في الواقع، بل لا يستطيع الإنسان أن يجمع في خياله كل ما في الواقع، فمن يستطيع أن يتخيل رائحة حمراء؟.**

---

<sup>1</sup> هذه القواعد وضعها الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، وقد فصلها في كتابه الشهير: تعريف عام بدين الإسلام، ولأهميتها وضعت هنا، ولكن باختصار.

**القاعدة السادسة: كل مولود يولد على الفطرة، فالناس جميعا المؤمن منهم والكافر إذا أُلِّمَتْ بهم مِلْمة ولم يجدوا لها دفعا لا يعوذون بشيء من هذه الكائنات، وإنما يعوذون بقوة وراء هذه الكائنات، وهم يشعرون بعظمتها وجلالها، إنهم يعوذون بالله خالقهم، لأن الإيمان بالله تعالى فطرة في النفوس.**

### **الإيمان بالله تعالى**

#### **أدلة وجود الله تعالى<sup>1</sup>:**

الأدلة على وجود الله تعالى أدلة عقلية، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يُدرك بالحواس، ولا يقبل لإثبات وجود الله الاستشهاد بالقرآن أو السنة النبوية، وفيما يلي أهم الأدلة التي تدل على وجود الله تعالى:

#### **1. دليل الخلق أو الإبداع أو الحدوث.**

فقد ثبت علميا بما لا يدع مجالا للشك أن الكون بكل ما فيه له بداية، ويقدر عمر الكون بحوالي 14 مليار سنة، فهو ليس موجودا منذ الأزل، ولذلك لا بد له من موجد، فمعلوم أن كل مخلوق لا بد له من خالق، أو كل حادث لا بد له من مُحْدِث، وفي اللغة - حتى قبل الإسلام - لا بد لكل فعل من فاعل، سواء كان الفاعل ظاهرا أو مستترا، ولا يمكن أن يكون قد وُجد الكون صدفة، ولا يمكن أن تكون المخلوقات قد خلقت نفسها، وهذا دليل عقلي ذكره الله تعالى فقال تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35].

---

<sup>1</sup> للمزيد من المعلومات في هذا المجال انظر كتاب: تعريف عام بدين الإسلام للشيخ على الطنطاوي، وكتاب: كبرى اليقينيّات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وكتاب حوار مع صديقي الملحد للدكتور مصطفى محمود، وكتاب قصة الإيمان لنديم الجسر، وكتاب الفيزياء وجود الخالق للدكتور جعفر شيخ إدريس، وحلقات برنامج العلم والإيمان للدكتور مصطفى محمود أيضا، وكتاب خرافة الإلحاد للدكتور عمرو شريف، وحلقات برنامج الداء والدواء للدكتور عمرو شريف أيضا، وموقع الباحثون المسلمون، وموقع العلم يؤكد الدين، ومركز براهين.

وقد تحدى الله سبحانه وتعالى بقضية الخلق المشركين الذين اتخذوا آلهة معبودة من دونه، وطالبهم بأن تخلق هذه الآلهة أقل موجود وأحقره، قال تعالى ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج 73).

## 2. دليل التنظيم والعناية

فالكون في غاية التنظيم والعناية والإتقان، بحيث يؤدي كل مخلوق فيه الغرض من خلقه، بما يجعل للكون عملاً منتظماً، وأدواراً متكاملة متناسقة، ولا يمكن أن يكون ذلك صدفة، أو من تنظيم نفسه، فإذا كان لا يمكن أن يوجد كتاب دون مؤلف، أو برنامج دون مبرمج، أو قصيدة دون شاعر، فكيف يمكن للكون أن يكون دون خالق!.

### تساؤلات:

هناك بعض التساؤلات التي تدور في أذهان بعض الناس، ويتردد بعضهم بالسؤال عنها لسبب أو لآخر، ويظن بعضهم أنها ليس لها جواب، وأن على المسلم أن يتقبلها دون تفكير، ويظن بعضهم أن السؤال عنها حرام، ومن أهم هذه التساؤلات:

#### أ- من خلق الله؟.

والجواب عن هذا السؤال سهل ميسور، وهو: أن المخلوق هو الذي يحتاج إلى خالق، لأنه كما قلنا له بداية، فهو حادث، أي: لم يكن موجوداً ثم وجد، وهذا يحتاج خالقاً، فهو فعل يحتاج فاعلاً، وأما الفاعل فلا نبحث له عن فاعل، ولذلك لا أن يقال من خلق الله، لأن الله ليس له بداية، فهو سبحانه وتعالى أزلي، والأزلي لا يحتاج خالقاً، ولا يصح أن يُسأل هذا السؤال إلا إذا أثبتنا أن الله سبحانه له بداية، فحينها يصح أن يقال: من خلق الله.

ب- هل يقدر الله تعالى أن يخلق إلها آخر؟.

والجواب عن هذا: أن السؤال فيه تناقض واضح، وذلك أن الإله لا يمكن أن يكون مخلوقا، بل هو خالق، فكأن السؤال يقول: هل يمكن أن يكون الإله خالقا ومخلوقا في الوقت نفسه؟، أو بعبارة أخرى: هل يمكن أن يكون الإله أزليا وغير أزلي في الوقت نفسه؟ وهذا هو التناقض في السؤال.

ج- هل يقدر الله تعالى أن يخلق شيئا كبيرا جدا جدا بحيث لا يستطيع أن يحركه؟.

والجواب عن ذلك أنه سؤال متناقض أيضا، فهو يفترض في أحد شقيه أن قدرة الله تعالى مطلقة، وفي الشق الثاني أن قدرة الله محدودة. ويمكن بطريقة أخرى أن نسأل السائل: هل قدرة الله مطلقة أم مقيدة؟ فإن قال: بل قدرته تعالى مطلقة، قلنا له: إذن يقدر سبحانه أن يخلق وأن يتصرف في خلقه، وإن قال: بل قدرته محدودة، قلنا له هذا رأيك، ورأيك لا يلزمنا.

د- لو كان الله موجودا لما سمح بالظلم والفساد المنتشر في هذا العالم، فالله لا يحب الظلم، فلماذا يسمح بوجوده؟.

والجواب: نعم إن الله لا يحب الظلم ولا يرضاه، ولكن هناك فرق بين أن يرضى بالظلم وبين أن يسمح بحدوثه لحكمة عظيمة، وهذه الحكمة هي ما يلي: أننا في هذه الدنيا في امتحان، ولا شك أن الأستاذ في امتحانات الدنيا - والله المثل الأعلى - لا يرضى بالخطأ في الجواب، ولكنه حينما يرى الطالب يجيب جوابا خاطئا فإنه لا يتدخل لمنعه من الجواب، لأنه لو فعل ذلك لاختل نظام الامتحانات كلها، ولكنه يتركه يجيب بما شاء، ثم يحاسبه على ذلك، وهذا هو ما يفعله الله سبحانه وتعالى.

هـ- لماذا خلقنا الله تعالى في هذه الدنيا؟ ألا يعلم الله سلفا من منا سيكون من أهل الجنة، ومن منا سيكون من أهل النار؟ فلماذا خلقنا إذن؟

والجواب عن هذا السؤال: أن الله تعالى لو خلق إنسانا وقال له: أعلم أنك ستكون مؤمنا صالحا، ولذلك لا حاجة لأن تعيش الحياة الدنيا، بل ادخل الجنة، فسيقبل ويسر، ولكن إن قال لآخر: أعلم أنك ستكون كافرا أو عاصيا، ولذلك ادخل النار، فماذا سيكون موقفه؟ ألا يشعر بالظلم؟ ألن يقول مثلا: يا رب أعطني فرصة، وسترى مني إيمانا وطاعة؟

ومثل ذلك كمثل الأستاذ الذي يمنع الطالب من دخول الامتحان، ثم يقوم بترسيبه فيه!.

### توحيد الله

ذهب بعض العلماء إلى أن التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا التقسيم وإن لم يرد في القرآن أو السنة، فإنه تقسيم جيد للتسهيل على الدارسين.

1- **توحيد الربوبية:** وهو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى وحده خالق كل شيء، والمتصرف فيه، فهو المحيي المميت، والنافع الضار، الذي له الأمر كله، ليس له في ذلك شريك، قال تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:54). وتوحيد الربوبية أمر مركوز في فطرة الناس، لا يكاد ينازع فيه أحد، حتى إن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بذلك، قال تعالى ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف:87).

ولم ينازع في هذا التوحيد إلا الدهريون قديماً، والماديون الملحدون حديثاً، حيث جحدوا وجود الله تعالى، وزعموا أن العالم يسير بنفسه، وأنالمادة خلقت نفسها. ولما وُجد في الناس من ينازع في توحيد الربوبية قرره الله أبدع تقرير في قوله سبحانه وتعالى ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون:91).



- 2- **توحيد الإلهية:** ومعناه الاعتقاد الجازم أن الله تعالى وحده الذي يستحق الطاعة المطلقة، فالله سبحانه وتعالى هو وحده المعبود بحق.
- وهذا التوحيد هو الذي وقع النزاع فيه بين الرسل وأممهم، فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله أنداداً، ويعتقدون أن لهم حقاً في الطاعة مع الله عز وجل فيما شرعوا لهم من شرائع وقوانين.
- 3- **توحيد الأسماء والصفات:** ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى وحده المتصف بجميع صفات الكمال، والمنزه عن جميع صفات النقص.

### أثر الإيمان بالله تعالى

للإيمان بالله تعالى آثار عظيمة أهمها:

1. يعطي العقل إجابات شافية على الأسئلة الرئيسية التي يفكر فيها، مثل من خلقتني؟ لماذا خلقت؟ ماذا بعد الموت؟.
2. يمنح النفس القدرة على مواجهة الشدائد، وينشر فيها السكينة والطمأنينة، أما غير المؤمن فإنه ينهار لأنه لا يؤمن إلا بالدنيا، فإن فقدتها فقد كل شيء، ويملاً النفس بالخير.
3. ينظم المجتمع فيمنع اعتداء أحد على أحد فتتخفض نسبة الجرائم، ويربط أفراد المجتمع برباط قوي من التراحم والتكافل.
4. ينجي الإنسان من النار ويدخله الجنة يوم القيامة.

### الإيمان بالقضاء والقدر

القضاء والقدر هو: علم الله تعالى الأزلي بكل ما حدث وما سيحدث.

أو: حدوث الأمور كلها وفقاً لعلم الله تعالى الأزلي.

والأسئلة التي تتردد على الألسنة في هذا المجال هي:

1. هل علم الله تعالى الأزلي - أو كتابة هذا العلم في اللوح المحفوظ أو

في صحيفة الإنسان وهو جنين في بطن أمه - يجبر الإنسان على

فعل ما علمه الله تعالى؟.

2. وهل يمكن أن يجبر الله الإنسان على شيء ثم يحاسبه عليه؟.

وقد ظهرت في التاريخ الإسلامي بعض الفرق المنحرفة التي لم تفهم القدر فهماً صحيحاً، فقد اعتقد هؤلاء أن علم الله السابق وكتابة هذا العلم في اللوح المحفوظ وفي صحيفة الإنسان وهو جنين، اعتقدوا أن ذلك يجبر الإنسان على سلوك معين، وانقسموا نتيجة هذا الخطأ إلى قسمين:

أ- **القدرية**: وهم الذين نفوا القدر، وقالوا: إن الله لا يعلم عمل الإنسان قبل حدوثه، ولا يعلمه إلا بعد أن يحدث.

وهؤلاء أرادوا الهروب من وصف الله تعالى بالظلم، ولكنهم وقعوا في وصف الله بالجهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا شك أن هذا فهم خاطئ ومنهج منحرف.

ب- **الجبرية**: وهم على النقيض، فقد أثبتوا علم الله لأعمال الإنسان قبل أن يعملها، واعتقدوا أن الإنسان مجبر على أعماله، وأن الله تعالى أن يجبر الإنسان على العمل ثم يعذبه عليه، وهؤلاء أرادوا أن يهربوا من وصف الله تعالى بالجهل، ولكنهم وصفوه - سبحانه وتعالى - بالظلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا شك أيضاً أن هذا فهم خاطئ ومنهج منحرف.

وأما الفهم السليم لعقيدة القضاء والقدر فيمكن عرضها باختصار <sup>1</sup> من خلال النقاط التالية:

1. خلق الله الإنسان وفيه جانبان: جانب إرادي، وجانب غير إرادي. فالجانب الإرادي مثل الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، والدراسة أو عدمها، وتناول العلاج أو عدم تناوله، قال تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ <sup>2</sup>.

والجانب غير الإرادي مثل الشكل الذي خلق الله به الإنسان، والزمن الذي خلقه فيه، والأسرة التي ولد فيها، والقوانين التي أوجدها الله في جسمه. وقد جعل الله تعالى الإنسان مسؤولاً عن الجانب الإرادي فقط، فلا يسأل الله تعالى الإنسان عن لونه أو طوله، أو لماذا أبوه فلان، أو لماذا عاش في القرن الفلاني، قال ﷺ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) <sup>3</sup>.

2. لم يطلعنا الله تعالى على الأقدار، لحكم متعددة، منها أن تبقى إرادة الإنسان حرة ليس عليها أي ضغط، فلو أخبر الإنسان صباح كل يوم بما سيفعله في ذلك اليوم لتأثر الإنسان نفسياً بذلك، ولضعفت إرادته، وذلك كمثل الأستاذ الذي يقول لأحد الطلاب منذ بداية السنة أنت سترسب في آخر العام، فقد ييأس الطالب ولا يدرس إطلاقاً، أو قد يتحدى ويحاول إثبات العكس.

3. علم الله تعالى، وما يكتب في اللوح المحفوظ وفي صحيفة الإنسان لا يجبر الإنسان على شيء، ولا يوجد دليل شرعي أو عقلي يدل على أن القدر معناه الإجبار، والذي يحدث أن الله يعلم من الطالب الفلاني أنه سيكون مجتهداً فيكتب له النجاح،

---

<sup>1</sup> لمزيد من المعلومات، انظر كتاب: تعريف عام بدين الإسلام، للشيخ علي الطنطاوي.

<sup>2</sup> سورة الكهف 29.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله.

ويعلم من فلان أنه سيكون مقصراً فيكتب له الإخفاق، ويعلم من فلان أنه سيتناول العلاج المناسب فيكتب له الشفاء، ويعلم من فلان أنه لن يتعالج فيكتب له عدم الشفاء، وهكذا.

**فَعِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى كَاشِفٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ، غَيْرُ مُؤَثِّرٍ عَلَى إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ، فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا سَأَخْتَارُهُ، فَأَنَا الَّذِي أَخْتَارُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَخْتَارَ.**

ومثل ذلك كمثل شخص أعطى ابنه شيئاً من المال ليشتري ما يريد، فذهب الولد، وبعد أن ذهب قال أبوه لمن يجلس عنده: إن الولد سيشتري كذا وكذا، وذلك من علمه بما يميل إليه، فهل قول الوالد يؤثر على إرادة الولد عندما يصل إلى الدكان؟ وهل ذلك يجبره على شراء الشيء الذي قاله والده وهو لم يسمعه؟.

وكذلك علم الله السابق **الذي لا نعلمه** لا يؤثر على إرادتنا، لأننا لا نعلمه أصلاً، فكيف يؤثر على إرادتنا؟.

ولو أن أحد الأساتذة قال في بداية السنة للمدير: إن الطالب الفلاني سيكون من المتفوقين، وإن الطالب الفلاني سيكون من الراسبين، ولم يسمع ذلك أحد من الطلاب، وكتب المعلم ذلك على ورقة ووضعها عند المدير، فهل تؤثر تلك الكتابة على نتيجة هذين الطالبين؟ ولو قيل في نهاية السنة للطالب المتفوق: إن هذا ليس باجتهدك وإنما هو بسبب أن الأستاذ الفلاني كتب لك ذلك، فهل يرضى الطالب المتفوق بهذا التفسير؟.

ولو أن الطالب الراسب قال لأبيه: إن سبب رسوبه أن الأستاذ الفلاني كتب عليه أنه سيرسب منذ بداية السنة، فهل يقبل الأب هذا التفسير من ابنه؟ وهل يقول له إن الحق إذن على الأستاذ؟.

فالمقصر إذن هو الذي يحتج بالقدر ليبرر تقصيره، أما المجتهد فلا يقبل أن يقال عنه إنه تفوق جبراً عنه، ولهذا إذا رسب الطالب قال: رسبوني، فيضع الحق على غيره، وإذا نجح قال: نجحت، ولم يقل نَجَّحُونِي.

4. إن الذين يقولون بأن الإنسان مسير لأن الله كتب عليه ذلك إنما هم متناقضون؛ لأنهم لو كانوا صادقين لاعتقدوا أنهم مسيرون في كل ما كتب عليهم، فالحديث الصحيح يقول (ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتُبُ عَمَلَهُ، وَأَجْلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَشَقِيئًا وَسَعِيدًا)<sup>1</sup>، فهل يجلس هؤلاء في بيوتهم ليأتيهم رزقهم المكتوب؟ لا، إنهم يسعون له بكل قوتهم وطاقتهم، فلماذا يسعون للرزق وهو مكتوب ولا يسعون للعمل وهو أيضاً مكتوب، فهم متناقضون غير صادقين مع أنفسهم.

5. تصوّر مجتمعاً يعتقد أن الإنسان مسير كيف سيكون؟ سيكون مجتمعاً بلا قانون، فلا تستطيع أن تسأل القاتل لماذا قتل؛ لأنه مسير، ولا السارق لماذا سرق؛ لأنه مسير، وهكذا، إنه مجتمع أغرب من مجتمع المجانين، فهل هذا هو المنطق؟.

6. إذا لقيت من لا يزال يعتقد أننا مسيرون ولسنا مخيرين فعليك بالطريقة التالية: ادفعه بلا سبب، وراقب ردة فعله، سيستغرب، فإن كررت ذلك سيغضب، ثم قل له: أنا مسير فلا تؤاخذني، وأنت مكتوب عليك أن تتلقى هذه الضربة، فهل سيبقى معتقداً بأننا مسيرون؟.

7. يحتج بعض الناس ببعض الآيات التي فهمها خطأ، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر 8].

والصحيح أن هذه الآية تدل على أن الإنسان مخير، لأن (يشاء) فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (من) لأنه اسم موصول، وهو أقرب من لفظ الجلالة، والضمير يعود إلى أقرب مذكور حسب القاعدة. فالآية معناها إذن: إن الله يضل من يشاء الضلالة، ويهدي الذي يريد الهداية.

فمن بحث عن الحق ليعرفه ويلتزم به، هداه الله إليه، ومن بحث عن الشهوات والأهواء والمحرمات، ولم يُرد الحق، أعانه الله على ما يريد، تحقيقاً لحرية الإنسان وإرادته.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته.

8. في الجانب اللاإرادي من الإنسان توجد إرادة واحدة هي إرادة الله، ولا إرادة للإنسان في هذا المجال، ولا يحاسب عليه كما ذكرنا سابقاً.

أما في الجانب الإرادي فتوجد إرادتان: إرادة الله، وإرادة الإنسان، وتتجلى إرادة الله في هذا الجانب في تمكين الإنسان من فعل ما يريد، وعدم منعه من ذلك بشكل عام، فلو أراد الإنسان أن يعمل طاعة أو معصية، فإن الله قادر على شل حركته، ومنعه من القيام بذلك ولكن الله تعالى شاء أن يُمكن الإنسان من فعل ما يريد، وهنا تكمن إرادة الله تعالى، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد 11]، فالتغيير في هذا الجانب الإرادي يبدأ من الإنسان، ويحقق الله للإنسان ما يريد من تغيير.

9. لقد كان الإيمان بالقدر عند الصحابة والتابعين والمسلمين الصادقين دافعاً إلى الخير، فإذا علم أحدهم أن الأجل مكتوب أقدم في المعركة دون خوف؛ لأنه يعلم أن الشجاعة لا تقصر العمر، وإذا علم أحدهم أن الرزق مكتوب تعفف عن الحرام وتورّع عن الشبهات، وأكثر من الصدقات؛ لأنه يعلم أن التزام الحلال وكثرة الصدقة لا تنقص من الرزق.

أما بعض المسلمين اليوم فإنهم يتخذون الإيمان بالقدر ذريعة للتقصير والمعاصي، فشتان بين الفهمين والموقفين.

10. ما معنى الخاتمة؟ وهل ينظر الله تعالى إلى آخر عمل فقط؟ ولو قرأ الأستاذ آخر جملة من ورقة الإجابة فقط وقرر بناء عليها نتيجة الامتحان فهل يكون ذلك عادلاً؟.

للجواب عن ذلك أقول: خاتمة الإنسان على نوعين:

وكلا النوعين لا يكون أيضاً إلا بإرادة الإنسان واختياره.

أ- خاتمة تلغي ما قبلها، كالإيمان بعد الكفر، أو الكفر بعد الإيمان، أو التوبة الصادقة بعد المعصية، وهذه يحاسب الإنسان عليها وعلى ما بعدها فقط.

ب- خاتمة لا تلغي ما سبقها، كمن مات وهو يعمل طاعة أو معصية، فهذا لا يلغي الأعمال السابقة، بل يحاسب الإنسان على كل أعماله السابقة واللاحقة.

### أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم

- لهذا الركن من أركان الإيمان آثار تظهر في حياة المؤمن وسلوكه، نجملها فيما يلي:
1. يدفع إلى البحث عن أقدار الخير التي يدفع بها أقدار الشر، فإن كان الفقر قدراً، فإن على المؤمن أن يبحث عن قدر آخر يقابله وهو قدر السعي، ومن هنا فإنّ القدر لا يعني التقاعس والكسل والتواكل، بل الأخذ بالأسباب والتوكل.
  2. عدم التكبر والعلو والفرح الذي يقود إلى البطر، إنّ قدر الله الخير والعطاء، وعدم الأسى على ما فات إنّ قدر الضيق والشدة، لأنّ الأمرين بيد الله، والإنسان لا يدري في أيهما كان الخير له، وهو وحده القادر على تغيير ذلك .
  3. الإيمان بالقدر يدفع إلى الشجاعة في معركة السيف، ومعركة قول كلمة الحق، حيث لا يخشى المرء على رزقه، لأنّ الرزق بيد الله، وما كتبه الله لعبد من رزق لا يستطيع أحد منعه، وما منعه عنه لا يستطيع أحد إيصاله إليه<sup>1</sup>، ولهذا فإنه يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت، وهمّة عالية، وهذا ما يفسّر إقدام المجاهدين في الميدان، واقتحام الأخطار والأهوال، غير هيابيين ولا وجلين.

---

<sup>1</sup> القضاء والقدر، د. عمر الأشقر 109-112.

## ثانيا: المجال العبادي

حدد الإسلام الغرض من خلق الإنسان بقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك 2) فقد خُلِقَ الإنسان للامتحان الذي يميز بين الصالحين وغيرهم، ويكون الامتحان بطاعة الله تعالى، وهذه هي العبادة. كما أن في العبادة لحظات صفاء مع الله، يبتث له فيها شكواه، ويطلب منه العون، وهذه اللحظات تكون في الشعائر التعبدية التي شرعها الإسلام لهذه الغاية.

### مفهوم العبادة

العبادة لغة: الطاعة مع الحب، والعبادة اصطلاحاً: التقرب إلى الله بكل ما يحبه ويرضاه، من النوايا والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وحينما نطبق هذا التعريف على السلوك الإنساني فإنه يستغرق كل شيء، وعليه فإن النوم والأكل والشرب والعمل والتعليم والتجارة والقتال وغير ذلك يمكن أن يكون عبادة، ومعيار القبول لهذا العمل أو ذاك هو إقرار الشريعة له. فعمله عبادة حين يبحث عن الحلال، ولا يعمل فيما حرم الله، فلا يتاجر بخمر ولا مخدرات، ولا يرتشي، ولا يحتكر، ولا يسرق من وقت الوظيفة، ولا يستعلي على مراجعيه من الناس، يجمع المال ولا يقدسه، ويستخدمه ولا يكنزه، ويؤدي حقه. وعلاقاته الاجتماعية عبادة، فيصل رحمه، ويزور جاره، ويحترم الكبير ويعطف على الصغير، ويحسن إلى الحيوان، كما قال ﷺ (فِي كُلِّ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)<sup>1</sup>، بل إن العلاقة الزوجية الخاصة يمكن أن تكون عبادة. وهكذا فإن العمل يكون عبادة بشرطين:

**الأول: المشروعية:** أي أن يكون العمل مشروعاً، تبيحه الشريعة أو تأمر به، فلا تجوز السرقة من الأغنياء لإعطاء الفقراء، وأن يؤدي على الطريقة الشرعية، ففي

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء.



الصلاة مثلاً قال رسول الله ﷺ (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) <sup>1</sup>، فمن صلى الظهر خمساً أو ثلاثاً، فلا صلاة له، ومن ذهب إلى الحج ولم يقف في عرفات فلا حج له، وهكذا.

**الثاني: النية:** حيث لا يصح العمل إلا بها، ولا يقبل إلا بالإخلاص، لقوله ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) <sup>2</sup>.

### خصائص العبادة في الإسلام

من أهم خصائص العبادة في الإسلام بالإضافة إلى خصائص الإسلام العامة:

1. أنها مبنية على اليسر ورفع الحرج، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78] فالواجبات يمكن للإنسان القيام بها دون مشقة كبيرة.
2. أنها لا تحتاج وساطة بين العبد وربه، بل إن المسلم يتوجه إلى الله مباشرة دون توسط ما يسمى: رجل الدين.

### أثر العبادة في السلوك الفردي والجماعي

للعبادة آثار كثيرة في سلوك الفرد والمجتمع نجلها فيما يلي:

1. انخفاض الجريمة، لأن كل الجرائم تتعارض مع مفهوم العبادة، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت 45).
- إن الدول تتفق أموالاً طائلة على المؤسسات الأمنية لمكافحة الجريمة، من تجهيزات وكوادر بشرية ورواتب، وأبنية وسجون، وهذا ضروري لكل دولة، ولكن الطريق الأقرب للإصلاح هو غرس الإيمان، والالتزام بالعبادة.
2. زيادة الإنتاج، وتخفيض البطالة، فالعمل عبادة، والأنبياء عليهم السلام كانوا يعملون بمختلف المهن، فمنهم الحداد والنجار والخياط والراعي.

<sup>1</sup> حديث صحيح، صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب الأذان.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، الحديث الأول.

3. تعزيز العلاقات الاجتماعية الطيبة، فصلة الرحم عبادة، وقطعها أمر

خطير، قال تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد 22).

وعدم إيذاء الجار عبادة قال عليه السلام (وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ)<sup>1</sup>.

4. السعادة حتى في الدنيا، قال تعالى ﴿ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد 28).

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، والبوائق: الشر والأذى.

### ثالثاً: المجال الخلقي

الخلق أمر معنوي قلبي، والسلوك هو المظهر العملي للخلق، ينبثق منه، ويدل عليه. والثقافة الإسلامية تشمل المجال الأخلاقي والسلوكي، للفرد والمجتمع والدولة والأمة، والأخلاق والسلوك كلاهما يقوم على الإيمان، ويمارس عملياً عبادةً لله.

#### مكانة الأخلاق في الإسلام

الأخلاق هدف مهم من أهداف الإسلام، قال ﷺ (إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق)، ولذلك جعل الإسلام عقيدته وعبادته وأنظمته وشريعته ملفوفة بالإطار الخلقي في كل المجالات: في ثنایا النفس وخلجات الوجدان، وفي المجتمع الصغير والكبير، مع الله، ومع النفس، ومع الإنسان، ومع الحيوان، ومع البيئة ومع الكون.

#### أصول البناء الخلقي

يقوم البناء الخلقي والسلوك الاجتماعي في الأخلاق الإسلامية على أصول ثلاثة:

#### الأصل الأول: الإلزام

ومعناه: من الذي يلزم الإنسان بالأخلاق؟ هل هو الله، أم المجتمع، أم النفس؟ وقد جمع الإسلام بين هذه المصادر الثلاثة، ولكنه جعل المصدر الرباني هو الأساس، وجعل المصدرين الآخرين مصدرين مساعدين.

أما المصدر الرباني فهو معلوم، وأما المصدران الآخران فقد وردا في نصوص متعددة، كما في حديث (إِنَّكُمْ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكُمْ، وَكَرِهْتُمْ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)<sup>1</sup>، ولكن النفس وكذلك المجتمع فيهما إمكان الخطأ، ولذلك فإن تعارض شيء منهما مع المصدر الرباني قدمناه عليهما، وأما إن اتفقت المصادر الثلاثة فيكون الدافع قويا جدا لعمل الخير.

---

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم.

وبهذا يحارب الإسلام في بنائه للأخلاق والسلوك ثلاثة أعداء يمكن أن تضغط على هذا الإنسان:

1. **التقليد الأعمى:** فيعيب على الذين يتبعون الآباء ويقلدونهم دون استعمال عقولهم.

2. **الهوى:** وهو السير وراء شهوات النفس وطموحاتها، دون استعمال العقل، ومعرفة الخير من الشر، قال تعالى ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ﴾ (النساء 135).

3. **الطاغوت:** وهو كل قوة تضغط تخالف شرع الله، من حاكم، أو أسرة، أو عشيرة.

#### الأصل الثاني: المسؤولية

يقتضي كل إلزام مسؤولية يتحملها الإنسان عن أفعاله، ومن ثم فإن الإنسان مسؤول عن أعماله أمام ربه، وأمام مجتمعه، وأمام نفسه.

#### الأصل الثالث: الجزاء

وهو الثمرة الكبرى النهائية التي يجنيها الإنسان على أعماله، قال تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ (الزلزلة 7-8).

ويربط الإسلام بين أفعال العبد الخلقية وبين الإيمان بالآخرة، يقول الرسول ﷺ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ)<sup>1</sup>، ويجعل الجزاء حافزاً قوياً بالترغيب والترهيب، من أجل ضمان مسار خلقي سليم وسلوك اجتماعي نظيف للمسلم، بحيث يطمع في دخول الجنة والنجاة من النار.

إن الجزاء في الآخرة هو إحدى المزايا الكبرى والخصائص العامة التي تميز الأخلاق الإسلامية عن غيرها.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

ومن هنا كان للتوبة في الأخلاق الإسلامية معنى كبير، إذ هي لحظة الإحساس بالإيمان بالآخرة، لتجعل العبد مبادراً إلى الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى، والشعور بضرورة ترك المعصية، وعدم العودة إليها خوفاً من عقاب الله سبحانه، وهي دافعة أيضاً إلى عمل الصالحات، والتحلي بالأخلاق الحسنة، بديلاً عن الأخلاق السيئة، طمعاً في المغفرة، قال تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ (هود:114).

### منظومة الأخلاق الإسلامية

#### أولاً: الأخلاق الذاتية

على الإنسان أن يزكي نفسه وبينها عقلياً وروحياً ونفسياً وجسماً، فهي الأمانة الأولى التي لا بد أن يوليها اهتمامه، ولذا كان على الإنسان أن يأخذ نفسه بالأخلاق الحسنة في مختلف الجوانب، وبخاصة في الأمور التالية:

#### 1. التعلم والتعليم

العلم هو المكون الأول لشخصية الإنسان، ولا بد فيه من مراعاة الأخلاق التالية:

##### أ. أخلاق المتعلم، ومنها:

الإخلاص، والتأدب مع الأستاذ، والجدية في التعلم، والعمل بالعلم، وتعليم الغير، والتعاون مع زملائه في كل خير، والمحافظة على المؤسسات العلمية.

##### ب. آداب المعلم، ومنها:

الإخلاص في التعليم، واختيار الموضوعات العلمية وأساليب التربية المناسبة للطلبة، وتوجيه سلوكهم، ورفع قدراتهم، وتمكينهم من المهارات اللازمة، وأن يكون قدوة حسنة لهم، ويشعرهم بروح الأبوة، ولا ييخل عليهم بالنصح.

## 2. آداب العبادة

العبادة هي المكون الثاني من مكونات الشخصية الإسلامية، ولها آدابها، فمنها ما هو شرط لصحة العبادة، ومنها ما هو من قبيل المستحبات، وأهمها:

• الإخلاص لله تعالى فيها، والبعد عن الرياء، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام 162).

• الخشوع والخضوع في عبادة الله تعالى، استحضاراً لعظمته، واستشعاراً لرقابته، وتذلاً له، وتقرباً له، وأملاً في قبولها، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) (المؤمنون 1-2)، ويدخل في هذا مقام الإحسان في العبادة وهو أعلى درجات استشعار العبد في أدائها، وهو (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)<sup>1</sup>.

## 3. توازن الشخصية

إن التوازن في الشخصية ينشئ استقامة وهدوءاً واطمئناناً، ولإنشاء هذا التوازن أمر الله تعالى بمجموعة من الفضائل ونهى عما يقابلها من الرذائل، ومن ذلك:

- ◀ أمر بالتواضع، ونهى عن الكبر والعُجب والغرور.
- ◀ أمر بالحلم والأناة وكظم الغيظ، ونهى عن الغضب والتسرع والحقد والحسد.
- ◀ أمر بحب الخير للآخرين.
- ◀ أمر بالصدق والبعد عن الكذب.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل.

#### 4. آداب القلب

وذلك على أمور كثيرة أهمها:

- **الموازنة بين الخوف والرجاء:** لأنه إن كان خائفاً من الله دون رجاء يؤس من رحمة الله فترك العمل، وإن كان راجياً لله دون خوف كان مقصراً لا مبالياً متجاوزاً لحدود الله تعالى، جريئاً على معصيته.
- **البعد عن الغفلة:** فالعبد المؤمن دائم التفكير بالله تعالى، وبكل ما يرضيه، لا تشغله شهواته وأمواله عن ذكر الله تعالى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون 9).
- **استشعار النعمة:** وهي حالة يستشعر فيها المؤمن نعم الله تعالى عليه، قال تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (النحل 18).

#### 5. آداب اللسان

- يوجه الإسلام الإنسان إلى آداب الحديث من حيث المضمون والشكل ومن ذلك:
- أ- **الذكر في كل الأحوال،** بحيث يبقى المسلم دائم الصلة بالله تعالى، كالذكر عند النوم، وحين الاستيقاظ، وعند بدء الطعام والشراب وحين ينتهي منه، وعند دخوله الخلاء لقضاء حاجته، وعند الخروج منه، وعند دخول البيت، وعند الخروج منه، وهكذا<sup>1</sup>، وفي هذا من الحفظ للإنسان والسعادة بمناجاة الله ما فيه.
  - ب- **قول الخير والبعد عن قول الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين** قال تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء 114)
  - وقال رسول الله ﷺ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> انظر كتاب الأذكار للامام النووي ففيه تفصيل هذه الأدعية والأذكار.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

ج- الصدق في الحديث، والبعد عن الكذب حتى في المزاح، قال رسول الله ﷺ (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ) <sup>1</sup>.

د- عدم رفع الصوت أكثر من حاجة السامعين، وألا يستأثر بالكلام دون الآخرين، وألا يكثر من الثثرة والتشديق، وألا يقاطع الآخرين، وألا يتفاخر في الحديث، قال رسول الله ﷺ (وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ) <sup>2</sup>. والمتشدقون هم المتطاولون على الناس بالكلام، والمتفهيون هم المتكبرون في كلامهم المتفاخرون على الناس بإظهار فضلهم.

هـ- النهي عن آفات اللسان، من غيبة ونميمة ولمز وتحقير واستهزاء، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنبَغْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات 11).

## ثانيا: الأخلاق الأسرية

يصقل الإسلام شخصية المسلم الاجتماعية، وأول وحدة اجتماعية هي الأسرة، ثم يعيش في مجتمع الرفاق والأصدقاء، وله أهل وقربة، ورحم، وجيران، وزملاء مهنة، ومجتمع ودولة وأمة، وله بهم علاقات مادية ومعنوية، وارتباطات وعقود، وكل هذه العلاقات لها أخلاق تحكمها، وأهم هذه الأخلاق الاجتماعية:

### 1. الأخلاق الزوجية

جعل الإسلام لبناء الأسرة أخلاقاً لا بد منها حتى يتحقق هدف الزواج من السكن والراحة النفسية والمودة والرحمة، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم 21).

<sup>1</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الكذب.

<sup>2</sup> حديث حسن، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق.



ولا يكتفي الإسلام في بناء الأسرة بمجرد بيان الحقوق والواجبات، فإن التربية الخلقية (الضمير) هي الكفيلة بأن تجعل للتشريع قيمته، وتوصله إلى أهدافها العليا. ومن أهم هذه الأخلاق الزوجية:

أ- حسن العشرة بين الزوجين، قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء 19) وقال ﷺ (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)<sup>1</sup>.

ب- حفظ أسرار الزوجية، فإن الحياة الزوجية أمانة، وفيها من الأسرار وتفاصيل حياة كل زوج ما فيها، والرجل وامرأته مؤتمنان على هذه الحياة، قال تعالى ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء 34).

## 2. أخلاق البر بالأولاد والوالدين.

أولاً: بر الآباء بالأولاد (ذكورا وإناثا) ومن أوجه هذا البر:

أ. أن يختار له أمًا صالحة، واسم جيداً، وينفق عليه حتى يكون قادراً على الكسب.

ب. أن يحسن تأديبه، فيعلمه الإيمان ويدربه على العبادة، ويبعده عن قرناء السوء،

ج. الرحمة بهم والتلطف معهم، وتغذيتهم بمشاعر الحب والحنان، فقد رأى أعرابي رسول الله ﷺ يقبل سبطه ﷺ فاستغرب وقال: إنكم تقبلون صبيانكم؟! وما قبلهم فنظر إليه النبي ﷺ وقال (أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)<sup>2</sup>.

د. العدل والتسوية بينهم في العطاء، حتى لا يحقد أحدهم على الآخر.

## ثانياً: برُّ الولد بأبويه:

أوجب الله على الأولاد البر بالآباء. ومن أوجه هذا البر:

<sup>1</sup> حديث حسن، صحيح ابن حبان، كتاب النكاح، باب معاشره الزوجين.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله.

أ. الطاعة، والنفقة والرعاية، والمؤانسة، وكل ما يرضيهما في غير معصية، قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿(الإسراء 23-24).

ب. تجنبيهما الإهانة والسب، وذلك بالسلوك الحسن، وبعدم شتم الآخرين، قال رسول الله ﷺ (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ) <sup>1</sup>.

ج. برهما بعد موتهما، فقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ (فقال: يا رسول الله - ﷺ -، هل بقي من برِّ أَبِي شَيْءٍ أَبْرَهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: "نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصِلَةُ الرَّحِمِ التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما) <sup>2</sup>.

### 3. أخلاق صلة الأرحام وذوي القربى

وذلك توثيقاً للروابط الاجتماعية، بالوقوف إلى جانبهم في أفراحهم وأتراحهم، وبمساعدتهم ومساندتهم ومناصرتهم، وأحياناً بوجوب الإنفاق عليهم.

كما جعل في صلة الرحم طريقاً لزيادة الرزق والعمر والبركة فيهما، قال عليه الصلاة والسلام (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) <sup>3</sup>، وحث على صلة الأرحام حتى وإن لم يبادلوه الصلة بالصلة، وحتى وإن بادلوه

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه.

<sup>2</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ومعنى ينسأ: يزيد له في عمره.

الإحسان بالإساءة، فقد جاء رجل فقال (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَخْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تَسْفُهُمُ الْمَلَّةُ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)<sup>1</sup>.

### ثالثاً: الأخلاق المجتمعية

#### 1. الخلق مع الجيران

وذلك بأن يعاملهم معاملة طيبة، فلا يطلع على عوراتهم، وعليه أن يحفظ أسرارهم، ويساعدهم، ويزور مرضاهم، ويهاديهم من طعامه وشرابه وفاكهة بستانه، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، قال سبحانه ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (النساء 36) وقال رسول الله ﷺ (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُنِي)<sup>2</sup>.

#### 2. أخلاق الأخوة الإسلامية

وهذا يحقق الوحدة الاجتماعية المترابطة المتكاتف، ومن هذه الأخلاق:

• **حبه في الله وحب الخير له**، والتعاون معه ومودته ورحمته، وموالاته ونصرته، ونصيحته، واحترامه في حضوره وغيبته.

• **إصلاح ذات البين**، للحفاظ على الأخوة، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات 10).

• **الالتزام بالأخلاق في حياتهم الاقتصادية**، فأوجب الأمانة في سائر العقود المالية، كما أوجب الوفاء بهذه العقود، وحرّم الغش والتزوير، ومنع

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، ومعنى تسفهم المل: تطعمهم الرماد الحار.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصية بالجار.

الاحتكار والتلاعب بأقوات المسلمين، وحرّم الربا والسرقة والاحتتيال والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل.

• **الالتزام بالآداب الاجتماعية** كآداب الحديث وآداب الكلام وآداب المجالس، وآداب الضيافة والزيارة، وآداب الطعام والشراب، واللباس والزينة، وآداب الخطبة والزواج، وآداب المجاملات في الأفراح والأحزان، وآداب الجنائز، وتشميت العاطس، وآداب التحية والسلام، وهكذا في كل شؤون الحياة.

• **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وهو الرسالة الكبرى للإسلام،

وهذا جعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران 110) ولعن بني إسرائيل حين عطّلوا هذه الفريضة، قال تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (المائدة 78-79).

### 3. الأخلاق مع غير المسلمين

يأمر الإسلام بالتعامل مع الناس بالأخلاق الحسنة بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم وألوانهم وأجناسهم.

فلغير المسلمين المواطنين كافة حقوق المواطنة، ولهم حرياتهم الدينية، قال تعالى ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

ولغير المسلمين من غير المواطنين حقوقهم حتى لو كانوا محاربين، كالوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وتمكينهم من سماع كلمة الحق، وعدم الاعتداء على المدنيين.

### رابعاً: الأخلاق في التعامل مع البيئة

دعا الإسلام إلى الحفاظ على توازن الكون الذي سخره الله لخدمة الإنسان، والحفاظ على البيئة بكل ما فيها من هواء ومياه وأشجار وتربة ومصادر طبيعية.

وقد أمر الله الإنسان أن يتوافق مع أنظمة الكون، ولا يفسدها، ومن أمثلة ذلك:  
أ- أن يحافظ المسلم على النظافة عموماً، ومنها نظافة البيئة، قال رسول الله ﷺ (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ) أي: النظافة نصف الدين.<sup>1</sup>

ب- أن يحافظ على نظافة المياه والطعام ومصادرها وعدم تلويثها، ففي الحديث (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ)<sup>2</sup>.

ج- أن يحافظ على الأشجار، فطلب من المسلم في أقصى حالات العداء والحروب ألا يقطع شجراً، كما نهى المسلم عن قضاء الحاجة في ظل الأشجار، لما فيه من تلويث بيئي، وحرمان للناس من الانتفاع بجلوسهم في ظل الشجرة، وفي الحديث (انْقُؤُوا اللَّعَانَيْنِ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)<sup>3</sup>.

- الإحسان إلى الحيوان، ذلك أن الحيوانات مخلوقات تحس بالأذى وبالإحسان، ففي الحديث (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)<sup>4</sup>، وقال ﷺ (عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاءِ) \_\_\_\_\_  
الأرض)<sup>5</sup>، أي من هوائها وحشراتنا.

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطريق والظلال.

<sup>4</sup> صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار.

- وقد مر ابن عمر رضي الله عنهما بفتيان قد نصبوا طيراً وهم يرمونه  
-أي يجعلونه هدفاً للرماية- فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله  
من فعل هذا (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا)<sup>1</sup>.

- وفي الحديث (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ:  
لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ)<sup>2</sup>، أي علّمه بالنار على وجهه.

د- أمر بالمحافظة على المرافق العامة، من مساجد وطرق ومباني ومقابر،  
ومثلها إشارات المرور، والمواصلات العامة، والغابات، والمباني العامة، وما فيها من  
أثاث ومرافق، بل وتلويث الهواء بالتدخين وما شاكله.

---

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم.  
<sup>2</sup> صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه.

## رابعاً: المجال الدعوي

الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية لقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل 125) وقوله ﷺ (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)<sup>1</sup>. وهي عزيمة الأجر، قال ﷺ (وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)<sup>2</sup>.

وأساليبها كثيرة، فتذكير الناس دعوة، وتربية الأولاد دعوة، وتعليم القرآن دعوة، وكتابة المقال دعوة، وإلقاء المحاضرة دعوة، وزيارة القرى والبوادي بقصد التوعية دعوة، وتأليف الكتب والتصانيف دعوة، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات دعوة.

### أركان الدعوة:

للدعوة أركان أربعة هي:

#### أولاً: الداعي:

وهو: كل مسلم عاقل ذكر أو أنثى، فالجميع مسؤول عن نشر الدين والتوعية، ولا بد أن يكون الداعية صاحب ثقافة متنوعة، ويشمل ذلك:

1. **المعرفة العقديّة**، أي أن يعرف قواعد الإيمان وقضاياه، ويعرف الكفر وأشكاله ومظاهره، مع التركيز على المخالفات المنتشرة بين الناس في المجال العقائدي.

2. **المعرفة الفقهية**، وبخاصة ما تمس إليه الحاجة ويكثر السؤال عنه، من مسائل العبادات والمعاملات في الصلاة والصيام والحج والزكاة، والبيع والشراء، ومنها المسائل المستجدة كالتأمين، والصلاة في الطائرة، والتبرع بالدم، مع ضرورة الاحتراز عن الإفتاء بغير علم، أو التسرع في الفتوى.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي.

ولا بد من تنبيه الداعية إلى ضرورة اختيار الأيسر على الناس ما لم يكن إثماً، (مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ)<sup>1</sup>، فعلى الدعاة أن يأخذوا الناس باليسر، ولا يفرضوا عليهم الآراء المتشددة، أو الآراء الشاذة، فسياسة التساهل مرفوضة، وسياسة التشدد مرفوضة أيضاً.

3. **المعرفة التاريخية**، لأن الداعية يستشهد في دعوته بالتاريخ، فلا بد أن يكون صحيح المعلومة، بحيث يعرف مفاصل التاريخ وليس تفاصيله، بدءاً بالسيرة النبوية وقصص الأنبياء، ثم سيرة الراشدين وما تبعها (الأمويون، العباسيون، ...) وكذلك التاريخ المعاصر من استعمار ونحوه، وبخاصة تاريخ الدولة التي يعيش فيها.

4. **المعرفة العلمية** حيث يحسن بالدعاة أن يلموا بأخبار العلم والمخترعات، وما اكتشفه العلماء من سنن ماثورة في الكون، وهذه الثقافة تساعد الداعية على الوصول إلى نفوس الناس، ومن المؤكد أن الداعية يستطيع من خلال الأمثلة العلمية أن يبين عظمة الإسلام.

5. **معرفة الواقع** وهي من أهم ما يحتاجه الداعية، فعليه أن يعرف ما يدور حوله، لأنه بذلك يستطيع الاستفادة من الظروف المختلفة، وها هو رسول الله ﷺ يوجه أصحابه للهجرة إلى الحبشة فيقول (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد)<sup>2</sup>، فمعرفة الظروف الداخلية والخارجية، تمكن الداعية أن يستثمرها، لأن ظروف الضيق غير ظروف الحرية، وقد رأينا دعاة يهاجرون من بلادهم حين ضاقت عليهم الأمور إلى بلاد يحافظون فيها على أرواحهم، فكان لهم الخير، وكان للدعوة خير، حيث نشروا الإسلام في تلك الأقطار.

**ثانياً: المدعو:**

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مبادئه ﷺ للأئمة، واختياره من المباح.

<sup>2</sup> سيرة ابن هشام 343/1.



وهو الإنسان، بغض النظر عن لونه وجنسه وسنّه ولغته ومكانه، والمدعوون يزداد عددهم، وينتشرون في أصقاع الأرض، وتتجاذبهم المذاهب والأديان والفرق والتيارات، وهذا كله يزيد من حجم المسؤولية الملقاة على عاتق الدعاة.

والمدعوون أقسام، وتصنيفهم يُسهّل مهمة الدعاة، والتعامل معهم، من حيث الفئات العمرية، والجنس، والمستوى العلمي، والبيئة، والمكانة الاجتماعية، والدين، وهو في هذا كالمُسوّق الذي يحسن التعامل مع كل شرائح المجتمع ليسوّق بضاعته، فهل يكون المسوّق أكثر نشاطاً وحكمة من الداعية!.

وللمدعو حقان:

**الأول:** أن يؤتى ويُدعى، فعلى الداعية أن يتحرك تجاه المدعو، وهذا ما فعله عليه السلام بنفسه، كرحلة الطائف، وهو ما كان يوجه أصحابه إليه، كما أن من واجب المدعو أن يبحث عن الحق.

**الثاني:** أن يُحترم، فلا يجوز احتقار الناس، أو تقليل شأنهم، مهما كانت مكانتهم الاجتماعية أو الاقتصادية.

**ثالثاً: المنهج:**

وهو الدين الذي أنزله الله تعالى، وهذا في غاية الصحة والكمال، ولا يحتاج منا إلا إلى أمرين:

1. التأكد من صحة الحديث النبوي، أما القرآن الكريم فكله قطعي الثبوت.
2. التأكد من صحة فهم النص الشرعي (القرآن والحديث النبوي).

#### رابعاً: الأسلوب:

ويمكن تلخيصه فيما يلي:

- 1- استحضار النية في العمل الدعوي، وأنه جزء من العبادة.
- 2- محبة الخير لكل الناس، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران 159).
- 3- أن لا نستعجل ثمار الدعوة، فالمطلوب بذل الجهد، والنتائج على الله تعالى، والدعوة عمل طويل وثماره الحقيقية عند الله تعالى.
- 4- أن نستخدم الأساليب في أوقاتها وزمانها المناسبين، فلا إقناع العقلي مناسبه، وللاِعجاز العلمي في القرآن والحديث مناسبه، وللترويج أو الترهيب وقته.

## الوحدة الخامسة

### الغزو الثقافي

#### أولاً: مفهوم الغزو الثقافي وتاريخه وأهدافه

##### مفهوم الغزو الثقافي

وهو: مهاجمة الإسلام عقيدة وتشريعات وتاريخاً ولغة، لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

##### تاريخ الغزو الثقافي

ارتبط الغزو الثقافي الذي شنه الغرب ضد العالم الإسلامي بنهاية الحروب الصليبية، حيث فشل الغرب في صراعه العسكري، فبدأت أوروبا تتجه إلى اختيار أسلوب آخر للصراع غير الأسلوب العسكري، وذلك بعد أن احتك كثير من الأوروبيين بالمسلمين وعرفوا نقاط الضعف والقوة في العالم الإسلامي.

وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى ميدان الثقافة والفكر، وأصبح الجيش الجديد فرقاً من المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب من المثقفين والإعلاميين، هذه المعركة التي تستهدف تصفية الإسلام بتؤدة وأناة وبلا جلبة ولا ضوضاء، وتقوم المؤامرة الجديدة على الإسلام على الأسس التالية:

أولاً: تحويل الحملات العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف ذات الغرض.

ثانياً: محاولة استخدام مسيحيي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب.

ثالثاً: العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي، يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية، وقد اقترح لويس لهذه القاعدة الأماكن الساحلية في لبنان وفلسطين<sup>1</sup>.

وكان العالم الإسلامي يمر حينها في مرحلة جمود ثقافي وانحطاط سياسي، في وقت بدأت فيه أوروبا قطف ثمار عصر التنوير والانقلاب الصناعي، فراحت أوروبا تتقدم صناعياً وتقنياً بينما راح العالم الإسلامي يتراجع.

ولعل بداية نجاح الغزو الثقافي عملياً كانت على يد السلطان سليمان القانوني، الذي رأى أن النظام الإداري في الدولة العثمانية بحاجة إلى تطوير، وأن أوروبا قد قطعت شوطاً في نظامها الإداري الحديث، فاستقدم أول بعثة أوروبية جاءت إلى عاصمة الدولة العثمانية لوضع نظام إداري حديث على الطريقة الأوروبية، وقد بدأ بعدها انتشار النفوذ الغربي في تركيا، وبقية بلاد المسلمين<sup>2</sup>.

وما أن ابتدأ القرن العشرون الميلادي إلّا وأوروبا متفوقة فعلاً في مجالات الحياة المختلفة، وجاءت الحرب العالمية الأولى لتكون نتيجتها المؤلمة هزيمة الدولة العثمانية، التي كانت تعد دولة الخلافة الإسلامية، ودخول العالم الإسلامي في مرحلة الاستعمار، وتم تقسيم العالم الإسلامي بين الدول الاستعمارية، وبدأ الاستعمار برنامجه في العالم الإسلامي مستهدفاً ثقافة الأمة وحضارتها.

وبدأ العالم الإسلامي ينظر إلى الغرب نظرة المغلوب إلى الغالب القائمة على التقليد الأعمى الناتج عن عقدة النقص التي يشعر بها المغلوب تجاه غالبه.

### أهداف الغزو الثقافي

يهدف الغزو الثقافي إلى تحقيق الأهداف التالية:

<sup>1</sup> احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح32.

<sup>2</sup> الغزو الثقافي والتيارات المعادية إلى الإسلام، بحث مقدم من الدكتور علي عبد الحليم محمود لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بجامعة الإمام محمد بن مسعود بالرياض عام 1396هـ، ص18

1. الحيلولة دون انتشار الإسلام في الغرب وذلك بتشويه الإسلام وتقديمه على يد المستشرقين للشعوب الغربية مليئاً بالشبهات.
2. فصل المسلمين عن مصدر قوتهم المتمثل بدينهم وحضارتهم الإسلامية العظيمة، حيث أدرك الغرب أن سرّ قوة المسلمين ووحدهم تكمن في دينهم، وهذا ما عبّر عنه رئيس وزراء بريطانيا (غلاستون) في مجلس العموم البريطاني في قوله: ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق بل ولا أن تكون هي نفسها في مأمن<sup>1</sup>.

وإذا أردنا قياس مدى نجاح الغزو الثقافي فإنه يمكن ذلك من خلال مظاهر نجاح الغزو الثقافي، وأهمها:

1. أن تتبنى أمة معتقدات وأفكاراً لأمة أخرى غازية.
2. أن تحل الرموز والقدوات (الأشخاص أصحاب المكانة) الفكرية والإصلاحية للأمة الغازية محل رموز الأمة التي تتعرض للغزو.
3. أن تزاخم لغة الغالب وثقافته لغة المغلوب وثقافته.
4. أن تتأثر الأمة المغزوة بعبادات الأمة الغازية وتقاليدها وأخلاقها.

---

<sup>1</sup> الغزو الثقافي: أهدافه ووسائله 15، د. عبد الصبور مرزوق.

## ثانياً: أدوات الغزو الثقافي

لقد استخدم الغرب في معركته الجديدة مع العالم الإسلامي أدوات عدة، ومن أبرزها: التبشير، والاستشراق، والتغريب.

### أ. التبشير (التنصير)

وهو: الدعوة إلى المسيحية، فالنصرانية في أصلها دين خاص لبني إسرائيل، قال سبحانه عن عيسى عليه السلام ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (آل عمران 49). ونص الإنجيل على ذلك حيث كان المسيح يخاطب تلاميذه: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة<sup>1</sup>.

إلا أن بولس أضاف إلى المسيحية فكرة العالمية عن طريق التبشير فهو يقول (لي أنا بين جميع القديسين أوتيت نعمة التبشير بين الأمم)<sup>2</sup>. بينما خلت الأناجيل الأربعة من أي إشارة إلى دعوة جميع الأمم باستثناء النص الذي ألصق إلى آخر إنجيل متى (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الأب والابن وروح القدس)<sup>3</sup>.

وقد نشطت الجهود التبشيرية بعد الحروب الصليبية، وبدأت مختلف الكنائس تجهز حملاتها وتبعث إرسالياتها إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

### أهداف التبشير

مر التبشير بمرحلتين: الأولى: محاولة التنصير، ولكنها بعد قرون تبين فشلها، فانتقل التبشير إلى المرحلة الثانية وهي: إبعاد المسلمين عن دينهم، وهذا يبين مدى ارتباط التبشير بالاستعمار، وهذا ما صرح به المبشر الأمريكي القس زويمر في المؤتمر

<sup>1</sup> إنجيل متى 24/15.

<sup>2</sup> أفسس 8/3.

<sup>3</sup> إنجيل متى 28:19.

التبشيري الذي عقد في القدس 1921م حيث قال: أيها الأبطال والزعماء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام، لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن أداء، إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة، لقد أعددتكم في ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية<sup>1</sup>.

والمبشرون هم طلائع الاستعمار وعيونه، يقول نابليون: هؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً في آسيا وإفريقيا، وسأرسلهم لجمع المعلومات من الأقطار، إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية<sup>2</sup>.

### وسائل التبشير

استخدم المبشرون حاجات الناس - وليس الإقناع - لتحقيق أهدافهم التبشيرية، ولذلك فالمسيحية تنتشر اليوم في الدول الفقيرة، بينما ينتشر الإسلام في كل مكان، حتى في الدول الغنية كأوروبا وأمريكا، وذلك لأن الإسلام لا يستغل حاجات الناس لإدخالهم في الإسلام، بل يستخدم الإقناع، ومن وسائل التبشير:

1. **مساعدة الفقراء:** من خلال المؤسسات الخيرية، حيث تقدم المساعدات العينية من غذاء وملابس، مستغلين حالات الفقر والكوارث الطبيعية، وتحملوا الظروف الصعبة في البوادي والأرياف والأدغال وفي المدن والمخيمات، وفي الحرب والسلم، وفي مخيمات اللاجئين المنتشرة في مختلف بلاد المسلمين.

<sup>1</sup> احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام 50-51، د. سعد الدين السيد صالح.

<sup>2</sup> الرب والله وجوو 209، جاك مندلسون، ترجمة إبراهيم سعد، القاهرة.

2. **التعليم:** من رياض الأطفال إلى الجامعات، فبدأوا مع الطفل منذ نعومة أظفاره مستغلين طفولته، ومستغلين جهل أهله وحاجتهم، ووضعوا المناهج المناسبة لتحقيق هذه الأهداف وتعاونوا مع الاستشراق في المرحلة الجامعية.

أما المعاهد والمراكز والنوادي الثقافية فهناك الكثير منها، وتقوم كلها بدورها التبشيري، سواء ما كان منها تابعاً لجامعات أو مؤسسات ثقافية رسمية أو جمعيات ثقافية، أو ما كان تابعاً مباشرة للفاثيكان أو مجلس الكنائس العالمي بجنيف.

3. **العلاج:** فقد قاموا بفتح العيادات والمستشفيات التي بدأ يؤمها أبناء المسلمين لحاجتهم الماسة لها، ولعدم وجود البديل في كثير من الأحيان، وعمل فيها المبشرون في مجال الطب والتمريض.

وإذا سنحت لك الفرصة بزيارة إحدى هذه المستشفيات التبشيرية فإنك ترى الصليب والإنجيل فوق كل سرير، وترى الممرضات بلباس الراهبات، والمواعظ اليومية التي يتلقاها المرضى، وكل هذا بلا شك يحسّن صورة الغربيين عند المسلمين ويظهرهم بهذا المظهر الإنساني النبيل، بدل الصورة الحقيقية التي ظهرها عليها أثناء الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا في حربهم المعلنة والخفية على العالم الإسلامي.

4. **الإعلام:** فقد استخدم المبشرون كل وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية لبث دعايتهم وسمومهم، فأنشأوا الصحف والمجلات، ومحطات الإذاعة والتلفزة، وأنتجوا الأفلام، ودخلوا إلى عالم الحاسوب والإنترنت، وأسسوا دور الطباعة والنشر، وأصدروا المطبوعات من كتب ونشرات، واستخدموا البريد لإيصال هذه النشرات والمخاطبات، وأنفقوا في ذلك المليارات مما يجمعونه من الشعوب الغربية.

### كيف نواجه التبشير؟

يمكن مواجهة التنصير من خلال ما يلي:

1. نشر الوعي بالإسلام عقيدة وشريعة بين المسلمين.



2. إقامة المؤسسات التي تلبي حاجات المجتمعات الإسلامية، من مساعدة الفقراء، والتعليم، والعلاج.
3. التحذير من مخاطر التنصير، واستثمار كافة وسائل الإعلام في ذلك.

### ب- الاستشراق

وهو دراسة أحوال الشرق وبخاصة العالم الإسلامي، دراسة شاملة لدينه وأرضه وإنسانه ولغته وتاريخه، تسهيلاً لمهمة الغزو الثقافي الذي بدأ الغرب يشنّه ضدهم.

#### نشأة الاستشراق

بدأ الاستشراق بشكل فردي في القرن العاشر الميلادي، حيث رحل راهب فرنسي إلى الأندلس وتعلم فيها ثم رجع، وتقلد فيما بعد منصب البابوية ولقب بالبابا سلفستر، وأما الاستشراق الرسمي فقد بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي بقرار من مجمع فيينا الكنسي، وتمت ترجمة معاني القرآن إلى اللاتينية لأول مرة في القرن الثاني عشر، كما ظهر في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي<sup>1</sup>.

وقد تشكلت أول جمعية علمية للاستشراق في باريس عام 1822م، ثم الجمعية الملكية في بريطانيا عام 1823م والجمعية الأمريكية عام 1842م والألمانية عام 1845م، وعقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام 1873م.

ويمكن القول إن الاستشراق بدأ ضعيفاً ثم توسع واكتملت وسائله في القرن السادس عشر، وبلغ عنفوانه وقوته في أواخر القرن التاسع عشر، ويمكننا القول إن الاستشراق بدأ يضعف منذ منتصف القرن العشرين من جهة، وبدأ يتجه إلى العلمية والحيادية من جهة أخرى.

---

<sup>1</sup> الاستشراق، محمود زقزوق، والاستشراق، إدوارد سعيد.

## الفرق بين الاستشراق والتبشير

جاء الاستشراق الرسمي بقرار كنسي، ليستعين به التبشير على تحقيق أهدافه، ولذلك فهما وسيلتان من وسائل الغزو الثقافي، ومع أن الاستشراق قد نشأ في بيئة كنسية، فإنه يفترق عن التبشير بأمور أهمها:

- الاستشراق يصنع الشبهات حول الإسلام، والتبشير هو الذي يروجها من خلال الاتصال المباشر بالناس.
- المستشرق لا يصرح غالباً بغرضه التبشيري، أما التنصير (التبشير) فإنه يقوم أصلاً على الدعوة الصريحة إلى النصرانية.
- وسائل الاستشراق هي: التعليم الجامعي، والكتابة ترجمة وتأليف، والمؤتمرات، أما التبشير فإنه يقوم بإنشاء المدارس والمستشفيات والجمعيات كما سبق.

## دوافع الاستشراق

1. **الدافع الديني:** فبعد الحروب الصليبية، وحركة الإصلاح الديني المسيحي شعر رجال الدين في أوروبا بحاجة لإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية، فاتهموا إلى الدراسات العبرانية والعربية، ومن هؤلاء المستشرقين روجر بيكون. أضف إلى ذلك المستشرقين اليهود الذين اندفعوا في دراساتهم التشويهية انطلاقاً من حقدهم اليهودي، ومن أشهرهم المستشرق: جولد زيهر المجري.
2. **الدافع السياسي الاستعماري:** فالصلة بين الاستشراق والاستعمار وثيقة، والمعلومات التي قدمها المستشرقون استخدمتها الدول الاستعمارية في تعاملها مع الشعوب التي استعمرتها فكان الاستشراق توطئة للاستعمار. فتم إنشاء مراكز ومعاهد دبلوماسية أشرف عليها مستشرقون معروفون، كان عملها تأهيل وتوجيه السفراء والدبلوماسيين الغربيين الذين يريدون العمل في المشرق الإسلامي، فكان المستشرق (هاملتون جب) مشرفاً على مركز الشرق الأوسط في

جامعة هارفارد في أمريكا، كما استخدم بعض المستشرقين للعمل مستشارين للدول الاستعمارية في أقطار العالم الإسلامي المختلفة، وكلفوا بعد ذلك للعمل مستشارين لدى الدول العربية والإسلامية التي خلفت الاستعمار بعد الاستقلال، فكان (قلبي) مستشاراً خطيراً في العراق والسعودية، ولقد دعم نابليون بونابرت حملته الثانية إلى مصر بالعلماء والمستشرقين الفرنسيين<sup>1</sup>.

أضف إلى ذلك جهود بعض المستشرقين في مجال التعليم في العالم الإسلامي لصبغه بالصبغة الغربية، وأبرز هذه الجهود ما قام به المستشرق (دانلوب) خريج كلية اللاهوت في لندن، الذي كلفه المندوب السامي البريطاني (كرومر) في مصر لوضع مناهج التعليم في مصر وانتقلت هذه المناهج إلى كل العالم العربي. وبعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918م كان العالم الإسلامي كله تقريباً خاضعاً للاستعمار الغربي.

وهكذا استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه في بلاد المسلمين، ونشأت رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيار عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا آلة بيد المستعمر. وقد قام هؤلاء ببثّ التيارات الثقافية الغربية كالعلمانية والفرودية والماركسية والداروينية والماسونية والوجودية والمادية والتغريب بأشكاله المختلفة. وقاموا ببثّ الحركات التي تمزق العالم الإسلامي كالقومية، بل والقطرية الضيقة، من خلال إحياء الحضارات القطرية القديمة كالفرعونية في مصر، والطورانية في تركيا، والبربرية في المغرب.

**3. الدافع الاقتصادي:** فهناك جهود استشراقية في خدمة التجار الأوروبيين قامت بتقديم معلومات عن حاجة الأسواق في الشرق، وطرق السيطرة عليها، بحيث تأخذ المواد الخام منها بأرخص الأسعار، وتعيدها مصنعة وتبيعها بأعلى الأسعار.

---

<sup>1</sup> في الغزو الثقافي 198، نذير حمدان.

4. خدمة المخططات الصهيونية: والتمكين لهم في فلسطين، عن طريق تشويه التاريخ الإسلامي وادعاء حق اليهود في فلسطين، ولا يغيب عن بالنا أن المستشرقين هم الذين طرحوا على إنجلترا فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في مؤتمر لندن المنعقد عام 1907م<sup>1</sup>.

إن آثار اليهود في الحركة الاستشراقية واضحة، وقد استطاع المستشرقون اليهود أن يصبحوا عنصراً أساسياً في الحركة الاستشراقية بوصفهم الأوروبي لا بوصفهم اليهودي، وقد استطاع (جولد زيهر) في عصره وهو يهودي مجري أن يصبح زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع.

5. الدافع العلمي: على الرغم من طغيان الدوافع السابقة على الاستشراق إلا أن قلة منهم قد تحرروا من تلك الدوافع، وانطلقوا في البحث المجرد والدراسة الجادة الحيادية لعلوم الإسلام، وبُهِرُوا بما رأوا من علوم نافعة عظيمة، وبعض هؤلاء دخل في الإسلام ومنهم محمد أسد وكان اسمه (ليو بولدفايس) النمساوي، وكتب كتابه الشهير (الإسلام على مفترق الطرق)، والمستشرق (إتين دينيه) وسمى نفسه ناصر الدين، كتب كتابه (محمد رسول الله) وكتابته (أشعة من نور الإسلام)<sup>2</sup>.

ومنهم من كان منصفاً في بحوثه، وإن لم يدخل في الإسلام، مثل (رينان) الذي انتهى به بحثه عن المسيح عليه السلام إلى إثبات أنه لم يكن إلهاً ولا ابن إله، وإنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامي، وأن كتب السيرة النبوية كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى، ومنهم (كارلايل) الذي عدّ محمداً ﷺ في الأبطال وخصه بصفحات كثيرة من كتابه (الأبطال)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العدوان الصهيوني والقانون الدولي 35، شفيق رشيدات.

<sup>2</sup> في الغزو الثقافي 200، نذير حمدان.

<sup>3</sup> أساليب الغزو الثقافي 28، علي جريشة.

## آثار الاستشراق وخطورته

للاستشراق آثار خطيرة على العالم الإسلامي، ومن أهم هذه الآثار:

- أنه وراء معظم الشبهات في العصر الحديث.
- إحياء التراث الباطني، فأحيوا تراث القرامطة وإخوان الصفا، وما يتصل بالإلحاد والإباحية، وما يتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد من كتب الحلاج وابن عربي وابن سبعين، وكتب غلاة المتصوفة وغلاة الإسماعيلية.
- اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في العلوم الإسلامية في جامعاتنا ومعاهدنا العلمية.

## كيف نواجه الاستشراق؟

يمكن مواجهة الاستشراق من خلال:

1. مناقشة شبهات المستشرقين مناقشة علمية واعية، وعدم الاكتفاء بالردود العاطفية، أو غير العلمية.
2. كشف أهداف أغلبية المستشرقين، وبخاصة السياسية وما يخدم الصهيونية، والتحذير منها.
3. تشجيع الاستشراق العلمي.

## ج- التغريب

وهو صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الغربية في كل جوانب الفكر والسلوك، وبهذا يصبح المسلم يفكر ويعيش كما يفكر ويعيش الغربيون، فلا يبقى له من الإسلام إلا الاسم، وهذه هي نهاية المطاف في الغزو الثقافي.

وقد حرص الاستعمار على أن يكون التغريب حركة شاملة، سخر لها كل وسائل الإعلام والتعليم، ورسم لإنجاحها مخططاً شاملاً مرحلياً، بدأ الاستعمار بتنفيذه أثناء وجوده، ثم أوكل إكمال المهمة التغريبية إلى وكلائه من بعده.

وقد اتخذ التغريب في العالم الإسلامي مظاهر متنوعة منها الفكري، والاجتماعي، والسلوكي.

- ففي الجانب الفكري أصبحت الأفكار الغربية تدرس في مدارسنا وجامعاتنا، لا لتناقش وتنتقد بل لتؤخذ على أنها مسلمات.

- وفي المجال الاجتماعي اجتاحت المنطقة حالة هستيريا التقليد الأعمى، الذي ظهر على حياة الناس في مأكلمهم ومشربهم وملبسهم وكافة أنماط معيشتهم.

- وفي القوانين أصبحت كل قوانين العالم الإسلامي تقريبا غريبة، وذلك بعد أن جاء الاستعمار الحديث فألغى قوانين الشريعة الإسلامية التي كانت سائدة.

وبعد هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم أصبح للتغريب لون خاص، فقد غلب عليه الطابع الأمريكي، ولذلك فإن ما يجري الآن يصح أن يسمى الأمركة، التي تستهدف أول ما تستهدف العالم الإسلامي باعتباره الوحيد الذي يملك رصيذا ثقافيا وحضاريا ينافس الغرب، ويمكن في المستقبل أن يكون البديل للحضارة الغربية، ولكن الأمركة الآن تصبغ أوروبا أيضا بالصبغة الأمريكية الخاصة، وهذا ما يجعل الأوروبيين يشعرون بالضيق، ويحاولون الحفاظ على خصوصيتهم الثقافية.

### كيف نواجه التغريب؟

يمكن مواجهة التغريب من خلال:

1. التوعية - وبخاصة للشباب - بخطورة التغريب على الأمة الإسلامية والعربية.
2. مناقشة التغريب الفكري والقانوني مناقشة علمية.
3. التحذير من مخاطر التقليد الأعمى على شخصية الإنسان.
4. تطوير العادات والتقاليد بما يخدم الأمة، وينسجم مع ثقافتها.

## الوحدة السادسة

### تحديات وقضايا ثقافية معاصرة

#### أولاً: العلمانية

ليست العلمانية نسبةً إلى العلم، بل هي نسبة إلى العالم الدنيوي، وهي ترجمة لكلمة لاتينية هي (secularism) وهي تعني كما تترجمها معاجم اللغة الإنجليزية: الدنيوية، أو اللادينية، أي عدم الاهتمام بالدين، أو استبعاد الدين، أو فصل الدين عن الحياة كلها، وجعله في الكنيسة فقط.

#### أسباب نشأتها

نشأت العلمانية احتجاجاً على ممارسات الكنيسة وبخاصة في المجالات التالية:

#### (1) الفساد الديني للكنيسة:

اتخذ الفساد الديني الكنسي صوراً عديدة، منها:

- حق "التحلة": الذي أعطى رجال الدين الحق في تحليل الحرام وتحريم الحلال، متى اقتضت مصلحتهم ذلك، فأحلوا لأنفسهم الكسب الحرام وتملك الرقيق وشرب الخمر.

- نظام كرسي "الاعتراف": حيث يعترف المذنب أمام القسيس في خلوة بما ارتكبه من ذنوب حتى يغفر القسيس ذنوبه، وقد وقع في هذه الخلوات من الابتزاز المالي والفضائح الأخلاقية أشياء تأبها العقول والنفوس الأبية.

- نظام "صكوك الغفران": فمن أراد أن تغفر له ذنوبه اشترى من الكنيسة، ورقة غفران بمبلغ من المال وبذلك تكون ذنوبه مغفورة، بل إن بإمكان الشخص أن يشتري قطعة من الجنة.

## (2) الفساد الاقتصادي والفساد الاجتماعي:

وقد برز هذا الفساد بصور كثيرة من أبرزها:

- أ. نظام الإقطاع والرقيق: تملك الكنيسة الإقطاعيات الواسعة من أراضي الناس حتى صار وقتها ثلث أراضي إنجلترا ملكا للكنيسة تتفق عائداتها على رجال الدين والحروب الصليبية.
- ب. عمال السخرة: وهم أناس يجبرون من قبل الكنيسة على العمل مجانا يوما في الأسبوع، للخدمة في الكنائس وإقطاعياتها والأضرحة بناء وصيانة.
- ج. ضريبة السنة الأولى: وهى أن يدفع الموظف في أي وظيفة دينية أو إقطاعية مجموع دخله في أول سنة للكنيسة.

## (3) الفساد السياسي:

كانت الكنيسة هي التي تتوج الإمبراطور الذي يذعن لجميع توجيهات الكنيسة، كما أنها تخلع الإمبراطور الذي يعارضها أو يتدخل في شؤونها، فقد نصّت الأوامر البابوية في القرن الحادي عشر على أن البابا لا يُسأل عما يفعل، وأن جميع الأمراء يجب أن يُقبلوا قدم البابا وحده.

## (4) محاربة العلماء:

تبنت الكنيسة نظريات اليونان والإغريق حول نشأة الكون حتى أصبحت هذه النظريات جزءا من العقيدة الدينية المسيحية التي لا مجال للشك فيها، ومن ذلك أن الأرض مركز الكون، وأن الأجرام السماوية تدور حولها، ومن اعتقد غير ذلك فجزأوه القتل، وقد قُتل أكثر من ثلاثين ألفاً من العلماء وأتباعهم بأوامر كنسية، وكان القتل يتم حرقا بالنار، لتطهيرهم من هذه الوسوس الشيطانية، كما كانوا يعتقدون.



## (5) الحروب الدينية:

اشتعلت الحروب الدينية في أوروبا بين الطوائف الدينية المسيحية ولم تنطفئ، فقد كانت أوروبا تنتقل من حرب دينية إلى أخرى، حتى أزهقتها هذه الحروب، كما في حرب الثلاثين عاما (1618-1648م) وانتهت هذه الحرب بعقد صلح تم الاتفاق به بين مندوبي الدول الأوروبية على:

- إنهاء الحروب الدينية، وفرض التسامح.
- منع السلطة البابوية من التدخل في الشؤون الحياتية والأنظمة السياسية.
- الفصل بين الدولة والكنيسة.

لهذه الأسباب كلها وبسبب التحالف الظالم بين الكنيسة والحكام والإقطاعيين قامت ثورة الرقيق والفلاحين في فرنسا سنة (1789م) وكان شعارهم: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"، وهدم الثوار سجن الباستيل رمز الإذلال والاستعباد، وتمخضت الثورة عن نتائج بالغة الأهمية منها:

- قيام دولة جمهورية لا دينية تحكم باسم الشعب، وتحارب العقائد الدينية وتلتزم بحل الجمعيات الدينية، وتسرح الرهبان، وتصادر أموال الكنيسة وامتيازاتها.
- الحرية الشخصية بدلاً من التقيد بالأخلاق الدينية.
- قوانين وضعية بدلاً من قرارات الكنيسة.

وهكذا وجد الناس أنفسهم يبحثون عن الخلاص من ظلم الكنيسة، ولم يجدوا بديلاً أمامهم سوى العلمانية، فكانت العلمانية ثورة على تسلط رجال الكنيسة، ثم أصبحت ثورة على الدين نفسه، وعلى الأديان كلها.

وقد استُخدمت العلمانية لمحاربة الإسلام، وشجع الاستعمار العلمانية والعلمانيين في العالم الإسلامي، وسلّمهم الحكم في أنحاء العالم الإسلامي، وشجعهم

على محاربة الإسلام والمسلمين، وجعل الإسلام ديناً لا يُمارَس إلا في المسجد فقط، ولا علاقة له بالحياة نهائياً.

وإذا كانت أوروبا قد اختارت العلمانية للظروف السابقة فهل يحتاج المسلمون العلمانية كما احتاجتها أوروبا؟.

والجواب: إنَّ الفرق كبير جداً بين الإسلام وبين المسيحية المحرفة كما عرفتُها أوروبا في القرون الوسطى، وإذا كان الفرق في السببين الأول والثاني واضحاً، فإنني سأقتصر على أهمها باختصار:

### 1- في مجال العلم

- ◆ لقد حث الإسلام على التفكير في الكون واكتشاف قوانينه.
- ◆ في القرآن والسنة إعجاز علمي، كما سبق بيانه.
- ◆ يدفع الإسلام إلى التَّقدم العلمي حتى من خلال العبادات، فقد تقدمت عند المسلمين الأوائل علوم الجغرافيا والفلك لتحديد أوقات الصلاة واتَّجاه القبلة في كل مكان وصله المسلمون.
- وتقدمت علوم الهندسة لإسماع الناس في المساجد الكبرى صوتَ الخطيب قبل اكتشاف الكهرباء واختراع المكبرات الصوتية.
- وتقدمت الصناعات الحربية عند المسلمين للقيام بواجب الجهاد في سبيل الله تعالى، وهكذا في كل مجال، حتى صار المسلمون قادة العالم في كل العلوم المادية والإنسانية لمدة ألف سنة تقريباً.

- ◆ لم يشهد التاريخ الإسلامي صراعاً بين الدين والعلوم الطبيعية، بل على العكس من ذلك نجد تلازماً بين التَّقدم الديني والتَّقدم العلمي، فكلما كان المسلمون ملتزمين دينياً كانوا متقدمين علمياً، وكلما ضعف التزامهم بالدين تأخروا علمياً وهكذا، وما ذلك إلا دليل على أن الإسلام هو دين العلم.

## 2- في مجال الحكم

كان الحاكم الحقيقي في أوروبا في القرون الوسطى هو البابا، وهو:

- لا يُنتخبُ من الشعب ولا من مُمثليهم، بل يُنتخب من رجال الدين فقط، فهو وكيل عن الله، أما الحاكم في الإسلام فيتم اختياره من مُمثلي الأمة (أهل الحل والعقد) ثم يبايع من الأمة بشكل عام، فهو وكيل عن الأمة، فهي التي تُعيّنه وتُراقبه وتُحاسبه وتُعزله إن أساء.
- والبابا عندهم معصوم عن الخطأ، ولذلك لا يستشير ولا يُناقش ولا يُحاسَب، أما الخليفة في الإسلام فهو إنسان يجتهد، يُصيب ويخطئ، ولذلك فيجب عليه أن يستشير، وأن يلتزم برأي الأغلبية، ويُناقش ويُحاسَب وهكذا .

ويسأل بعضهم قائلًا: إن علامة النظام السياسي الصحيح وجود المعارضة، فهل يسمح النظام السياسي الإسلامي بوجود المعارضة؟.

والجواب: إن كلمة المعارضة ليست مستعملة بذاتها في النظام السياسي الإسلامي قديماً، ولكن معناها موجود بأسماء أخرى كالشورى، فالحاكم يستشير حقيقة، ويُبدي كل واحد رأيه سواء كان موافقاً أو معارضاً، وكان النصيحة، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يكون للحاكم ولغيره، ولذلك جاء في الحديث (الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) <sup>1</sup> فجعل نصيحة الحاكم بإخلاص القول له وبيان الحق وإن خالف رأيه جعل ذلك هو الدين.

وهذا ما أكدّه بوضوح الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال في خطبته الأولى " أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ" <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

<sup>2</sup> تاريخ الطبري 238/2.

بل إن المعارضة السياسية في الإسلام أرقى بكثير مما وصلت إليه المعارضة السياسية في عصرنا، فإن المعارضة السياسية في عصرنا هي من قبيل الحق، أو الواجب الحزبي، فأما الحق فيمكن التنازل عنه، وأما الواجب الحزبي فهو لمصلحة الحزب أكثر مما هو لمصلحة الأمة، ولذلك ترى نواب الحزب الحاكم يصوتون جميعاً تقريباً مع الحكومة لإبقائها في الحكم، ويصوت نواب المعارضة كلهم تقريباً ضد الحكومة لإسقاطها وتولي الحكم بعدها، أما في الإسلام فإن معارضة الخطأ واجب شرعي يؤجر الإنسان عليه، ولذلك لو كان النائب من حزب الحكومة فيجب عليه أن يصوتَ ضدها إن كان يعتقد أنها مُخطئة، وإن كان من حزب معارض فيجب عليه أن يصوت مع الحكومة إن كان يعتقد أنها على حق، وهذا ما لم تصله المعارضة السياسية في عصرنا.

### 3- صُكُوكُ الْغُفْرَانِ

وهذا نوع من الفساد العجيب، حيث يستغل الدين لتحقيق مصالح مادية للقساوسة وللكنيسة، وهو غير موجود في الإسلام إطلاقاً، فقد جعل الله تعالى التوبة مباشرة بين الإنسان وربه، يتوب متى شاء، دون أن يوافق إنسان على توبته، ودون أن يدفع شيئاً، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

وبعد؛ فإنه لا توجد عندنا الأسباب التي دفعت الغربيين إلى العلمانية لا في موقف الإسلام من العلم، ولا في نظام الحكم في الإسلام، ولا في طريقة التوبة والغفران، ولا في غير ذلك.

## ثانيا: الحادثة<sup>1</sup>

### تعريفها:

تعددت تعريفات الحادثة بتعدد جوانب النظر إليها، فمنهم من عرفها بالنظر إلى سبب نشأتها، أو نتائجها، أو الصراع مع الطبيعة، أو علاقتها بالتراث، أو باعتبارها منهجا معرفيا، أو الصراع بين الشرق والغرب، ومنهم من عرف الحادثة مطلقا، ومنهم عرف الحادثة العربية خاصة، وكثرة تعريفاتها وصعوبة تعريفها قال عنها بعضهم بأنها الشيء الذي لا يُعرّف.

ويمكن تعريف الحادثة العربية بأنها: محاولة صياغة نموذج فكري للحياة، يتجاوز التراث ويتحرر من قيوده (ثوابته) ليحقق تقدم الإنسان في الدنيا، وتطوير الكون، من خلال المناهج الغربية.

والسبب في اختيار هذا التعريف أن الحداثيين يتفقون على أفكار عامة وهي:

1. اعتمادهم على العقل فقط مرجعا ومصدرا للمعرفة، دون الوحي.
2. النظر إلى التراث الإسلامي على أنه سبب تخلف الأمة وتأخرها، بما فيه القرآن والسنة.
3. الانبهار بالحضارة الغربية المعاصرة.
4. النظر إلى العلاقة بين الإنسان والكون على أنها علاقة صراع، وليست علاقة أن الله سخر الكون للإنسان.
5. مادية القيم والمعايير، وأن الدنيا هي نهاية المطاف، دون اعتبار للآخرة.

---

<sup>1</sup> موضوع الحادثة مأخوذ بتصريف من رسالة دكتوراه بعنوان: الحادثة وموقفها من السنة للدكتور الحارث فخري عيسى، بإشراف الدكتور شرف القضاة.

### ما قبل الحداثة وما بعدها:

تمثل المواجهات الفكرية بين الكنيسة والعلماء في أوروبا في القرون الوسطى عصر التنوير، وقد انتهت بانتصار العلم على الكنيسة، حيث تم محاصرة الدين في الكنيسة، واستأثر العلماء بالإنسان والمجتمع والدولة والكون.

وبعد عصر التنوير المقدمة للحداثة، حيث بدأ الغربيون في ظل الحداثة بوضع المناهج الفكرية التي تحقق تقدم الإنسان بعيدا عن الكنيسة، وذلك من القرن السادس عشر الميلادي.

وأما في العالم العربي فقد تم تقليد الغرب في ذلك كله، سواء في مرحلة التنوير أو الحداثة، وقد بدأت الحداثة في العالم العربي في القرن التاسع عشر. ثم ظهر في الغرب مصطلح ما بعد الحداثة في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ولكنه برز بعد الحرب العالمية الثانية، أي في منتصف القرن العشرين، ويعني هذا المصطلح: مرحلة نقد الحداثة لذاتها، ومراجعتها لنفسها.

### الفرق بين الحداثة العربية والغربية:

1. نشأت الحداثة في الغرب من مصدر ذاتي يمثل ظروفه وواقعه، بينما كان مصدر الحداثة العربية غربيا، لا يراعي خصوصية الحضارة الإسلامية.
2. استفادت الحداثة في الغرب من الحضارات السابقة وطورتها، ومنها الحضارة الإسلامية، فترجمت كثيرا من الكتب العربية في مختلف العلوم، بينما كانت الحداثة العربية مجرد مقلدة للغرب.
3. ليس هناك للحداثة في الغرب نهايات معلومة، بل هي دائمة التطور، وأما العربية فإنها تنتهي عند انخراطها في الحضارة الغربية، ولذلك لا يوجد عند الحداثيين العرب - حقيقة - ما يسمى: ما بعد عصر الحداثة.

## ثالثاً: التطرف والتكفير والإرهاب

### 1- التطرف

شاع في العقود الأخيرة مصطلح التطرف ومرادفته، وكثر استخدامه في الإعلام والثقافة المجتمعية، ونود هنا التعرف على معناه وأسبابه وأنواعه وكيفية علاجه. وابتداءً فالتطرف والإرهاب لا دين لهما، ويمكن وقوعهما من أتباع أي دين أو فكر، فعشرات الملايين من البشر في القرن العشرين قُتلوا على أيدي غير المسلمين، وانتشر ظلم وقهر واحتُلت بلاد بأكملها على أيدي غير المسلمين، ولكن حين يقع شيء من العنف من قبل مسلمين أو عرب تعمل آلة الإعلام العالمي على إصاقه بالإسلام، وهذا استغلال للشعوب، فالإسلام لم يكن يوماً متطرفاً، ولا داعياً إلى التطرف، ولا بد من البحث عن الأسباب الحقيقية التي تشجع الناس على التطرف، ولا بد من المصارحة في ذلك إن كنا نريد فعلاً حل هذه الإشكالية.

### مفاهيم ومصطلحات متعلقة بالتطرف

1. **التطرف:** ويعني الابتعاد عن الوسط والاعتدال، سواء في جانب التشدد (الإفراط)، أو التساهل (التفريط)، فكلاهما تطرف.
2. **الإرهاب:** ويعني الاعتداء على الآخرين.
3. **التعصب:** وهو مصطلح مرتبط بالتطرف، ويعني أن يدعو الإنسان إلى نصرة عصبته، ظالمين كانوا أو مظلومين، والمتعصب لا يعترف بغيره، ويخطئ الآخر، ويتهمة وربما يكفره ويقاتله.
4. **الأصولية:** ويعني الفهم المتشدد والحرفي للنصوص الدينية.
5. **الغلو:** وهو مصطلح إسلامي مذكور في القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: 171] ، فالغلو كالتطرف يعني الخروج عن حد التوسط والاعتدال.

6. الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان.<sup>1</sup>

#### أسباب التطرف:

أسباب التطرف متنوعة وتجمع بين الجانبيين النفسي والمادي للإنسان، ويمكن تقسيم الأسباب إلى قسمين رئيسيين: ذاتية وخارجية.

#### أولاً: الأسباب الذاتية:

وهي الأسباب التي تنشأ من ذات الإنسان دون تدخل خارجي، أي أنه يمكنه التحكم بها وتغييرها وتقع ضمن سيطرته ولا يمكن تحميلها للآخرين، وأهمها:

1. الجهل: فالجاهل لا يملك أدوات معرفية تؤهله لتمييز الحق من الباطل، فمن السهولة أن يتم إقناعه بأفكار متطرفة.

2. سوء الفهم: باتباع وسائل غير صحيحة للفهم، وهذا خطير جداً، وذلك كالخوارج، الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام، وقتلوا وارتكبوا الفظائع باسم الدين، ولذلك وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، بمعنى أنهم لا يفهمون ما يقرؤون، أو يفهمونه فهما سطحياً.

وهناك من عنده جزء من الفهم، لا الفهم الشمولي المطلوب، فيرتكب باسم الدين أخطاء جسيمة، فمثلاً مطلوب مني أن أحارب المنكر، ولكن لا بد من شروط لتغييره، أهمها أن لا يؤدي تغييره إلى منكر أعظم، وهكذا.

3. اليأس: وهو من الأسباب العميقة في جانب التطرف، فهو متعلق

بالحالة النفسية للإنسان، ولذلك قد يقودهم يأسهم من الواقع السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي إلى ممارسات متطرفة.

---

<sup>1</sup> الملل والنحل للشهرستاني 155.



4. **التعصب والانغلاق الفكري**، فالأصل أن يفهم كل إنسان أن رأيه

ورأي غيره يحتمل الصواب والخطأ، وأن الاختلاف بين البشر أمر طبيعي.

والتطرّف حالة متقدّمة من التعصّب، لأنّ المتطرّف لا يُقدّم على تطرّفه إلا إن ظنّ أنّه يملك الفهم الصحيح الوحيد للدين، وأنّ غيره على باطل، وتبقى هذه الفكرة تتغذى داخله حتى يصل إلى حالة يتعدّى فيها على الآخرين بطريقة لفظيّة، ومن ثمّ شيئاً فشيئاً حتى يتحوّل الأمر إلى اعتداء مادي.

#### ثانياً: الأسباب الخارجيّة:

وهي الأسباب التي تنشأ بسبب تأثير خارجيّ على الإنسان وأهمها:

1. **الظلم**: وهو من أهمّ أسباب التطرّف، فطبيعة أي إنسان أو شعب مظلوم أن

ينتفض ضد الظلم، ولكن إن خرج الأمر عن الحكمة فرما يقود إلى فوضى.

وذلك كدعم (إسرائيل)، والسكوت عن الظلم العالمي، في بورما وسوريا والعراق

واليمن وغيرها، أو الممارسات داخل الدول من قتل ومصادرة للحريات والسكوت عليها دون تفعيل لميثاق الأمم المتحدة.

2. **ازدواجيّة المعايير حتى من مؤسسات دولية كمجلس الأمن**: وهذه منبثقة

عن الوضع السياسي العالمي، وهي من أهمّ النقاط التي ينشأ عنها التطرّف، وهي نوع من أنواع الظلم، لكن تمّ إفرادها لوحدها لأهميّتها، وازدواجيّة المعايير تنشأ من أمرين، إمّا مصلحة، أو عنصريّة.

3. **الأوضاع الاقتصاديّة**: ويقصد بها بشكل أساسي الفقر والبطالة، وبخاصة

إن لم توجد القيم الإسلامية من صبر وأخذ بالأسباب المشروعة، فقد يتطور الأمر إلى حب كسب للمال ولو بطرق غير مشروعة، فرما يسرق أو يتاجر بالمخدرات.

4. **الفساد بأنواعه**، خاصة السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وخطورته تكمن

في نفسه من جهة، وفي تبعاته من جهة أخرى، حين تكون الفوضى وضياح الحقوق وانقسام المجتمع ووجود الطبقات فيه.

5. **التعليم الخاطئ**، سواء كان في البيت أو المدرسة أو الجامعة أو المسجد.
6. **الإعلام الموجّه**: سواء من دول كبرى لها مصلحة من هذا التطرف، أو من دول دكتاتورية، وذلك من خلال الاستهزاء، أو الأخبار المفبركة، أو التهويل والمبالغة، أو الانحياز السافر.
7. **الأفكار الإقصائية التي تحارب الإسلام علناً**، فمثل هذه الأفكار تضر وتدعو إلى التعصب بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فحين يسود فكر أو يدعو إلى إلغاء الإسلام فهذا اعتداء على دين الأمة وأقدس شيء عندها، هنا يكون هذا سبباً في قسوة تصرفات بعض المسلمين.

#### أنواع التطرف

**أولاً: الفكري**: وهو الذي يظهر من خلال تبني أفكار متطرفة، دينية أو غير دينية، فهناك أفكار وفلسفات تحمل في طياتها أموراً يبني عليها قتل الآخرين أو الاعتداء عليهم، لهذا نشأت فكرة التحصين الفكري والثقافي، لأن الإنسان إذا تم تشويش أفكاره بفكر منحرف فإن ذلك سيتنامى شيئاً فشيئاً حتى يطغى عليه.

ولا أبالغ إن قلت بأن هذا النوع من أخطر الأنواع، فالذي يسيّر الإنسان هو فكره، والذي يشكل شخصيته وسلوكه هو فكره، فلا بد أن تكون الأفكار والمعرفة صحيحة وإلا أنتجت انحرافاً وتشويهاً، ثم سلوكاً خاطئاً يكون دماراً على مجتمعه.

**ثانياً: السياسي (الدولة أو الدول)**: غالباً ما يكون هذا النوع من التطرف عند من لا يحبذ العملية الديمقراطية والانتقال السلمي للسلطة، وإنما يعول هذا النوع من التطرف على الانقلابات وترهيب الناس بل والاعتداءات أيضاً، وهو المعروف بالديكتاتورية.

وهذا النوع من التطرف خطير لأنه يمس جانب الأمن في أي دولة، بل يمس كل إنسان في الدولة، حين تصدر حرّيته، ويُحجّر على فكره، فيتطلع حينها إلى التحرر بأي ثمن ولو بالثورة، ويصاحب ذلك شيء من الفوضى.

**ثالثاً: الديني:** وهو الذي يتمثل بتبني آراء شاذة في الأديان تؤدي إلى التطرف، وهذا قد ظهر حول العالم على شكل حركات عدّة سواء إسلامية أو نصرانية أو يهودية، وهذا النوع هو أخطر نوع دون مبالغة، لأنه يتعلّق بشيء مقدّس عند الإنسان ألا وهو الدين، فالإنسان في هذه الحالة مستعدّ للتضحية بحياته من أجل معتقده.

### مظاهر التطرف

بناء على ما سبق، ندرك أن للتطرف مظاهر تبعا لأسبابه وأنواعه، وسأركز هنا على الجانب الإسلامي، في بعض مظاهر التطرف:

1. **التشدد في المعاملة:** وذلك لمجرد أنه خالفه في الرأي، أو فعل معصية، وينسى أن الدين النصيحة، وأنا لا نريد إعانة الشيطان على هذا الإنسان، فكلنا خطّاء، وفي ديننا ما يُعرف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكل آدابه التي ينبغي أن نتبعها وإلا جاءت النتائج عكسية.
2. **التبديع:** حين يوصف شخص ما بأنه صاحب بدعة<sup>1</sup>، فهو حكم على الشخص بأنه يحرف الدين ويشوّهه.
3. **التكفير:** وهو الحكم على مسلم بأنه كافر، وأخطر ما في الأمر أنها تبدأ بشكل فردي، ثم لا تلبث أن تصبح ثقافة مجتمعية، فيكفر بعضنا بعضاً، بدل أن يكون الحب والاحترام والحوار والتعايش والتعاون.
4. **العنف:** قتلا وتخريباً وإرهاباً، وهذه المرحلة النهائية التي يفقد الإنسان فيها أي مقوّم من مقومات الانضباط، والتي هي بالنسبة له قد تكون حالة عليا من الإيمان والتضحية، مع أن النصوص القرآنية والنبوية واضحة في التحذير من ذلك.

---

<sup>1</sup> البدعة هي: التعبد بجديد مخالف للإسلام.

## علاج التطرف

لا بد من أجل علاج التطرف من بيان حقائق الدين، خاصة الأمور الآتية:

1. مبدأ الحرية، فهي أهم حقوق الإنسان بعد حق الحياة، وبحسب إعلان حقوق الإنسان فهي (حق الفرد في أن يفعل كل ما لا يضر بالآخرين، وأن الحدود المفروضة على هذه الحرية لا يجوز فرضها إلا بقانون)، ومن الحرية حرية الاعتقاد.
2. الشعور بالأخوة الإنسانية العامة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، فلا بد من استشعار هذه المعاني الإسلامية السامية في هذه الأخوة الإنسانية.
3. الأصل في العلاقة حتى مع غير المسلمين أن تكون علاقة تعاون وحسن معاملة، قال تعالى ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].
4. مبدأ العدل، وهو أمر رئيس في الإسلام، وهو أساس
5. لحكم والملك، وبه بل وبالإحسان أمر الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].
6. مبدأ الرحمة، فالإسلام دين الرحمة، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وتبدأ كل السور القرآنية بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، وهذا يؤكد بأن رسالة الإسلام هي رحمة للعالمين، حتى الحيوان والبيئة.
7. حرمة التكفير، كما سيأتي.
8. تحريم قتل النفس إلا بالحق، قال تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32] وهي قيمة عليا ليست موجودة في أي ثقافة أخرى.

9. كل إنسان مسؤول عن عمله فقط، قال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164]، فلا يجوز العقاب الجماعي على فعلٍ فعله شخص، ولا يجوز الثأر في الإسلام، ولا التهديد لأي شخص غير الجاني، والعقوبات ومقدماتها هي مسؤولية القضاء.

10. وجوب قيام الأسرة بدورها، فهي المحضن الأول للأبناء والبنات، وهي خط الدفاع الأول في وجه المؤثرات السلبية، سواء كانت فكرية أم أخلاقية، والوالدان قدوة لأولادهم، ينبغي أن يكونا في أعلى درجات الانضباط والمسؤولية.

11. تعزيز مفهوم المواطنة، فكل مواطن بغض النظر عن دينه ومرجعياته الثقافية عضو في المجتمع، له كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات، وإن عاش الناس في انتماء وحب لأوطانهم كان الرخاء والتقدم من جهة، وكان الأمن والاستقرار من جهة أخرى، وهذه دعائم للمجتمع الآمن الحضاري.

## 2- التكفير

### تعريف الكفر:

الكفر لغة: الستر والتغطية، وسُمي الكافر كافراً لأنه يغطي الحقيقة. والكفر اصطلاحاً: نقيض الإيمان؛ أي: عدم الإيمان بالإسلام، أو: إنكار شيء من قطعيات الإسلام. والتكفير هو: وصف إنسان بالكفر.

### أقسام الكفر:

أولاً: الكفر الأكبر، وهو مُخرج من الإسلام، كإنكار ركن من أركان الإيمان، وهو يخلد صاحبه في النار.

والكفر الأكبر يكون بالاعتقاد، كاعتقاد الشريك لله، أو اعتقاد حل المحرمات بالإجماع كالزنا والخمر، ويكون بالقول كسبِّ الله تعالى، أو رسوله، أو ملائكته، أو

دين الإسلام، وكذلك الاستهزاء بالله تعالى، أو آياته، أو رسوله، ويكون بالفعل كالسجود للصنم والقبر، والشمس والقمر، وإلقاء المصحف في القاذورات.

**ثانياً: الكفر الأصغر**، وهو غير مخرج من الإسلام، وإنما أطلق عليه الشارع كلمة الكفر تهديداً وزجراً، وهو لا يخلد صاحبه في النار.

#### خطر التكفير:

التكفير من أخطر الأحكام، ولذلك قال النبي ﷺ (مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَفَرْتُهُ) <sup>1</sup>.

#### شروط التكفير:

لا يجوز لمسلم أن يخوض في مسائل التكفير قبل أن يعلم متى يمكن أن يكفر المسلم، فالتكفير حكم شرعي، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، ولهذا كان العلماء من أهل السنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، كما حدث مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان الخوارج يكفرونه، ويكفرون كثيراً من الصحابة، ولكنه لم يكن يكفرهم.

ولذلك لا يكفر إلا من اتفق أهل السنة على تكفيره، وقد اتفقوا على أن العاصي لا يكفر، وأن المخطئ لا يكفر، كمن زل لسانه فخرجت منه كلمة كفر دون قصد، والمكره لا يكفر.

كما أن المسلم لا يكفر إلا بعد أن تُقام عليه الحجة، وتُزال عنه الشبهة، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِيهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُؤْتِيهِ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115].

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل.

### 3- الإرهاب

إن موضوع الإرهاب، موضوع سياسي وإعلامي وفكري، فالعالم اليوم يتحدث عن الإرهاب، وينشغل المفكرون بدراسة الإرهاب وأسبابه فما هو الإرهاب؟.

**الإرهاب لغة:** الإخافة، وهو مأخوذ من رهب الشيء أي خافه<sup>1</sup>، ومن ذلك قوله

تعالى ﴿وَيَدْعُوكُمْ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ (الأنبياء 90).

أما في الاصطلاح فقد كثرت التعريفات، ويمكن أن نعرفه بأنه: الاعتداء.

وهذا يشمل اعتداء الأفراد، والمنظمات، كما يشمل الاعتداء المادي والمعنوي،

مهما كانت دوافعه.

ويبدو أن بعض الدول لا ترغب بتعريف الإرهاب حتى لا يدين سلوكها، وفي

طليعة تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية.

#### تاريخ الإرهاب

الإرهاب جريمة مرافقة لنشأة البشر، حيث قتل ابن آدم أخاه، واستمر خلال تاريخ البشرية، وقد تعرض النبي ﷺ لعدة محاولات اغتيال على يد اليهود، الذين قتلوا

الأنبياء عليهم السلام، كما قال تعالى ﴿وَقَتَلَهُمُ الْاَنْبِيَاءَ﴾ (آل عمران 181).

وقد ظهرت في التاريخ الإسلامي فرقة الخوارج، الذين استباحوا دماء الصحابة

الذين خالفوهم في الرأي، كما ظهرت جماعة الحشاشين في مصر، ومنهم اشتق الاسم

الإنجليزي للقائم بالاغتيالات Assassin لأنهم كانوا يتعاطون الحشيش قبل الإقدام

على جرائمهم، ليقتلوا ضحاياهم بدم بارد، وهم من غلاة الشيعة، ولا زالوا موجودين

اليوم في الهند وباكستان وأفغانستان.

وظهرت جماعات الإرهاب الصهيونية التي قامت بمجازر كفر قاسم ودير

ياسين ومذبحة الأقصى والمسجد الإبراهيمي في الخليل، ومذابح بحر البقر وصبرا

وشاتيلا وقانا ومخيم جنين.

---

<sup>1</sup> لسان العرب 436/1، ابن منظور.

وعلى إثر أحداث 11 سبتمبر أعلنت أمريكا حربها على الإرهاب، والتي تركزت على أفغانستان، فأسقطت نظام طالبان، وشردت تنظيم القاعدة، كما أنها احتلت العراق، وبهذا صارت مكافحة الإرهاب وسيلة لاحتلال الشعوب من قبل المستعمر.

### أقسام الإرهاب

ينقسم الإرهاب إلى نوعين:

1. الإرهاب المادي.

2. الإرهاب المعنوي.

وإذا كان النوع الأول معروفاً ومشاهداً ومداناً وخطيراً، فإن النوع الثاني لا يقل خطورة عنه، فما هو الإرهاب المعنوي؟ إنه: محاولة إجبار الآخرين على رأي معين، وهذا اعتداء حقيقي وخطير على الإنسان، ومن الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي فرقة المعتزلة، حيث استغلت سلطة الدولة لإجبار الناس على مذهبهم، وقتل عدد من العلماء، وعذب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل.

وعاشت أوروبا في العصور الوسطى أبشع أنواع الإرهاب الفكري، وأقامت محاكم التفتيش، حتى وصل بها الأمر إلى إعدام المخالفين لها بالرأي مثل غاليليو. وفي عصرنا تمارس أنظمة دكتاتورية تدعي الحرية الإرهاب بنوعيه، فقد مارست الشيوعية التجسس على الناس، وأقامت المجازر ضد من يؤمن بدين.

وفي الصحوة الإسلامية اليوم، فئات تعتقد أنها على صواب دائماً وأن غيرها على خطأ، وبناء عليه تقوم بممارسة الإرهاب الفكري، وتصل في حالات إلى تفسيق وتبديع وتكفير مخالفينها، وربما تستحل دمه، لأنهم لم يأخذوا برأيها، وهذا ضيق أفق لا يقبله الذين فهموا الإسلام الذي دعانا إلى أخوة حقيقية، تجمع المسلمين على الأساسيات، وتسمح بالاختلاف في الفرعيات.



## دوافع الإرهاب

للإرهاب بأنواعه المختلفة دوافع واضحة نجملها فيما يلي:

1. **الدافع الثقافي:** إن الرغبة في فرض الأفكار والثقافات هو عمل دائم لدى كافة الحضارات، إلا الإسلام التي أعلنها مدوية في قوله تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف 29).

فقد هاجمنا الصليبيون سعياً لتدمير حضارتنا، وحاولت الشيوعية الروسية قهر المسلمين في الجمهوريات الإسلامية، فقتلت منهم الملايين، وبسط سيطرتها على العالم الإسلامي ولكن الشيوعية ذهبت وبقيت الشعوب المسلمة. أما نحن فلأننا نؤمن بقوة عقيدتنا، فلم نفعل ذلك تجاه الآخرين، بل سعينا إلى حوارها، وكيفينا فخراً أننا كنا الأمناء على الفلسفة اليونانية، حيث ترجمناها ونقدناها، ولكننا لم نحرقها.

2. **الدافع السياسي:** حيث تسعى كثير من الدول القوية لإخضاع الشعوب بالقوة، وفي حال إرهاب المنظمات فقد تكون هناك مطالب تتعلق بالإفراج عن سجناء، وقد يهدف فرد من إرهابه إلى إسماع رأيه، أو الاحتجاج على شيء ما، وقد يكون الهدف الإساءة إلى علاقات دولية، أو مطالبة دولة معينة بموقف سياسي معين. 3. **الدافع الاقتصادي:** تهدف قوى الإرهاب (وهذه في الغالب دول) إلى فتح الأسواق، ونهب الخيرات، وهذا ما رأيناه في الدول الاستعمارية، ويهدف الإرهابيون (غير الدول) إلى الحصول على المال عن طريق طلب الفدية.

4. **الدافع الاجتماعي:** بالفقر والحرمان قد يدفعان بعض الناس إلى الحقد على المجتمع، وقد تصل به حاله إلى استخدام القوة والتخريب والقتل.

5. **الدافع النفسي:** فبعض الناس عندهم حالات مرضية نفسية، أو به مس جنون، وهذه في الغالب لدى المجتمعات الغربية، التي تعاني من الخواء الروحي، كما رأينا في أمريكا في انفجار أوكلاهوما، وحوادث قتل الأطفال لزملائهم في المدارس.

## الإرهاب وعلاقته بالجهاد

يقوم الإرهاب على الظلم والاعتداء، وهذا محرم في الإسلام، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿ (المائدة 87) أما الجهاد فيقوم على الدفاع، سواء عن المسلمين وبلادهم، أو عن حق الآخرين في اختيار الدين الذي يختارونه، وهؤلاء ليس أماننا تجاههم إلا الاستعداد لثيهم عن عدوانهم، قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال 60).

## وسائل الإرهاب

يستخدم الإرهابيون وسائل عديدة منها:

1. **خطف الرهائن:** ومثاله قيام الصهاينة بذلك في جنوب لبنان، ومن باب المعاملة بالمثل قام بذلك المقاومون.
2. **القتل والاعتقالات:** حيث اغتيل عدد كبير من الحكام والمفكرين، فقد اغتيل في عالمنا العربي الملك فيصل ملك السعودية عام 1975 على يد ابن أخيه، وكانت الولايات المتحدة وراء ذلك، بسبب وقف ضخ البترول للغرب في حرب 1973.
3. **التعذيب:** ومن ذلك ما تمارسه الدول الظالمة تجاه منائها، وفي هذا المجال كتب منها: (أقسمت أن أروي) لروكس معكرون، وكتاب (البوابة السوداء) لأحمد رائف.
4. **تشويه السمعة:** أو ما يسميه بعضهم باغتيال الشخصية، وذلك باستخدام الوسائل الإعلامية، فيتم تضخيم الأحداث وتزوير الوقائع.
5. **افتعال الحروب:** و ذلك بدعوى أنها تحارب الإرهاب، فتقتل بذلك الأبرياء كما فعلت وتفتل إسرائيل وأمريكا.

## الإرهاب النووي

إن هذا الإرهاب هو أخطر الأنواع، لأنه يقتل مئات الألوف من البشر، كما في مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين، ورغم أن أمريكا تحاول منع كثير من الدول من امتلاك هذا السلاح، إلا أنها لا تفكر بالتخلص منه، كما أنها لم تمنع إسرائيل من امتلاكه.

### آثار الإرهاب

إن الإرهاب أمر سلبي بذاته، وإن آثاره بالتأكيد سلبية نذكر أهمها:

1. إزهاق الأرواح، وإشاعة الخوف والرعب بين الناس.
2. الدمار الاجتماعي الذي يخلفه حيث تنتشر الأسر بفقد معيّلها، وتشتتها.
3. تراجع الاقتصاد استثماراً وإنتاجاً وسياحة، واستنزاف موارد الدولة بتدمير المؤسسات العامة، وارتفاع نفقاتها على الأمن.
4. تراجع الديمقراطية والحريات، وتوسيع دائرة البطش عند الأنظمة.

### علاج الإرهاب

إن علاج الإرهاب يمكن أن يكون فيما يلي:

- معالجة أسباب الإرهاب، فكرياً واقتصادياً وسياسياً.
- تعاون المؤسسات والدول على محاربة كل ما يثبت أنه إرهاب.

## رابعاً: الشباب بين الاستهداف والتحصين

### أهمية الشباب في الإسلام:

إن مرحلة الشباب هي مرحلة الفتوة والقوة، وإنما تقاس قوة الأمم بقوة شبابها، ولذلك أولى الإسلام عناية بالغة بالشباب، ومن ذلك:

- ذكر القرآن قصة أهل الكهف، وهم فتية آمنوا بربهم، وزادهم هدى، وحفظهم، وذكر ثباتهم على الإيمان.
- حض النبي ﷺ على استغلال فترة الشباب؛ حيث يقول ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»<sup>1</sup>.
- حرص النبي الكريم ﷺ أن يخص الشباب في قوله: "سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: ومنهم: (شَابُّ نَشَأً فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ)"<sup>2</sup>، فمن نشأ في طاعة الله، ومن وحفظ الله في شبابه حفظه الله في عقله وصحته وجوارحه وإيمانه، وهذا معنى قول النبي ﷺ: (أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ)<sup>3</sup>.
- مكنهم الإسلام من الإسهام في تبليغ الدعوة الإسلامية، وإقامة الدولة، وقيادة الجيوش، والتميز العلمي، فهذا مصعب بن عمير يعتمد عليه النبي ﷺ في نشر الإسلام في المدينة، فينجح نجاحاً باهراً، وهذا أسامة بن زيد يكلفه النبي ﷺ بقيادة جيش فيه كبار الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أجمعين، وقتيبة بن مسلم يفتح مشرق العالم الإسلامي.

وفي العلم والنبوغ تألق الشباب وحازوا مرتبة متفوقة، كعلي وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن ثابت وعائشة، والشباب الدارس اليوم في

<sup>1</sup> حديث حسن، المستدرک للحاکم، کتاب الرقاق.

<sup>2</sup> صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة.

<sup>3</sup> حديث حسن، جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق.

الغرب لهم أثر عظيم في الدعوة وتأسيس العمل الخيري والعلمي، ولهم الفضل الأكبر في نشر الإسلام وتأسيس المراكز الإسلامية في العالم.

### دور الشباب الرائد في الصحة الإسلامية ونمائها:

إن هذا الدين مسؤولية الجميع، كل بحسب طاقته، وقدرته، والمسؤولية الآن أعظم من ذي قبل وذلك بسبب ضعف الأمة الإسلامية اليوم علميا واقتصاديا وسياسيا، حيث أصبحت القوة لغيرنا بعد أن كنا سادة العالم، ونتذكر رسالة الملك جورج الثاني ملك السويد وإنجلترا إلى الخليفة الأموي في الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث قال: "هذه رسالة من جورج الثاني (ملك إنجلترا والغال<sup>1</sup> والسويد والنرويج) إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس، صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام: بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان، ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبان) على رأس بعثة من بنات أشرف الإنجليز تتشرف بلثم أهداب العرش، والتماس العطف، لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة، وحذب من اللواتي سيتوفرن على تعليمهن، ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها من خادمكم المطيع جورج م.ا.1".

فالمسؤولية على شبابنا الآن أن يصمموا على التغيير، وهم يقرؤون قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، والتغيير الذي نعنيه في الميادين المختلفة كلها.

---

<sup>1</sup> الغال: اسم قديم لما يشمل الآن فرنسا وبلجيكا وجزء من ألمانيا.

## لماذا استهداف الشباب؟

إن جهود أعدائنا موجهة إلى الشباب لاصطيادهم في سن مبكرة، لما يلي:

1. لأن الشباب هم مستقبل الأمة، فهم قادتها في المستقبل في كل المجالات.
2. لأن الشاب - غالباً - معتد بشخصيته، معاند، فيرفض سماع النصيحة حتى من الأهل، وربما تمرد حتى على الدين والأخلاق والعادات الصحيحة.

## مجالات استهداف الشباب:

(1) في الفكر: حيث تنتشر الشبهات والإلحاد، ومفاهيم الحرية غير المنضبطة، وتسهم في ذلك وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها، فوسائل الإعلام سلاح ذو حدين، ينبغي أن نحسن استخدامه.

(2) في السلوك والأخلاق، حيث يعمل أعداؤنا على إبعاد الشباب عن الالتزام بالفرائض الإسلامية، والسلوك الإسلامي في كافة المجالات، وسلب الشباب الغيرة والرجولة والأخلاق النبيلة، وسلب الشابة عفتها وطهرها ونقاءها، فنرى - للأسف الشديد - بعض الشباب والشابات قد رضي لنفسه أن يكون صيداً سهلاً ليقع في الفاحشة، أو يجالس الجنس الآخر بلا أدنى ضوابط، ولا يخطر في باله أن ما تفعله ربما يمر بأختك أو زوجتك.

## وسائل استهداف الشباب:

1. الشهوات، من خلال الجنس والمسكرات والمخدرات، وما شاكلها.
2. التقليد الأعمى، وهو سلوك غير واع، يتم فيه تقليد رموز فنية ورياضية غير إسلامية.
3. الإعلام، وبخاصة الفضائيات وشبكة الإنترنت.

4. **الصحة السيئة**، وقد حذر الرسول ﷺ (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)<sup>1</sup>، وتقول العرب: (الصاحب صاحب).

#### **التحصين الثقافي:**

لا شك أن التحصين يكون بالدين والأخلاق، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولكننا نذكر بما يلي:

1. **الفهم**: وبه يكون الوصول إلى القناعة التامة بالإسلام، فلا يكفي مجرد الحفظ والتلقين، ولا أننا في بيئة مسلمة، وبالفهم لا تنطلي على المسلم الشبهات التي يروجها الأعداء، والفهم يجعل الإنسان مدركاً لما يفعل، فلا يكون إمعة، أي مجرد مقلد لغيره دون فهم أو وعي.

2. **النظر في مآلات الأمور وعواقبها**: فلحظة تأمل ربما تنقذك من ندم وحسرة وخسارة، وبخاصة في عواقب الانحراف الجنسي والمسكرات والمخدرات.

3. **الصحة الحسنة**: فمجرد الفكر والعلم لا يكفي في التحصين، بل لا بد من الصحة الطيبة التي تذكرك إن نسيت، وتتعاون معهم على كل خير.

4. **حسن التعامل مع وسائل الإعلام وشبكة النت**، فهي سلاح ذو حدين، ففيها من الخير الكثير الذي ينبغي للإنسان أن يستفيد منه، وفيها كثير من الشرور والآثام، وتضييع الوقت، مما ينعكس سلباً على مستقبل الإنسان في الدنيا والآخرة.

5. **الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني**، من جمعيات وأحزاب ونقابات وعمل خيري، فهو يملأ الوقت بعمل إيجابي تطوعي، ويجعله قريباً من الناس في احتياجاتهم، فيستشعر القيم الإنسانية، وتظهر صفات الأخوة والتعاون والتضحية والإيثار وغيرها، ويشكر الله على نعمه التي لا تحصى، ويجعله مقدماً على الخير، وسيلة للحق والحب للآخرين، وهكذا.

---

<sup>1</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس.

## العلاقة بين الجنسين

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة واقعية بعيدا عن المثالية الملائكية أو الشهوانية الحيوانية، فقد فطر الله كلا من الذكر والأنثى على الميل إلى الجنس الآخر، وعلى حب إنجاب الأطفال.

ولذلك لا ينكر الإسلام العاطفة الإنسانية، ولكنه يضبطها، فلا تذهب بعيداً في الشهوة، فالنفس أمانة بالسوء، وإن انفلات العاطفة بين الجنسين يؤدي إلى السقوط.

### تنظيم العلاقة بين الجنسين:

شرع الإسلام لتنظيم العلاقة بين الجنسين مجموعة من التشريعات، تحفظ الطرفين، وتحفظ حقوقهما، وتحفظ المجتمع متيناً قوياً، ومن أهمها:

1. **ستر العورات وغط البصر**، امتثالاً لأمر الله تعالى، ووقاية من الوقوع في الحرام، مما يؤدي إلى مجتمع نظيف طاهر عفيف، ولهذا تفصيلاته في الفقه الإسلامي.

2. **البعد عن الاختلاط المحرم**، والإسلام لا يمنع اللقاء المطلق بين الجنسين، فهناك المسجد والطريق والسوق، وهناك ما استجد من أمور ألزمت كثيراً من حالات اللقاء بين الجنسين كالتعليم والعمل، ولكن مع هذا فلا بد من التذكير بغض البصر، وستر العورات، وعدم الخضوع بالقول، وتحريم الخلوة بأي شكل من الأشكال.

3. **تشريع الزواج**: حيث قال النبي ﷺ (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ)<sup>1</sup>، والاستطاعة: استطاعة مادية ومعنوية، ويكون قرار الزواج عقلياً وليس عاطفياً فقط، فالزواج أخطر قرار يتخذه الإنسان في حياته.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة. والباءة هو القدرة والاستطاعة.



4. البعد عن أنواع من الزواج محرمة، مثل زواج المتعة -وهو الزواج المؤقت-، والزواج المدني، وهو الذي لا يلتزم بالأحكام الشرعية، والزواج دون موافقة ولي الأمر.

5. تحريم العلاقة خارج إطار الزواج الشرعي، لأنها مفسدة شخصية وعائلية ومجتمعية، وخلق بين الأنساب، وجلب للأمراض التي أثبت العلم ارتباطها بالعلاقات المحرمة، وربما تفضي في بيئات محافظة إلى جرائم قتل وثأر عشوائي، كل ذلك بسبب إرضاء شهوة، ونزوة عابرة.

والعلاقة بين الطالب والطالبة لا بد أن تخضع أيضاً لهذه المبادئ، ولا يوجد في ديننا ما يروج له بعض المتساهلين من مصطلح الزمالة، والبراءة في العلاقة، وأنه لا غريب إلا الشيطان، فهل يقبل أخ لأخته أو زوج لزوجته أو زوجة لزوجها مثل هذه العلاقات؟.

## خامسا: من نفس واحدة (الرجل والمرأة)

إن إنسانية المرأة في المجتمعات القديمة، المتدنية وغير المتدنية، لم يكن لها اعتبار أو أهمية في الكثير من مجالات الحياة.

ففي اليهودية والمسيحية أن المرأة أصل الخطيئة<sup>1</sup>، فكانت عند اليهود ممنوعة من تعلّم الشريعة، وكان يُعدّ تعليم المرأة الشريعة كاللقاء اللؤلؤ إلى الخنزير<sup>2</sup>.

وكانت المسيحية تشجع على عدم الزواج وتتفر منه، لأن الارتباط بالمرأة قد يجر إلى الخطيئة، ومن أراد ملكوت السماء فطريقه تبدأ بالبعد عن المرأة<sup>3</sup>.

وقد وصلت المغالاة عند رجال الكنيسة، أنهم كانوا يتدارسون مواضيع مثل هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبد الرجل؟ وهل تدخل الجنة؟ وهل هي إنسان له روح يسري عليه الخلود؟ أم هي نفس فانية لا خلود لها؟ وهل المرأة حيوان نجس أعد للخدمة؟<sup>4</sup>.

وفي إنجلترا حرّم هنري الثامن على الإنجليزيات قراءة الكتاب المقدس، وظلت نساء إنجلترا حتى عام 1850م غير معدودات من المواطنين، وحتى عام 1882م ليس لهنّ أي حقوق شخصية، أو حقّ في التملك الخاص.

وفي عام 586 م عقد الفرنسيون مؤتمراً للبحث فيه بعنوان: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وأخيراً قرّروا: أنها إنسانٌ خُلِقَتْ من أجل خدمة الرجل، واجتمع مجمع ماكون للبحث في مسألة: هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟ أم لها روح؟؟. وأخيراً قرّروا: أنها خالية من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا (أمّ المسيح عليه السلام)، ويقول هربرت سبنسر الإنجليزي في كتابه: وصف علم الاجتماع: [إن

---

<sup>1</sup> سفر التكوين 3: 1-16.

<sup>2</sup> سفر الاوبين 12: 1-5.

<sup>3</sup> السحمراني، المرأة في التاريخ والشريعة، ص51.

<sup>4</sup> الخولي، البهي، الإسلام والمرأة المعاصرة، ص14.

الزوجات كانت تباع في إنجلترا وإن القانون الإنجليزي حتى عام 1805م كان يبيح للرجال أن يبيعوا زوجاتهم مقابل بنسات، أي: قروش.

ووسط هذا الظلام المخيم على المرأة، انطلق نور الإسلام يضع الميزان الحق لكرامة المرأة، ويعطيها حقوقها، ويجعلها عنصراً فعالاً في نهوض المجتمعات وتماسكها وسلامتها<sup>1</sup>، وذلك كما يلي:

### أولاً: خلق الله الرجل والمرأة من نفس واحدة

وهو آدم عليه السلام الذي خلق من طين، وخلق من هذه النفس زوجها وهي حواء عليها السلام، فهي إنسان خلقت من إنسان، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: 189] وقال عليه السلام: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ)<sup>2</sup>. و(الشَّقُّ) نصف الشيء.

وخلق حواء من آدم إنما هو للفت نظر الرجل إلى أن المرأة جزء منه. (وإذا كانت غاية الميل الجنسي في الحيوان تنتهي عند تحقيق الاتصال الجنسي والتناسل والإكثار، فإنها في الإنسان تمتد إلى هدف أبعد، هو الارتباط الدائم بين الرجل والمرأة، ليتم إعداد الطفل الإنسان، وتزويده برصيد من التجارب الإنسانية، والمعرفة الإنسانية ليؤهله للمساهمة في حياة المجتمع الإنساني)<sup>3</sup>.

ولأجل ذلك فقد حرص الإسلام أن يرتبط الرجل والمرأة بميثاق غليظ هو الزواج، ليكون آلية لتنظيم إشباع الغرائز، وربطها بمنظومة من القيم والوظائف التي تتناسب مع وظيفة الإنسان في الأرض، فالعلاقة الزوجية تعد نوعاً من العبادة، التي يرتفع فيه مستوى العلاقة من الحيوانية إلى الإنسانية، قال عليه السلام (وَفِي بُضْعِ أَحَدٍ

<sup>1</sup> د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص25.

<sup>2</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الرجل يجد البلة في منامه.

<sup>3</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، 2/620.

كُـمُـصَدَّقَةً<sup>1</sup>، وبهذا يتحقق الإحسان (والحِصَانَة معناها الحماية بما توفره للزوجين من وقاية داخلية نفسية وأخلاقية، تتمثل في تأمين الاحتياجات الغريزية والعاطفية والنفسية والمادية والاجتماعية لكليهما، فتبني الثقة بين الزوجين، ويتحقق مقصد السكن الذي يؤدي إلى الاستقرار الأسري)<sup>2</sup>.

### ثانيا: الأصل المساواة بين الرجل والمرأة

وفيما يلي بيان لهذه المساواة:

1-ساوى بين الرجل والمرأة في التكريم، فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء:70).

2-ساوى بينهما في مسؤوليتهما تجاه الكون والتمثلة بعمارة الأرض وإصلاحها وفق منهج الله الذي يحقق مصالح العباد وسعادتهم في الدارين.

3-ساوى بينهما في غاية خلق الانسان وهو الامتحان، كما ساوى بينهما في التكاليف الشرعية<sup>3</sup>، فقال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (التوبة 71).

4-ساوى بينهما في الجزاء فقال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل 97).

5-ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، فقال تعالى ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة 228) وهذه الآية كانت من أوائل ما نزل من الأحكام التشريعية،

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

<sup>2</sup> زينب العلواني، الأسرة في مقاصد الشريعة قراءة في قضايا الزواج والطلاق في أمريكا 91.

<sup>3</sup> ولم يفرق بينهما إلا في بعض التكاليف الشرعية كفرض الجهاد على الرجل دون المرأة لحاجته الى القوة البدنية والشجاعة.

حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال (وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ) <sup>1</sup>.

6- ساوى بينهما في معيار التفاضل وهو العمل الصالح فقال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (الحجرات 13).

7- ساوى بينهما في قدسية حياتهما فقال تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة 32).

8- ساوى بينهما في حق التملك المشروع فقال تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: 32]، وساوى بينهما في حق التصرف في الملك طالما تحقق الرشد، فقال تعالى ﴿فَإِنْ أَدَّسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء: 6).

**ثالثاً: إن وظيفة كل منهما تتناسب مع طبيعته، وهما طبيعتان ووظيفتان متكاملتان**  
فمن الحكمة أن تراعى الخصائص النفسية والذهنية والجسدية في توزيع الوظائف والأعباء على شطري النفس الواحدة، توزيعاً عادلاً يتناسب مع مؤهلات كل منهما.  
فالمرأة تحمّل وترضع وتكد وتسهر لحماية ولدها، وهذه الوظائف الضخمة لا يمكن أن تؤدّى بدون إعداد عضوي وعصبي وعقلي ونفسي، ولكي تنجح المرأة في وظيفتها الرئيسية وهي الأمومة زودها الله تعالى بخصائص منها: الرقة والحنان، وسرعة الانفعال، والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة، فهي أفضل من الرجل في هذا المجال.

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء.

ولكي تتفرّغ لأداء وظيفتها الهامة كان جديراً بالشرط الآخر - الرجل - توفير الحماية لها، وتوفير حاجاتها، ورعايتها، فكان من الحكمة أن يُمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يُعينه على أداء وظائفه، فزوده الله تعالى بالقوة، والشجاعة، وبطء الانفعال، والتروي، فهو أفضل من المرأة في هذا المجال.

ولأجل هذ الخصائص المودعة في تكوين الرجل والمرأة ناسب أن تجعل القوامة وهي (قيادة الأسرة، والمحافظة عليها، ورعاية مصالحها) بيد الرجل، فالأسرة مؤسسة، ولا تقوم مصلحة هذه المؤسسة إلا برئيس، والرجل أحق برئاسة الأسرة لسببين: أولهما: أن الخصائص التي زود بها الرجل هي الأفضل في هذا المقام للحفاظ على الأسرة وحمايتها، وهو الذ يعبر عنه النص القرآني ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 34]، فهو قيام الحفظ والرعاية والدفاع.

وثانيهما: قيام الاكتساب والإنفاق المالي، فالرجل مطالب بتحصيل المال وكسبه وإنفاقه، ابتداء من المهر، وتكاليف المسكن، ومتطلبات الزوجة والأولاد، دون المساس بأموال الزوجة وممتلكاتها الشخصية، وهذا هو الذي عبر عنه القرآن الكريم ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: 34]، فهو قيام الاكتساب والإنفاق.

وهكذا فإن القوامة في الإسلام مسؤولية وتكليف في مجال محدد، وليس تفضيلاً مطلقاً، فكم من امرأة تفضل كثيراً من الرجال في العلم والدين والعمل والرأي!، كما أن القوامة ليست تسلطاً، بل يجب أن يتخذ الرجل قراراته بعد الحوار والتشاور.

رابعاً: أعطاهما الإسلام حقوقها المعنوية والمادية دون مطالبة، ومنها:

1. حق الحياة الكريمة، فقد كانت تُؤاد، وتعامل كالسلعة، فحرم الإسلام ذلك.
2. حق التعلم والتعليم، حيث يشملها الأمر الإلهي بالتعلم والتعليم، وقد كانت عائشة رضي الله عنها مثالا رائعا لذلك.
3. حق النفقة وإن كانت غنية، وهو واجب على الأب أو الأخ أو الزوج أو الابن.
4. حق الزواج ممن توافق عليه، وحق إنجاب الأطفال وتربيتهم.
5. حق طلب الطلاق أو الخلع عند الحاجة، وحق حضانة الأطفال إن تم ذلك.
6. حق العمل في كل المجالات المشروعة، ومنها العمل الاجتماعي، والسياسي.

وهكذا وازن الإسلام بين الرجل والمرأة، فأعطى الرجل حقوقا لم يعطها للمرأة، وأعطى المرأة حقوقا لم يعطها للرجل، فقد أعطى الرجل قيادة الأسرة، ومثل ميراث أختيه، ولكنه أوجب عليه المهر والنفقة والجهاد، وأعطاه حق المهر والنفقة وأعفاها من الجهاد، ومن صلاة الجمعة، وأباح لها الذهب والحريز، وقدمها في البر على الرجل، فقد (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك) <sup>1</sup>.

خامساً: إن تغيير الأحكام الشرعية ينتج خلا في المجتمع.

إن الخلل في الوظائف المناطة بالرجل والمرأة يؤدي إلى تأثر المرأة والرجل والأسرة بهذا الخلل، ولعل أبرز مظاهر هذا الخلل وآثاره في أمرين:

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟.

**أولاً:** أن الرجل الذي لا يقوم بمهام القوامة وتنقصه صفاتها اللازمة يُشعر المرأة بالحرمان والنقص وقلة السعادة، كما (أنّ الأطفال الذين ينشؤون في عائلة ليست القوامة فيها للأب، إما لأنه ضعيف الشخصية بحيث تغطي عليه شخصية الأم، وإما لأنه مفقود لوفاته، أو لعدم وجود أب شرعي، قلما ينشؤون أسوياء، وقل أن لا ينحرفوا إلى شذوذ ما في تكوينهم العصبي والنفسي، وفي سلوكهم العملي والخلقي)<sup>1</sup>.

**ثانياً:** أن المرأة التي تكلف نفسها بوظيفة فوق وظيفتها، تفقد السكن والاطمئنان اللذين يشكلان دعائم الأسرة، وتشعر بالتعب والمهانة، فهي التي تحمل وترضع وتربي، وفي الوقت ذاته تعمل وتكدح وتشقى، بينما الرجل لا يشاركها الحمل والرضاع والتربية، ويكون زعمه أنه ينصف المرأة ويحترمها ويرقيها زعم كاذب.

---

<sup>1</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2 ص 649.



## سادسا: الأعراف والعادات في الثقافة الإسلامية

الأصل في العادات في المجتمع المسلم أن تكون منسجمة مع أحكام الشرع، ولكن تنشأ عادات وتقاليد يكون بعضها نافعا منسجما مع أحكام الإسلام وبعضها غير ذلك.

### من فقه معرفة الأعراف والعادات:

هناك بعض القواعد التي ينبغي إدراكها وهي:

(1) أن كل ما لا ضابط له في الشرع، يُرجع فيه إلى العرف والعادة الحسنة، وهذا معنى القاعدة الفقهية: "العادة مُحَكِّمَةٌ" وقولهم: "المعروف عرفا كالمشروط شرطا".

(2) العرف، إن كان خاصاً عند فئة من المجتمع، فهو معتبر عند أهله، وإن كان عاماً، فهو معتبر في حق الجميع.

(3) العادة المعتبرة شرعاً هي ما استجمعت الشروط التالية:

أ- أن لا تخالف الشريعة، فإن خالفت فلا تجوز، مثل التنازل عن حق الأطفال القصر إن قُتل والدهم خطأ.

ب- أن تكون العادة مُطَرِّدَةً (مستمرة) أو غالبية.

ج- أن تكون موجودة عند إنشاء التصرف.

(4) ليس للفقهاء - مفتياً كان أو قاضياً - الجمود على المنقول في كتب الفقهاء

من غير مراعاة تبدل الأعراف، وذلك عند عدم وجود نص شرعي، وهذا يدل بوضوح على مرونة هذه الشريعة وصلاحياتها لكل زمان ومكان.

وقد زادت أهمية مراعاة الأعراف في هذا العصر، حيث يعيش المسلمون في شتى أنحاء العالم، مما ينبغي معه مراعاة الأعراف، فقد تصل - مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة - فتوى تخص أهل بلد إلى بلد غيره ممن لا تشملهم الفتوى.

## الأعراف والعادات العشائرية والاجتماعية وموقف الإسلام منها:

العادات العشائرية أقسام:

1. عادات حميدة كثيرة أقرها الإسلام: مثل نصرة المظلوم، وإكرام الضيف، والمحافظة على حق الجار، وحماية الضعيف، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)<sup>1</sup>.

ومنها الصلح العشائري ودوره في درء الفتنة، وإعادة المودة بعد التباغض والتقاتل، فقد اعتادت العشائر على ما يسمى بالعطوة، وتعني: الفترة الزمنية التي يمنحها أهل المجني عليه للجاني وأهله أو لأهله فقط، وهي هدنة مؤقتة، لحين هدوء النفوس والسير في إجراءات التقاضي، ثم إجراء الصلح بمسعى أهل الخير من وجوه العشائر، ولولا هذه العادة الحميدة لوقعت كثير من الفتن والثارات، فهذه العادة الحميدة تتفق مع نصوص الشرع في المبادرة إلى الإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]

وينبغي التنويه إلى أن لا يكون في الصلح العشائري مخالفة لحكم شرعي، كأخذ البريء بذنب الجاني، كما في "الجلوة" وما فيها من تشريد لعشرات الأسر بلا ذنب ارتكبه، وإضاعة الحقوق.

ويبقى للصلح العشائري إيجابياته في تخفيف "قوة الدم" الناجمة عن ردة فعل عكسية لذوي الضحية قد تدفعهم إلى الانتقام من أهل الجاني، وإن كانت هذه الفورة سببها عادة سيئة تتمثل بالأخذ بالثأر، وهذا يتنافى مع مبادئ الإسلام التي تُحرِّم تحميل غير الجاني جريرة فعله، وإن تفعيل مبادئ العدل وتطبيق أحكام القصاص التي جاء بها الشرع لها خير وسيلة لإشعار الناس بالأمن وضمان الحقوق، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

<sup>1</sup> حديث صحيح، مسند أحمد 513/14، رقم 8952، من حديث أبي هريرة.

2. عادات غير الإسلام مفهومها مثل: نصرة الأخ والقريب دون البحث في كونه ظالماً أو مظلوماً، فقد شاع بين الناس فهم خاطئ لحديث الرسول ﷺ (انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) والفهم الصحيح له هو بقية الحديث (قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟! قال: تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ)<sup>1</sup>.
3. عادات خاطئة أبطلها الإسلام ونفّر منها، مثل: كراهية إنجاب البنت، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: 58]، وكذلك عدم توريث البنت بحجة أنها لا تكسب المال ولا تدافع عن الديار.

### بعض العادات الاجتماعية التي لا تنسجم مع أحكام الشرع:

يوجد كثير من العادات والتقاليد التي دخلت بلاد المسلمين أو أحدثها الناس نتيجة بعدهم عن دينهم، ومنها:

(1) الإهداء للمسؤولين والقضاة: أو دعوتهم لتناول الطعام بسبب ولايتهم فقط، وتزلفاً لهم لتحقيق مآربهم، وقبول مثل هذه الرشوة باسم التكريم يُعد فساداً لا شك فيه.

### (2) بعض عادات الأفراح والزواج: ومنها:

- إطلاق العيارات النارية: وهي عادة فيها تصرف متخلف في التعبير عن الفرح، وينتج عنها مآس كثيرة، فكم من إنسان قُتل أو عاش معوقاً نتيجة طائشة.  
- الولائم الكبيرة: وهي ولائم تفوق قدرة الناس وطاقتهم، وهذا من التبذير والإسراف.

- المغالاة في المهور: فالمهر تعبير عن التكريم للعروس، ولتتمكن من شراء الحاجات اللازمة للزفاف، لكنه تحول إلى تعبير عن المركز الاجتماعي للطرفين، وهي عادة تؤدي إلى تأخير الزواج، وما ينتج عن ذلك من أضرار على المجتمع، ولا

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري في صحيحه، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه.

تتسجم مع الشريعة التي أمرت بتيسير المهور، ففي الحديث: (أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَهً أَيْسَرُهُنَّ صَدَاقًا) <sup>1</sup>.

- الرغبة في الفتاة لأجل جمالها فقط، دون النظر إلى دينها وخلقها، والرغبة بالشاب لأجل ماله دون دينه وخلقه.

- اختلاء الخاطبين قبل العقد، فهذا تصرف لا يجوز لأن الأصل أن يكون لقاؤهما بوجود طرف آخر من أهلها، والخلوة مدعاة للفتنة ووقوع ما لا تُحمد عقباه، وكم من مشكلة نتجت عن ذلك.

### (3) بعض عادات الأتراح والتعازي: ومنها:

- النياحة على الميت، وما يصحب ذلك من اللطم والصراخ، والمشروع هو الحزن والبكاء، كما قال عليه السلام: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا). <sup>2</sup>

- إلزام أهل الميت صناعة الطعام، ودعوة الناس إليه، وفي هذا تكليف لأهل الميت بما لا يطيقون في كثير من الأحوال، وتفاخر اجتماعي، والسنة أن يُصنع الطعام لأهل الميت، وليس العكس، ففي الحديث الصحيح (اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ) <sup>3</sup>.

والتعبير بقوله: "آل جعفر" ينبه إلى أن الذين يصنع لهم الطعام هم خاصة البيت والمقربين منه الذين استولى عليهم الحزن، وليس لعشيرة الميت كلها.

- حداد المرأة أكثر من ثلاثة أيام على أبيها أو أخيها ونحوهما من

الأقارب، فقد بين الشرع مدة الحداد على غير الزوج: ففي الحديث (لَا يَجِلُّ

<sup>1</sup> حديث حسن، المستدرک للحاکم، کتاب النکاح، باب أما حدیث سالم.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي إنا بك لمحزونون.

<sup>3</sup> حديث حسن، سنن أب داود، كتاب الجنائز، باب صناعة الطعام لأهل الميت.

لَا مَرَأَةَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ  
فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا<sup>1</sup>.

وهناك عادات أخرى في مجالات أخرى محرمة شرعا، ومنها التدخين بأنواعه،  
وتربية الكلاب داخل البيوت، وأنواع الحجاب التي لا تنطبق عليها الشروط الشرعية.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إحداث المرأة على غير زوجها.

## سابعا: الجمال في الإسلام

### مفهوم الجمال:

الجمال مجموعة من القيم، والمناظر، والأصوات، والروائح، التي يتجلى فيها الحُسن والبهاء، والتي تترك في النفس أو في العقل الإحساس بالمتعة والراحة. وقد وردت كلمة جمال في القرآن الكريم في أكثر من وصف، فجاءت وصفاً لخلق الصبر، قال تعالى ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18]، ووصفاً لعلاقة النبي ﷺ بالمشركون حينما آذوه، قال تعالى ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، ووصفاً لسلوك اجتماعي في إنهاء العلاقة الزوجية عند الحاجة الماسة، قال تعالى ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 49]، ووصفاً لمنظر الأنعام في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرْمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 6]. وأما في السنة النبوية، فقد وصف النبي ﷺ رب العزة جلّ وعلا بالجمال، فقال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)<sup>1</sup>.

فالإسلام يُعلي من شأن القيم الجمالية، ويحيطها بسياج من الطهر والنقاء.

### حث الإسلام على الإحساس بالجمال في مخلوقات الله:

إذا كانت الرياضات البدنية تغذي الجسم، والعبادة تغذي الروح، والعلم يغذي العقل، فإن تذوق الجمال يغذي الوجدان.

وقد عني القرآن الكريم بالتأكيد والتنبيه على الإحساس بالجمال وتذوقه في أكثر من موضع وموضوع، ليغرس في عقل كل مسلم وقلبه الشعور بالجمال في الكون والإنسان والحياة من حوله.

ففي جمال الإنسان الخَلْقِي يقول تعالى ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: 64].

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها.

وفي جمال السماء يقول الله تعالى ﴿وَرَزَقْنَاهَا لِنَتَّظِرِ﴾ [الحجر: 16].  
وفي جمال الأرض ونباتها، يقول الله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60]

فالمسلم يرى الإبداع الإلهي في نفسه، وفي الكون من حوله، على أعلى درجة من الإتقان وحُسن الخلق، وهو الجمال بعينه، يقول تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ<sup>1</sup>، وَغَمَطُ النَّاسِ<sup>2</sup>)<sup>3</sup>.

### جمال القيم والأخلاق:

شرع الإسلام كل خلق أو فضيلة حسنة، فالمجتمع الإسلامي هو مجتمع الأخلاق والفضائل، فهو مجتمع العدل والإحسان والبر والصلة، والصدق والأمانة، والصبر والوفاء، والحياء والعفاف، والعزة والتواضع، والنظافة والتجمل، إلى غير ذلك من الفضائل والأخلاق التي يسعد بها الأفراد والمجتمعات.

وفي المقابل حرّم كل الرذائل والأخلاق البذيئة، التي تشوّه صورة المجتمع الحسنة، فحرّم الخمر والميسر، والزنا، والربا، وقطيعة الأرحام، وإيذاء الجار، والكذب، والخيانة، إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة التي تنكرها الفطر السليمة، والعقول الراشدة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> بطر الحق: رفض الحق.

<sup>2</sup> غمط الناس: احتقارهم.

<sup>3</sup> مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر

<sup>1</sup> القرضاوي، يوسف، ملامح المجتمع المسلم، ص90.

وفي هذا تأكيد على الجمال الباطني للإنسان، ففي نظر الإسلام لا يوزن الإنسان بجماله الخارجي، بل بأخلاقه وأعماله أيضاً، يقول ﷺ: "إن الله لا ينظرُ إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم".<sup>2</sup> وقد تمثل جمال الأخلاق وحُسنها وكمالها في شخص النبي ﷺ، الذي أمرنا الله تعالى أن نفتدي به، فقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

### جمال الشكل والهيئة:

جعل الإسلام التجميل والأناقة في غير سرف، وإحسان الشكل بعد إحسان المضمون من تعاليم الإسلام، الذي ينشد لبنية علو المنزل، وجمال الهيئة، كما في الحديث السابق حين قال رجل: إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً ونعلُه حسنةً، فقال عليه الصلاة والسلام: "إنَّ الله تعالى جميلٌ يحبُّ الجمال، فلا تعارض إذن بين أن يكون المسلم جميلاً أنيقاً ومتواضعاً.

ومن مظاهر عناية الإسلام بمظهر المسلم وزينته الخارجية، أنه ألحق هذا الخلق بآداب الصلاة في بيوت الله، فقال تعالى ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31].

وقال النبي ﷺ (غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَسِوَاكَ، وَيَمَسُّ مِنَ الطَّيِّبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ)<sup>1</sup>. وقال في تطهير الفم (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)<sup>2</sup>.

ومن أجمل ما نقرأه في كتب السنن والفقه أن أول كتاب فيها هو كتاب الطهارة، فالطهارة هي الدرس الأول الذي يتعلمه المسلم في ثقافة الجمال.

<sup>2</sup> أخرجه، مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم رقم 2564.

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة.



وقد علّم الرسول ﷺ المسلمين حتى في شؤونهم الخاصة العناية بحُسن الهيئة وجمال المظهر، وطيب الرائحة، فقال عليه الصلاة والسلام (من كان له شَعْرٌ، فليُكْرِمْهُ)<sup>1</sup>، وعندما (رأى رجلاً شعثاً قد تفرّقَ شَعْرُهُ، قال: أما كان هذا يجدُ ما يُسَكِّنُ به شَعْرَهُ؟، ورأى رجلاً آخر عليه ثيابٌ وسيّخة فقال: أما كان هذا يجدُ ما يَغْسِلُ به ثوبَهُ)<sup>2</sup>.

وحث النبي ﷺ على النظافة عموماً، وجعل إمطة الأذى عن الطريق صدقة، بل وعدّه من شُعب الإيمان فقال (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)<sup>3</sup>.

### جمال اللفظ والكلمة:

إن من خصائص اللغة العربية لغة القرآن الكريم أنها بلغت قمة جمالها في النص القرآني، الذي يعدّ معجزة جمالية، إضافة إلى جوانب الإعجاز الأخرى، فقد أعجز العرب بجمال بيانه، وروعة نظمه وأسلوبه، وتقرّد إيقاعه، حتى سماه بعضهم سحراً. وقد بيّن علماء البلاغة وأدباء العربية وجه الإعجاز البياني أو الجمالي في هذا الكتاب، من الجرجاني إلى الرافعي، وسيد قطب، وبنّت الشاطي، وغيرهم. ومن المطلوب في تلاوة القرآن الكريم أن ينضم جمال الصوت والأداء إلى جمال البيان والنظم، ولهذا قال تعالى ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: 4].

<sup>1</sup> حديث حسن، سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر.

<sup>2</sup> حديث صحيح، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان.

وقال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ) <sup>1</sup>، وقال لأبي موسى عليه السلام (يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ) <sup>2</sup>. والمراد بالمزمار هنا الصوت الحسن.

وأما الأسماء فقد عني الإسلام بجمال معناها، ولم يكن العرب قبل الإسلام يستهدفون جمال المعنى في الاسم، بل كانوا يسمونهم بأسماء مكروهة، ككلب، وحنظلة، وضرار، ومرة، وحرب، وما أشبه ذلك، تخويفاً لأعدائهم.

فثبت عن النبي ﷺ أنه غيّر أسماء تحمل معنى سيئاً، (فَغَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ: «أَنْتِ جَمِيلَةٌ») <sup>3</sup>، وغيّر اسم "أصرم" بـ "زُرعة"، وغيّر اسم "حَزْن" جدّ سعيد بن المسيّب وجعله "سهلاً" <sup>4</sup>.

وسمّى حرباً سلماً، وأرض عفرة سمّاها خضيرة، وشعب الضلالة سمّاها شعب الهدى، وسمّى بني مُغوية بني رَشْدَة <sup>5</sup>.

وكان عليه الصلاة والسلام يتخيّر في خطابه، ويختار لأُمته أحسن الألفاظ، وأجملها، وألطفها، وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش، فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً ولا فظاً.

وهكذا يكون الإسلام قد استهدف الجمال في كل النواحي بدءاً من جمال الخالق سبحانه وتعالى وجمال الكون والبيئة، ومروراً بجمال القيم والأخلاق، وانتهاءً بجمال الشكل والهيئة والأسماء والألفاظ.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ."

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن

<sup>4</sup> زاد المعاد لابن القيم 306/2، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

<sup>5</sup> سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب تغيير الاسم القبيح.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
5	المقدمة
	الوحدة الأولى
7	مفهوم الثقافة الإسلامية، وخصائصها، ودورها في التقدم
7	تعريف الثقافة وأهميتها
11	خصائص الثقافة الإسلامية
11	1. الريانية
15	2. الشمول
18	3. الوسطية والتوازن
22	4. الإنسانية
26	5. الواقعية
27	6. الإيجابية
30	واقع المسلمين الثقافي
34	دور الثقافة الإسلامية في التقدم
	الوحدة الثانية
41	مصادر المعرفة ومصادر الثقافة الإسلامية ورافدها
41	تعريف المعرفة، وأقسامها
42	أنواع المعرفة
43	مصادر المعرفة
46	القرآن الكريم

46	1. معنى القرآن
47	2. تاريخ القرآن
50	3. موضوعات القرآن
52	4. إعجاز القرآن
63	5. تفسير القرآن
66	6. واجبنا تجاه القرآن
68	السنة النبوية الشريفة
71	- كتابة الحديث وتدوينه
73	- علوم الحديث
77	السيرة النبوية
86	روافد الثقافة الإسلامية
86	- الاجتهاد
87	- اللغة العربية
91	- التاريخ الإسلامي

### الوحدة الثالثة

95	العلاقة مع الآخر
95	التعددية الدينية والثقافية
102	الاختلاف مع الآخر
104	الحوار مع الآخر
109	نظرية صراع الحضارات

### الوحدة الرابعة

115	مجالات الثقافة الإسلامية
115	المجال الإيماني
116	- قواعد العقائد
117	- الإيمان بالله

121	- القضاء والقدر
128	المجال العبادي
131	المجال الخلفي
131	- أصول البناء الخلفي
133	- منظومة الأخلاق الإسلامية
143	المجال الدعوي

#### الوحدة الخامسة

147	الغزو الثقافي
147	مفهوم الغزو الثقافي وتاريخه وأهدافه
150	أدوات الغزو الثقافي
150	- التبشير
153	- الاستشراق
157	- التغريب

#### الوحدة السادسة

159	تحديات وقضايا ثقافية معاصرة
159	العلمانية
165	الحدث
167	التطرف والتكفير والإرهاب
167	- التطرف
173	- التكفير
175	- الإرهاب
180	الشباب بين الاستهداف والتحصيل
186	من نفس واحدة (الرجل والمرأة)
193	الأعراف والعادات
198	الجمال في الإسلام

تم الكتاب بحمد الله  
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات